

# إحياء علوم الدين

## للإمام الفخزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفزالي  
وفلسفته في الإحياء  
بمقلم

الدكتور بدوي طيانة  
الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل عزين (المقدمي)

From the Library of  
Muhammad S. Ezien

المجلد الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سمارا

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ»

(قرآن كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غلق الأرض والسموات ، وأنزل الماء الفرات من المصبرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قنوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بمأكول الطيبات ، والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول لقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نهى العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملًا سدى ، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في الرعى ، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزعم العبد بزمها ، ويلجج التقي بإجماعها ، حتى يترن بيزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته»<sup>(١)</sup> وإنما ذلك إذا رفعها بالدين ولدين مراعى فيه آدابه ووظائفه ، وهانحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومرواياتها وهيئاتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انقرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته من حديث سعد بن أبي وقاص وإنك مهما أتقت من ثقة فأنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك .

بقية

حوارف المعارف

لسهروردي

[ الباب التاسع في ذكر من اتقى إلى الصوفية وليس منهم ] فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملازمة أخرى وقد ذكرنا حال الملازمة وأنه حال شريف ومقام عزيز وتعمك بالسنن والآثار وتحقيق بالإخلاص والصدق وليس مما يزعم للفتونون بشيء فأما القلندرية فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقيد بآداب المجالس والمجالطات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم قتل أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض

الباب الأول : فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه  
( القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة )

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتب بسبب مكروه في الشرع ولا يحكم هوى ومداينة في دين على ماسياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل على الباطل القتل تفخيا لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي الهم » (١) وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام وبعده » ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والزمانة ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض (٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة » (٣) . قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل والأضنان والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا نقول الأكل على المائدة منهى عنه نهى كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا بل النهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأضنان أحسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأضنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يتبادر عندهم ألا يتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المباشرة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا وأما المنخل فالمقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التعمق المفرط وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضا مباح ما لم ينته إلى الكبر والتعظيم وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتحريك الأدوية في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه البدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كذلك

### ( الباب الأول )

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده مما ينفي الهم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده القضاء في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر ولأبي داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه مع .

ولم يألوا بتناول شيء  
من قذات الدنيا من  
كل ما كان مباحا  
برخصة الشرع وربما  
اقتصروا على رطابة  
الرخصة ولم يطلبوا  
حقائق المزينة ومع  
ذلك هم متمسكون  
بترك الادخار وترك  
الجمع والاستكثار ولا  
يترسمون بمراسم  
التقشفين والتزهدين  
والتعبدن وقنوا  
بطية قلوبهم مع الله  
تعالى واقتصروا على  
ذلك وليس عندهم  
تطلع إلى طلب مزيد  
سوى ما هم عليه من  
طية القلوب والفرق  
بين اللامق والقنندري  
أن اللامق يعمل  
في كتم العبادات  
والقنندري يعمل  
في تخريب العادات  
واللامق يتمسك بكل  
أبواب البر والخير  
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى <sup>(١)</sup> » وكان يقول « لا آكل متكئا <sup>(٢)</sup> » إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأجلس كما يجلس العبد <sup>(٣)</sup> » والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا ويكرهه الأكل قائما ومتكئا إلا ما ينتقل به من الحبوب وروى عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كمكا على نرس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله . الخامس : أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعم بالأك قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئا لشهوتي ومزمت مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يقمن ضله فان لم يفعل فثلث طعام وثلاث شراب وثلاث للنفس <sup>(٤)</sup> » ومن ضرورة هذه النية أن لا يعتمد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحدا لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسيأتى فائدة قلعة الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع للمهلكات . السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الحبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بكراهة الحبز <sup>(٥)</sup> فكل ما يديم الرمي ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالحبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال رسول الله ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء <sup>(٦)</sup> » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءه ومهما كانت النفس لا تنوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأقت النفس أولم تنق لموم الحبز ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالبا . السابع : أن يجتهد في تسخير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه <sup>(٧)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصعة فالتقوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله ن من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في الثمائل من حديثه كان إذا قصد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأفضل كما يفعل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكئا من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قبله من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت وقال حسن ن . من حديث للقداد بن معديكرب (٥) حديث أكرموا الحبز البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء تقدم في الصلاة والمرووف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه د . من حديث وحشي بن حرب بإسناد حسن .

ولكن يغني الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأموار مستراح الحال لئلا يغلطن له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب للزبد بلذل مجهوده في كل ما يتقرب به المييد والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا ينال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم قيم الخلق مقامه وقيم أمرا الحق مقامهم ويستمر ما ينبغي أن يستمر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتى بالأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للفتونين مواءماتهم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية وما هم من



لأياكل وحده (١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

( القسم الثاني في آداب حالة الأكل )

وهو أن يبدأ بيسم الله في أوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا ينقله الشرع عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهز به ليذكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويغتم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها ومالم يتلغها لم يعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك هبة في الأكل وأن لا ينغم مأكولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا يسيب مأكولا كان إذا أجهبه أكله وإلا تركه (٢) وأن يأكل مما يليه إلا القاككة فإن له أن يحيل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك (٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على القاككة قليل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا (٤) وأن لا يأكل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الحبز فيكسر الحبز ولا يقطع بالسكين (٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا (٦) ولا يوضع على الحبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ﷺ « أكرموا الحبز فإن الله تعالى أنزلهم من ركات السماء [٢] » ولا يمسح يده بالحبز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليطعم ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتمديد حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة (٧) » ولا ينفخ في الطعام الحار (٨) فهو منهي عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترايسما أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقبها وكذا كل ماله هيم وتخل وأن لا يترك ما استرذله من الطعام وينظر حقه في القصعة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواه الحرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا يسيب مأكولا إن أجهبه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على القاككة وقال ليس هو نوعا واحدا ت . من حديث عكراش بن دؤب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد قالت غريب ورواه حب في الضفاء (٥) حديث النهي عن قطع الحبز بالسكين رواه حب في الضفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر وت . من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليطعم ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتمديد حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث النهي عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وصحه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء وت وصحه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] ( قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ ) لم يتكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كالم يذكره الفارح فليتأمل .

[٢] ( قوله أكرموا الحبز الخ ) لم يخرج العراقي وقد أخرجه الشارح عن الحكيم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية حتى بل هم في غرور وغلط يسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى ويتنهجون مناهج أهل الإباحة ويزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأفهام للنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابساد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء الغرورون أن الشريعة حق البودية والحقيقة هي حقيقة البودية ومن صار من أهل الحقيقة تفيد بحقوق البودية وجار مطالبا بأسور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويخامر باطنه التزيغ

مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب (١) » ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً (٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً (٣) ولعله كان لئلا يضره ، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا (٤) » والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمينه « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضى الله عنه عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضى الله عنه أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأعرابي « شرب في ثلاثة أنفاس يحمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

#### ( القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام )

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلق أصابعه ثم يمسح بالمدليل ثم يفسلها ويلتقط فتات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفى في ولده (٥) » ويتخلل ولا يتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتضمن بعد الحلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصة ويشرب ماءها ويقال من لقم القصة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفتات مهوور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وبقراء بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لا يلاف قریش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيرا وبقته بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفى بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصا (٢) حديث النهى عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوفى في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ آمن من الفقر والبصر والجلد وصرف عن ولده الحق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلاهما منكر جدا .

والتحريف . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبدا لله ابن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله تعالى يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوى ذلك لم نأمنه وإن قال سريرتي حسنة وعنه أيضا رضى الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويصيح كمن يأكل ويلهو ويلقل إذا أكل  
لنا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا  
منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لموم نعمة ويستحب عقيب  
الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفى  
منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت  
من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا  
فاستعملنا صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك وتوذك أن نستعين به على معصيتك وأما غسل اليدين  
بالأشنان فكيفيته أن يجهل الأشنان في كفه اليسرى ويضلل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا  
ويضرب أصابعه على الأشنان اليايس فيمسح به شفته ثم ينعم غسل القم بأصبعه وبذلك ظاهر أسنانه  
وباطنها والحنك واللسان ثم يضل أصابعه من ذلك بالماء ثم بذلك يقيه الأشنان اليايس أصابعه  
ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى القم وإعادة غسله .

( الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة )

الأول : أن لا يتدنى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بغيره من أوزادة فضل إلا أن يكون هو التبويع  
والتدنى به فيعتد ينفي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشربوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن  
لا يكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يشكمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات  
الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على  
ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينفي أن يقصد  
الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه في  
الأكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثا (٤)  
فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما  
الطعام أهون من أن يحلف عليه . الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء  
أحسن الآكلين أكل من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقه في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول  
ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشتهي لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من  
عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع  
نعم لو قال من أكله إشارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل  
على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ  
سحت وهو عندنا وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث  
القول عند أكل اللين اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه وحسنه و . من حديث ابن عباس إذا أكل  
أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

( الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل )

(٣) حديث كان إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل  
ومن حديث أبي حنيفة أيضا وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا من حديث أنس  
كان يبعد الكلمة ثلاثا .

عنه قال من عرض  
نفسه لقتل فلا يلومن  
من أساء به الظن فاذا  
رأيتهم تهاونا بحدود  
الشرع مهملا للصلوات  
للفروضات لا يستد  
بحلاوة التلاوة والصوم  
والصلاة ويدخل في  
للدخل للكرهية  
المهرمة نرده ولا قبله  
ولا قبل دعواه أن له  
سريرة صالحة .  
أخبرنا شيخنا ضياء  
الدين أبو النجيب  
السهروردي بإجازة عن  
عمر بن أحمد عن ابن  
خلف عن السلي قال  
سمعت أبا بكر الرازي يقول  
سمعت أبا محمد الجريري  
يقول سمعت الجنيد  
يقول لرجل ذكر المعرفة  
قال الرجل هل المعرفة  
بالله يصلون إلى ترك  
الحركات من باب البر  
والتقوى إلى الله تعالى  
قال الجنيد إن ههنا  
قول قوم تسكعوا  
باسقاط الأعمال وهذه  
عندي عظيمة والذي  
يسرق ويرزق أحسن

فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يسد النوى ويسطى كل من له فضل نوى بعده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأقلهم طي من يحوجني إلى تمهده في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على العناد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضا تبين جودة عجة الرجل لأخيه بمجودة أكله في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لأبأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يدخل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره إكرامه فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فأقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم الله عز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » (١) قيل إن المراد به هذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا بملاوة ولا تشبهوا بالجعم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم والخدام الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خدام جالسا فقام الصوب عليه فقيل له لمقت فقال أحدنا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أبسر للصب والنقل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك في الطست إذن سبعة آداب أن لا يبرق فيه وأن يقدم به التبرع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار بئنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يعج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروك ما رأيت من خدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يفيض بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا محتشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يتوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليعذر إليهم فعلا للرجلة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستفد به غيره فلا يفيض يده في القصعة ولا يقدم إليهم رأسه عند وضع اللقمة فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ يمساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة قد يكرهه غير مو اللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستفدات .

( الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين )

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فأطبلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل نقعة

(١) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القضاة في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به وجعل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه مضل وفيه نظر .

( الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين )

حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر فذة إلا أن يحال بي دونها وإنه لا كد في معرفتي وأقوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويرحمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحسم في أجسام مصطفىها ويسبق لأفهامهم معنى من قوله النصاري في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحبات إشارة إلى هذا الوهم ويتخيل له أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكي عن أبي يزيد من قوله سبحاني حلما أن نستفد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى

ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة إلا ثقة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ماورد من الأخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع »<sup>(١)</sup> وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدر أن يأكل جميعه وكان يقول بلقناع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك »<sup>(٢)</sup> فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لأكل فضل ذلك وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكل مع إخوانه »<sup>(٣)</sup> وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان »<sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم : « لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعثر رقبة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للرء طيبزاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر « يقول الله تعالى للعبيد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتي »<sup>(٥)</sup> وقال عليه السلام « إذا جاءكم الزائر فأكرموه »<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام »<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من أطعم الطعام »<sup>(٨)</sup> وقال عليه السلام « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام »<sup>(٩)</sup> وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربضا لو فت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكل مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمعناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان ، الأزدي في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يستلون عن النعم : الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بالفظ استطعمتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الاسناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن حبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستقد في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول ردناه كما نردم وقد أثانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة يضاء نية يستقيم بها كل معوج وقد دلنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه أن يحل به شيء أو يحل شيء حق لعل بعض الفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمحادثة ، وإما عالم بطلان ما يقول ، بحمله

«من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترس واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على حجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلم أما إذا كان جائعا فقصده بعض إخوانه ليطعمه ولم يترس به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادا لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بصداقته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لاسيا في الأطعمة وأمرها على السنة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها (٣) وذلك لعله يسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بطله بالاذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام ما بذلك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال بالكعب اتل على آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - فقال فمن الصديق يا أبا سعيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبز وغير ذلك فحمله كله قدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقيل له قد أخذته فلان فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخى إن عادوا ضد فهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر فإن لم يحضر شيء لم

هواه على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجرته على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بمد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم مخاطبات مواقفه للكتاب والسنة فزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرار ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم أيام فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولولا لام الربوبية

(١) حديث من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما هو من حديث عائشة نحوه وضعه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا إسناده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بلغت محلها فقال في الشاة التي أعطيتها نسمة من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

بملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالاً تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي بمن أأاني من إخواني فاني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له فكرهت مجيئه وملته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي قلت له إنك لا تأكل كل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الحياء قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله وتؤذي قلوبهم . وروى أن رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال علياً جيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئاً ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه . وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزاً وخلاً وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم <sup>(١)</sup> وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم ما حضر وإن استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا <sup>(٢)</sup> وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه قدم إليهم كسراً وجزءاً بقل كان يزرعه ثم قال لهم كلوا لولاً أن الله لمن الله التكلفين لتكلفتم لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرى أيهما أعظم وزراً الذي يحقر ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على الزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليختبر أيهما عليه كذلك السنة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيهما <sup>(٣)</sup> وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي زور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي لو كان في هذا الملح ستر كان أطيب فخرج سلمان فخرج من مطهرته وأخذ سترافاً فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قمنا بما رزقنا فقال سلمان لو قمعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توهم تمدد ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له اقتراح فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلاً عنده فيفداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزاً وخلاً وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسأيت بعده وكلاهما ضعيف والبخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم إليه ما حضرنا الخرائطي في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولاً أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، والطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيتين إلا اختار أيهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما ولم يذكرها م في بعض طرقه .

فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله وإنما هو علم حادث أحدثه الله في بواطنهم فطريق الأصحاء في ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا في بواطنهم شيئاً ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث لانسبة الكلام إلى التكلم لينصانوا عن الزيف والتحريف ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يفرقون في بحار التوحيد ولا يشبثون ويسقطون لنفوسهم حركة وفعل يزعمون أنهم مجبورون على الأشياء وأن لا فعل لهم مع فعل الله ويسترسلون في المعاصي وكل ما تدعو النفس إليه ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فمرضت عليه الرقة ملحقاً بها خط الشافعي فلما وقعت بينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكنانى دخلت على السريّ فبجاءتني وأخذ يحمل نصفه في القدح فقلت له أى شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانساق ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتبه الزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة فجعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لذ أخاه بما يشتبه كتب الله له ألف حسنة وهي عنه ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه أقم من ثلاث جنات الجنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يقدم إن كان قال لا يريده أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالاً مما تأكل كله فلا تمدهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسئلة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

#### ( الباب الرابع في آداب الضيافة )

ومظان الآداب فيها ستة الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تسكفوا للضيف قبضوه فانه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباً امرأة لها شويحات فذبحته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يداها فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل (٥) » . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلمني شيئاً من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله ما أكلته إلا برهن فأخبرته فقال والله إنى لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل البرار وللطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والمقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمناً فأنما سر الله الحديث قال المقبلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لذ أخاه بما يشتبه كتب الله له ألف ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

#### ( الباب الرابع في آداب الضيافة )

(٣) حديث لا تسكفوا للضيف قبضوه فانه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا تسكفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق متكلم فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباً امرأة لها شويحات فذبحته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي الهيثم مرسلاً

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك الحدود والأحكام والحلال والحرام . وقد سئل سهل عن رجل يقول أنا صك الباب لا أتحرك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود الصودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطاً للأئمة عن نفسه وانحلالاً عن الدين ورسمه فأما من كان معتقداً للحلال والحرام والحدود والأحكام معترفاً بالمصية إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى



ولو أسلفني لأدبته فاذهب بدرعى وارهنه عنده <sup>(١)</sup> وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميالين يلتمس من يتعدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقض ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام الوضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام <sup>(٢)</sup> » وقال <sup>(٣)</sup> « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام <sup>(٤)</sup> » وسئل عن الحج للبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام <sup>(٥)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لاتحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يسمد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار <sup>(٦)</sup> » فيدعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل كل إطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى <sup>(٧)</sup> » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء <sup>(٨)</sup> » وينبغي أن لا يهمل أقربه في ضيافته فإن إهمالهم إجحاش وقطع رحم وكذلك يرعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إجحاشاً لقلوب الباقين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته البهاة والتفاخر بل استئالة قلوب الإخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشقى عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب للدعوة فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقى إغانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والابرة أما أنت فمن الظلمة تقسم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض اللواضع قال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت <sup>(٩)</sup> » وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز النني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهى عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال : انتظار المركة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غیری فقد ذلت له رقبتي ومن

(١) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والحرانطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير باسناد ضعيف (٢) حديث مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ أي الإسلام خير ؟ قال تعظم الطعام وتقري السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ت وصححه وك من حديث معاذ وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث سئل عن الحج للبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامكم الأبرار د من حديث أنس باسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل كل إطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت خ من حديث أبي هريرة .

الأسفار والتردد في البلاد متوصلاً إلى تناول اللذات والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذه ويصره بعيب ماهوفيه والله الموفق . [الباب العاشر في شرح رتبة للشيخة] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ومحبتون عباد الله إلى الله ويعشون على الأرض بالنصيحة » وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة الشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عباده حقيقة ويجب عباد الله إلى الله ، ورتبة الشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونياحة النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

الشيخ يحجب الله إلى عباده فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - ووجه كونه يحجب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انجلى مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلى فأحب العبد ربه لاهمالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أفلح من زكاه - وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انجلى لاحت فيها الدنيا بجمها وحقيقتها

التكبرين ممن يحجب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يحجب دعوة العبد ودعوة المسكين (١) ومروا الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من الساكنين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخروا الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بهامة وكان يرى ذلك بدا له على المدعو ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي له يتقلد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستقل الطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته (٢) بل الأولى التملل ، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا مخلوق فيها منه فإذا علم المدعو أنه لائمة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخشي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتنت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فقلت أنه عقوبته وقيل لمعرف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك عمر إليه فقال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الاجابة بعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في التوراة أو بعض الكتب سربلاعد مريضا سربيلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحى فهو أولى من البت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت (٤) » وهو موضع على أميال من المدينة أظرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان (٣) لما بلغه وقصر عنده في سفره (٥) . الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطفر وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يعتسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور (١) حديث كان يحجب دعوة العبد ودعوة المسكين ت . من حديث أنس دون ذكر المسكين وضففت وصححه (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام التبارين قال د من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللعقيلي في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهيين والتبارين المتعارضان بفعلهما للباهاة والرياء قاله أبو موسى الدينى (٣) حديث لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف لودعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع لقبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغميم لم أقفله على أصل وللعقيلي في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالعقيق يريد إذا بلغه وهذا يرد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم .

قلبه فليصدق بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم <sup>(١)</sup> » وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فتوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين. الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط للفروش من غير حلال أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من الزمير واللاهى أو التشاغل بنوع من اللهو والعرف والمزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحریمها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للأخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله « لودعيت إلى كراع لأجبت » وينوى الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحب الداعي فقد عصي الله ورسوله <sup>(٢)</sup> » وينوى إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله <sup>(٣)</sup> » وينوى إدخال السرور على قلبه امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من فكأنما أكرم الله <sup>(٤)</sup> » وينوى مع ذلك زيارته ليكون من التحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور والتبازل <sup>(٥)</sup> وقد حصل البذل من أحد الجانبين فحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يعمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجرى مجراه فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات أحدها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه <sup>(٦)</sup> » والنية إنما تؤثر في الباحات والطاعات أما النيات فلا فائدة لونها أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يحز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالفرز الذي هو طاعة الباهة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك الباح للرد بين وجوه الخبرات وغيرها يلتحق بوجوه الخبرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لافي القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أبي سعيد الخدري صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث ولقد ارقطني نحوه من حديث جابر (٢) حديث من لم يحب الداعي فقد عصي الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى الأصفياني في التغيب والترهيب من حديث جابر والقبلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسناده ضعيف (٤) حديث من سر مؤمناً قدس الله نعمته في الباب قبله (٥) حديث وجبت عبيق للمزاورين في التبازلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أشار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب .

وماهيتها ولاحت  
الآخرة ونفائسها  
بكنها وغايتها  
فتكشف للبصيرة  
حقيقة الدارين  
وحاصل المنزلين فيجب  
العبد الباقي ويذهب في  
القاني فتظهر فائدة  
التركية وجدوى  
الشيخة والترية  
فالشيخ من جنود الله  
تعالى يرشده المريد  
ويهدى به الطالبين .  
أخبرنا أبو زرعة عن  
أبيه الحافظ المقدسي  
قال أنا أبو الفضل  
عبد الواحد بن علي  
بهذان قال أنا أبو بكر  
محمد بن علي بن أحمد  
الطوسي قال ثنا  
أبو العباس محمد بن  
يعقوب قال ثنا أبو عتبة  
قال ثنا بقية قال ثنا  
صفوان بن عمرو قال  
حدثني الأزهر بن  
عبد الله قال قد سمعت  
عبد الله بن بشر صاحب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال كان  
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالترحمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخافه ألبته فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد لمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره وبغض بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال النسل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يتقدم بالفصل وفي آخر الطعام يتأخر بالنسل لينتظر أن يدخل من يأكل فبأكل كل معه وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان ومماح للالهى والزماير وحضور النسوة للتكشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كفة فينبى أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كانت السكبة وقال إذا أكرى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبى أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكبة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها (٢) » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا الحرير تزيين السكبة بل الأولى بإباحته لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالله كورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للمعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخر فقيرا أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد العيين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم للكريم - إهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فما لبث أن جاء بعجل حنيذ - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل ممين - والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وإنما سمى عجلا لأنه عجله ولم يلبث قال حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة التملين من حديث طلحة بن عبيد بسند جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي دن . من حديث على وفيه أبو أفلح الحمداني جهله ابن القطان ون ت وصححه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريج .

عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر على الشايخ وقار الله بهم يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهم أقاموا - فالشايخ لما اهتموا أهواؤهم لاقتناء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكرى فإذا جعلت همته ولذته في ذكرى عشقني وعشقتة ورفقت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو إذاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرقتهم عنهم والسرفى وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وتزويج البكر وقضاء الدين والتوب من الذنب<sup>(١)</sup> ويستحب التمجيل في الوليمة ، قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث شرباء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً إن كانت فذلك أوفق في الطب فأنها أسرع استحالة فينبغي أن شمع في أسفل اللمة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتريد قد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام» [١] فان جمع إليه حلاوة بعده قد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الخنيز أي الخنزير وهو الذي أجيد فضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وأنزلنا عليكم اللبّ والسّلى - اللبّ السّلى والسّلى اللحم مسمى سّلى لأنه يتسلى به عن جميع الآدم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام «سيد الآدم اللحم» ثم قال بعد ذكر اللبّ والسّلى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أهل الطيبات يورث الرضا عن الله ويتم هذه الطيبات شرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الفصل قال للأمون شرب الماء بلع يخلص الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرية وبورانية وسقيهم ماء بارداً فقد أكلت الضيافة وأتقى بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبرك جيداً وماؤك بارداً وخلك حامضاً فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمسك على للسائدة خير من زيادة لونين ويقال إن اللسانكة تحضر للسائدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين بالخضرة وفي الخبر إن للسائدة التي أنزلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث وكان عليها ثمرة عند رأسها حل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للمواقة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألقها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترفين تقديم القليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة وصفقون التصاع من الطعام على للسائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . ويعكس عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض الشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخراً فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الرءوس للشوية طيبها وقديداً فكنا لأننا كل نتظر بعدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فأنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام ونهيز البيت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب من حديث سهل بن سعد الأثناة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعشى لأعلم إلا أنه رفضه وروى الزبي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن قتيبة عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأثناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صبح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنابة... الحديث وهذا مرسل وت من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنابة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤاً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في الشمائل وغيره .

مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لا يزال يسلك بصدق العامة حتى تطمئن نفسه وبطمأنيتها ينزع عنها البرودة واليوسة التي استصحبها من أصل خلقها وبها تستصحب على الطاعة والالتقاء للمبودية فأذا زالت اليوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة إليها وهذا اللين هو الذي ذكره الله تعالى في قوله - ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - تعالى تجيب إلى العبادة وتلين لقطاع عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذو وجهين أحدهما وجهه إلى النفس والوجه الآخر إلى الروح يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه الذي يليها حتى تطمئن النفس فأذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياستها

فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتينا إلى السحور فلماذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده . الرابع : أن لا يادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستيفاء حتى يرفضوا الأيدي عنها فاعمل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتغنص عليه بالمبادرة وهي من التحمك على المائدة التي يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن السورى وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حمل وكان في صاحب المائدة نخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام السورى يمدو خلف الحمل قبيل له إلى أين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فأنهم يستحيون بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلا كان بعض السكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومسده يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية قص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراة لاسيا إذا كانت نفسه لاتسمع بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان يا أبا اسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فإن لم تكن هذه التبة فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهيا أن نجيب دعوة من يياى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام الباهأة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبغى أن يزل أولا نصيب أهل البيت حتى لاتكون أعينهم طامعة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع تضيق صدورهم وتطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطمع الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فإن كان بظن كراهيته فلا ينبغى أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغى أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لاعتن حياء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال عليه السلام «إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار» [١] قال أبو قتادة قدم وفد النجاشي عن رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا الأنحاض مكرمين وأنا أحب أن أكرمهم [١] لو تمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للأوزاعي رضى الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبي زيادة ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعنا طعاما حسنا الثانى أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليدرك بحسن [١]

اتهى ملوكه وتمكن من سياسة النفس واتقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله ثم القلب يشرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس المرادين والطالبيين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النغية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والمرید من وجه التألف الإلهى قال الله تعالى - لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس المریدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون فى الشيخ حينئذ معنى التحلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : الأطال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشي وحديث إن الرجل ليدرك بحسن مخرجهم العراقى .

خلقه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة إن بقيت قال لم تبقى قال فالتقدر أمسحها قال قد غسلتها فانصرف يحمده الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجنيدي دعى صبي إلى دعوة أياه أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور ولقلب الأب بالانصراف فهذه نفوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون السكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لا أجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يجعل عنا كده ومؤته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذائل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فرجا يتبرم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة (١) » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله القام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان (٢) » .

### ( فصل يجمع آدابا ومناهى طيبة وشرعية متفرقة )

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة (٣) وأسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل عنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتى ونشرب ونحن قيام (٤) . ورؤى بعض المشايخ من المتصوفة المروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويمحك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أستحي أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشرم ويقدم ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال على رضي الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير في جسده شيئا يسكره واللحم يفت اللحم والتريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الألتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء ومنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النساء بشيء أفضل من الرطب ، والسمنك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك ينهان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالعداء

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فإذا دقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف ورواه ابن عدي . كامل من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كنانا كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتى ونشرب ونحن قيام وصحة .

الصاحب والصاحب  
يصير المرید جزء  
الشیخ كما أن الولد  
جزء الوالد في الولادة  
الطبیعیة وتصر هذه  
الولادة آتفا ولادة  
معنویة كما ورد عن  
عیسی صلوات الله علیه  
لن یلج ملکوت  
السما من لم یولد مرتین  
فبالولادة الأولى یصر له  
ارتباط بعالم الملك وبهذه  
الولادة یصر له ارتباط  
بالمملکوت قال الله  
تعالی - وكذلك نرى  
إبراهیم مملکوت  
السماوات والأرض  
ولیکون من الموقنین -  
وصرف الیقین على  
الکمال یحصل فی هذه  
الولادة وبهذه الولادة  
یستحق میراث الأنبیاء  
ومن لم یصله میراث  
الأنبیاء ما ولد وإن  
کان على کمال من  
الفطنة والدکاء لأن  
الفطنة والدکاء نتیجة  
العقل والعقل إذا کان  
یابساً من نور الشرع  
لا یدخل للمملکوت

وليكرر العشاء وليلبس الحذاء ولين يتداوى الناس بشيء مثل السمك [١]. وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبعض الأطباء صفه أخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء إلا فتاة ولانأ كل من اللحم إلا فتاة ولانأ كل للطبوح حتى ينعم فضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولانأ كل من الفاكهة إلا نضيجها ولانأ كلن طعاما إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلانأ كلن عليه شيئا ولا تحبسى الغائط والبول وإذا أكلت بالتهار فم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تمام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب فقد تعدت تشي تشي يعني تعدد كما قال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أى يتمطط ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد التمر ما حوله إذا سد مجراه . الرابع : في الجبر « قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة (١) » والعرب تقول ترك الضاد يذهب بشحم الكاذبة يعني الآية وقال بعض الحكماء لابنه يابني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أى تغذى إذ به يبقى اللحم ويذول الطيش وهو أيضا أقل لشهوته لما يرى في السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فهمى قال من أكل كل باب البروصغار العز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان . الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو طي يقين من السكره وطى شك من العوافى وهذا حسن في حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال أنا أكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما أكل بالشق الآخر (٢) » يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يعمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نعى جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا بيتهم عن صنع طعامهم فأحملوا إليهم مايا كلون (٣) » فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما يهيا للتوانخ والعينات عليه بالبكاء والجوع فلا ينفى أن يؤكل معهم . السابع : لا ينفى أن يحضر طعام ظام فإن أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض الزكيين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكى على الأكل فقال إما أن أكل وأخلى التزكية أو أزكى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تركته فتركوه . وحكى أن ذا النون المصرى حبس ولم يأكل أياما في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاما من مغز لها على يد السجن فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءنى على طبق ظام وأشار به إلى يد السجن وهذا غاية الورع . الثامن : حكى عن فتح الوصلى رحمه الله أنه دخل على بشر الحافى زائرا فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاما جيدا وأدما طيبا ، قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشئء

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهمة ابن عدى في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشرط الأول وت من حديث أنس بالشرط الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشرط الثانى من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيا يأكل تمرًا وإحدى عينيه رمداء فقال له أنا أكل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . من حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نعى جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا بيتهم عن طعامهم فأحملوا إليهم مايا كلون د ت . من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

ولا يزال مترددا في الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التي منها تنبث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من ترجم عنه وليس ككل ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العربية عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لو قوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن في الولادة الطبيعية ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السمك ليس موجودا بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فليأمل اه .



اللهم برك لنا فيه وزدنا منه (١) سوى اللبن فلتشريت اللبن واشتريت تمرا جيدا قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال جبر أندرون لم قلت لعتق طعاما علينا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أندرون لم يقل لي كل لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أندرون لم حمل حايقي لأنه إذ أصبح التوكل لم يضر الحمل . وحكى أبو حنيفة الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال لمرجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطفئه فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو حنيفة الروذباري أحمالا من السكر وأمر الخلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف ومخاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أنحاء الأكل باصبع من اللقمة وباصبعين من السكر بثلاث أصابع من السنة (٢) وبأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة القسل من غير جماع ولبس الكتان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة اللحم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تقوى البصر الجلوس تجاه القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الحضرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والعود في استدبار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير وأكل الأطرغل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء فنوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض ونوم على اليمن وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والدواك . ومجالسة الصالحين والعلماء ، وأربعة هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

### ( كتاب آداب النكاح )

( وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى ولا تزال لطائف نعمه على العالمين ترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرث الجبر واستبق بها نسلهم إقهارا وقسرا ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا محرما بسببها السفاح وبالغ في تقييده ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرأته بآداب النكاح وحث عليه استحبابا وأمر فسخان من كتب اللوث على عباده فأذلهم به هدماء وكسرا ثم بث بدور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوث جبرا تنبيه على أن بحار القادير فياضة على العالمين نعمًا

(١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل

(٢) حديث الأكل بثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفا كل بثلاث أصابع فانه من السنة .

( كتاب آداب النكاح )

بمعد كل ولد ذرة وهي القرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بالست ربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى بيطن نعلان بين مكة والطائف فسالت الذرات من مسم جسمه كما يسيل العرق بمعد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ الذرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه شيء فينقطع نسله وهكذا المشايخ فمنهم من تكثر أولاده وبأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحبة ومنهم من نقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا محمد أتر لنا نسل له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرا وعسرا ويسرا وطيا ونشرا والصلاة والسلام على محمد البعوت بالإندار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحسن دون عدوانه حين وسبب للتكثير الذي به مباحها سيد المرسلين لسائر النبيين لما أحراه بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصد موآرأه وتفصل فصوله وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني . في الآداب المرعية في العقد والعاقدين . الباب الثالث : في آداب العاشرة بعد العقد إلى الفراق ( الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه )

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن تقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

### ( الترغيب في النكاح )

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تضلوهن أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من الضل ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومدح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا للتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قيل إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة وقيل لتض البصروا ما عيسى عليه السلام فانه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقولہ ﷺ « النكاح سنن من رغب عن سنن فقد رغب عنى » وقال صلى الله عليه وسلم « النكاح سنن من أحب فطرني فليسنن بسنن (١) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط (٢) » وقال أيضا عليه السلام « من رغب عن سنن فليس منى وإن من سنن النكاح من أحبني فليسنن بسنن (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا (٤) »

### ( الباب الأول في الترغيب في النكاح )

(١) حديث النكاح سنن من أحب فطرني فليسنن بسنن أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سنن فليس منى وإن من سنن النكاح من أحبني فليسنن بسنن متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنن فليس منى وباقيه تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف والدارمي في مسنده والبخارى في معجمه وأبي داود في الراويل من حديث أبي نجيع من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيع اختلف في صحته

شأنك هو الأبر -  
والافضل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم باق  
إلى أن تقوم الساعة  
وبالنسبة للنعوة يصل  
ميراث العلم إلى أهل  
العلم . أخبرنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
السهروردى إملاء قال  
أنا أبو عبد الرحمن  
للالقي قال أنا أبو  
الحسن الداودي قال  
أنا أبو محمد الحموي  
قال أنا أبو عمران  
السرقي قال أنا  
أبو محمد الدارمي قال أنا  
نصر بن علي قال حدثنا  
عبد الله بن داود عن  
عاصم عن رجاء بن  
حيوة عن داود بن  
جميل عن كثير بن  
قيس قال كنت جالسا  
مع أبي الدرداء في  
مسجد دمشق فأتاه  
رجل فقال يا أبا الدرداء  
إني أمتك من المدينة  
مدينة الرسول صلى  
الله عليه وسلم لحديث  
بلغني عنك أنك تحدثه  
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج <sup>(١)</sup> » وقال « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء <sup>(٢)</sup> » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الحصىتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير <sup>(٣)</sup> » وهذا أيضا تعليل الترغيب لحوف الفساد . وقال <sup>(٤)</sup> « من نكح الله وأنكح الله استحق ولاية الله <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني <sup>(٥)</sup> » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان الفساد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثا وله صالح يدعوه <sup>(٦)</sup> » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فيبين أن الدين غير مانع منه وحصر للمانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جعله من النسك وتسمه له ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا ببراغ القلب ولذلك كان يجمع غلظانه لما أدر كوا عكرمة وكريبا وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنكحتم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لولم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطمونا فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على أنهم رأيا في النكاح فضلا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله <sup>(ﷺ)</sup> يخدمه ويبسب عنده لحاجة إن طرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأنقطع عن خدمتك فكت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال قلت يا رسول الله لا شيء لي فقال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة ونقل عن خ أنه لم يعمده محفوظا وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه ورواه د في الراصيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواه (٤) حديث من نكح الله وأنكح الله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى قه وأحب قه وأبض قه وأنكح الله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي الاستدرك وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم يتقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعوه م من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فإ  
جاء بك تجارة قال لا  
قال ولا جاء بك غيره  
قال لا قال صحت  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول « من سلك  
طريقا يلتمس به علما  
سلك الله به طريقا  
من طرق الجنة وإن  
الملائكة لتضع أجنحتها  
رضا لطالب العلم وإن  
طالب العلم يستغفر له  
من في السماء والأرض  
حتى الحيتان في الماء  
وإن فضل العالم على  
العابد كفضل القمر  
على سائر النجوم وإن  
العلماء هم ورثة الأنبياء  
إن الأنبياء لم يورثوا  
دينارا ولا درهما إنما  
أورثوا العلم فمن أخذه  
أخذ بحظه أو بحظ  
وافر » فأول ما أودعت  
الحكمة والعلم عند آدم  
أبي البشر عليه السلام  
ثم انتقل منه كما انتقل  
منه النسيان والعصيان  
وماتدعو إليه النفس  
والشيطان كما ورد إن  
الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة (١) » وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لني زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنة فاعظم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لمست أحرمه ولكني فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجه أنت فرزجه النبي عليه السلام ابنته ، وقال جبر بن الحرث : فضل على أحمد بن حنبل بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبد الله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فانه لما قيل له إن الناس يشكمون فيك تركك النكاح ويقولون هو تارك السنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد عد على مثل حد السنان ومع ذلك قد روى أنه رأى في المنام قبيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منزلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل التأهلين وفي رواية قال ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا له ما فعل أبو نصر التمار فقال رفع فوقى بسبعين درجة قلنا بماذا قد كنا نراك فوقه قال يصبره على بيناته والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالمزوجة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنافيه قال فما الذي يمنعك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل التأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : فقد قال **عليه السلام** « خير الناس بعد الماتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك (٣) » وفي الخبر « قللة العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين (٤) » وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد التأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى .

(١) حديث كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في حديث طويل وهو صاحب القصة بأسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد الماتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قللة العيال أحد اليسارين وكثرهم أحد الفقيرين القضاة في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمر وابن هلال المزني كلاهما بالشرط الأول بسندين ضعيفين .

حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهر التي خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله إليها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - اثنا طوعا أو كرها قلنا أئينا طاعتين - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انتزعت هذه الخاصة منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصة فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخطيئة في أكثر الأقاويل فتطرق لقلبه الفناء وبإكرام الله إياه بنفع الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته ونفخت

وقال أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغله بأهل ولا مال . وقال ابن أبي الحواري تظاهر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معنى أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان المدايني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمحصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير المنزل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والقصود إبقاء النسل وأن لا يغفل العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفعل في إخراج البذر وبالأثني في التمكين من الحرث تطفلا بهما في الساقية إلى اقتناس الولد بسبب الوقاع كالقلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهي ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب السبل على الأسباب مع الاستئناء عنها إظهارا للقدرة وإعظاما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به الشبهة وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا . الأول موازنة محبة الله بالسمي في تحصيل الولد لا بقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته . والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجاهيل وهو أحقها وأقواها عند ذوى البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهياكله أرضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة وكل به من يتقاضاه عليها فإن تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للعقوبة والعقاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في الفقار وهياكلها في الأنثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثيين فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الأبواب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم المراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وبإباح السر فكل مجتمع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلق المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم القصر الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوادين فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والمرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه ببشارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - فان قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب يومهم أن فناء ما مكروه عنده الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاءهم عن فناءهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روحى - قال  
العلم والحكمة بالقسوة  
صار ذا نفس منقوسة  
وبنفع الروح صار ذا  
روح روحاني وشرح  
هذا يطول فصار قلبه  
معدن الحكمة وقلبه  
معدن الهوى فانتقل  
منه العلم والهوى وصار  
ميراثه في ولده فصار  
من طريق الولادة أبا  
بواسطة الطباع التي هي  
محتد الهوى ومن  
طريق الولادة العنوية  
أبا بواسطة العلم فالولادة  
الظاهرة تطرق إليها  
الفناء والولادة العنوية  
محبة من الفناء لأنها  
وجدت من شجرة الخلد  
وهي شجرة العلم لا شجرة  
الخنطة التي سماها إبليس  
شجرة الخلد فإبليس  
يرى الشيء بضد فبين  
أن الشيخ هو الأب  
معنى وكثيرا كان  
شيخنا شيخ الإسلام  
أبو النجيب السهروردي  
رحمه الله يقول ولدي  
من سلك طريقى  
واهتدى بهدي فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي بإضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها  
ولكن المحبة والكرهية يتضادان وكلاهما لا يصادان الإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي  
مكروهة وهي مع الكراهية مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر  
والشر فلا يقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف  
يكون القناء بالإضافة إلى محبة الله وكرهته كالبقاء فإنه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كترددى في  
قبض روح عبدى السلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدله من الموت (١) » قوله لا بدله  
من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكر في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفي  
قوله تعالى - الذى خلق الموت والحياة - ولانقضية بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -  
وبين قوله « وأنا أكره مساءته » ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة  
والكرهية وبيان حقائقها فان السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكرهاتهم  
وهيات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتههم وكما أن ذوات الخلق  
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا  
صفاته لاتناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلية في علم للكاشفة ووراء سر القدر الذى منع  
من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على النكاح  
والإحجام عنه فان أحدهما مضيع لسلامة أدام الله وجوده من آدم عليه السلام عقباً بعد عقب إلى أن انتهى  
إليه فالمتنع عن النكاح قد حسم الوجود للاستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه  
فما أتبر لاعتقابه ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون  
زوجونى لألقى الله عزياً . فان قلت لما كان معاذ يتوقع ولداً في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه .  
فأقول الولد يحصل بالوقوع ويحصل الوقوع بياض الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما العلق  
باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد قد أدى ما عليه وفعل ما إليه  
والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً فان نهضت الشهوة خفية لا يطلع  
عليها حتى إن المسوح الذى لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضاً في حقه على الوجه الذى يستحب  
للأصغر إمرار موسى على رأسه اقتداء بغيره وتشبهاً بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والاضطباع  
في الحج الآن وقد كان المراد منه أولاً إظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالدين أظهر وأجلد  
سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث  
وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهية تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فان ذلك  
لا يغلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع قور  
الشهوة . الوجه الثانى السعى في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكثير ما به مباحاته إذ  
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى  
عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيراً ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار في  
مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لاتلد (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددى في قبض روح عبدى السلم يكره الموت  
وأنا أكره مساءته ولا بدله منه خ من حديث أبى هريرة انفرد به خالد بن مخلد القطوانى وهو  
متكلم فيه (٢) حديث الحصير في ناحية البيت خير من امرأة لاتلد أبو عمر التوفائى في كتاب معاشره  
الأهلين موقوفاً على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعاً .

الذى يكتسب بطريقة  
الأحوال قد يكون  
مأخوذاً في ابتدائه في  
طريق المحبين وقد  
يكون مأخوذاً في طريق  
المحبوبين وذلك أن أمر  
الصالحين والسالكين  
ينقسم أربعة أقسام  
سالك مجرد ومجذوب  
مجرد وسالك متدارك  
بالجذبة ومجذوب  
متدارك بالسلك  
فالسالك المجرد لا يؤهل  
للمشيخة ولا يسلطها لبقاء  
صفات نفسه عليه  
فيقف عند حظه من  
رحمة الله تعالى في مقام  
للعامة والرياسة ولا  
يرتقى إلى حال بروحها  
عن وهج للكابد  
والمجذوب المجرد من  
خير سلوك بيادته الحق  
بآيات اليقين ويرفع  
عن قلبه شيئاً من  
الحجاب ولا يؤخذ في  
طريق العامة والمعاملة  
أمر تام سوف تشرحه  
في موضعه إن شاء الله  
تعالى وهذا أيضاً  
لا يؤهل للمشيخة ويقف

وقال « خير نسائك الولود الودود (١) » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد (٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح للتحسين وغيض البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعوله كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور (٣) » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فإنه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فإنه لا تزر وأزرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - أى ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا قد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة (٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى ممتلئا غيظا وغضبا » ويقول لأدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة (٦) » وفي خبر آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرجا بذراى المسلمين ادخلوا لأحساب عليكم فيقولون فأين آباؤنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آباؤنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا

(١) حديث خير نسائك الولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أديه الصدفي قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور رويناه في الأربعين المشهورة من رواية أبي هذبة عن أنس في الصدقة عن الليث وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته وكلاهما ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك م من حديث أبي هريرة (٦) حديث إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لأدخل إلا وأبواى معى الحديث حب في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح و ن من حديث أبي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآباؤكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش العراقى بأحد النسخ الممول عليها مانصه قلت : ولأنى يعلى بسند ضعيف ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود فإنى مكاتر بكم الأمم رواه عبد الله وله من حديث أبي موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتنى لاتلد أفأتزوجها ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تتبعها نفسه فقال يا رسول الله قد أعجبتنى هذه المرأة ونحمرها أعجبتنى دها ونحمرها أفأتزوجها ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شمرت أتى مكاتر بكم الأمم سننه ضعيف .

عند حظه من الله  
مروءة بحاله غير مأخوذة  
في طريق أعماله ماعدا  
الفرصة والسالك  
الذى تدورك بالجنبة  
هو الذى كانت بدايته  
بالمجاهدة والكتابة  
والعامله بالإخلاص  
والوفاء بالشروط ثم  
أخرج من وهج  
الكتابة إلى روح  
الحال فوجد العمل بعد  
العلم وتروى بنسبات  
الفضل وبرز من مضيق  
الكتابة إلى متسع  
المساحة وأونس  
بنفحات القرب وقبح  
له باب من للشاهدة  
فوجد دواءه وقاض  
وعاؤه وصدرت منه  
كلمات الحكمة ومالت  
إليه القلوب وتوالى  
عليه فتوح الغيب وصار  
ظاهره مسددا وباطنه  
مشاهدا وصلح للجلوة  
وصار له فى جلوته  
خولة فيقلب ولا يضب  
ويقرس ولا يفرس  
يؤهل مثل هذه الشيخة  
لأنه أخذ فى طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة<sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحظار من النار<sup>(٢)</sup> » وقال ﷺ من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان<sup>(٣)</sup> . وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فستل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الوقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلائق في شدة العطش والسكر فتنح كذا ذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكر الناس ثم عدت يدي إلى أحدهم وقلت استغنى قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقى آباءنا قتلنا ومن أتم قالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد للماني المذكورة في قوله تعالى - فأتوا حرائكم آتى شتم وقدموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد . الفاعلة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لطمعه وصارف لشر سطوته وليس من يجب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كإلزام مثلاً قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالطرفة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لودامت فهي منهية على اللذات الموعودة في الجنان إذ الترهيب في لذة لم يجد لها ذوقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترهيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثة على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعمية الإلهية كيف عييت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة المرء يبقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون أين آبائنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتضر بحظار من نار البرار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إنه مات لي ابنان سوى هذا فقال لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد وسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتظرت بحظار شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنع حالا من أحوال المقربين بعدما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافر سنى والذين أوتوا العلم درجات ولكن اللقام الأكل في الشيخة القسم الرابع وهو المجذوب للتدارك بالسلوك يادته الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستتير بأنوار للشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الضرر وينيب إلى دار الخلود ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم



الواصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة ومعانيها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاح بسبب دفع فائقة الشهوة مهم في الدين لسكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا تغلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجما بلجام التقوى فتأنيته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتعدته بأمر الوقوع ولا يفتقر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقوع ما لو صرح به بين يدي أحسن الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى قوله تعالى - ولا تحملنا مالا طاقة لنا به - هو النكاح . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالوا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - إنه لا يصبر عن النساء وقاله فياض بن نجيح إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شر غاسق إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا هاجت لا يقاومها عقل ولادين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكهن <sup>(١)</sup> » وإنما ذلك لمهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شرمعى وبصرى وقلبي وشرمني <sup>(٢)</sup> » وقال « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي <sup>(٣)</sup> » فما يستعذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفًا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلي عن حالي إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي مصيبة وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوى الدين ما لدى تتسكروهم قال يأكلون كثيرا قال وأنت أيضا قال وأنت أيضا لو جمعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنب يقول أحسب أني أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكهن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر ممى وبصرى وشرمني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هو في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

من باطنه على ظاهره وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلاذة وهناء ويصير قلبه بصفة قلبه لا متلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى إرادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل ويعرض عنه فيواصل يذهب عنه جمود النفس ويصطلى بحرارة الروح وتنكشف عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتأقت إليها نفسه أن يجامع أهله (١) ، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم : إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها (٢) وقال عليه السلام « لا تدخلوا على النفيات وهي التي غاب زوجها عنها فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم (٣) » قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يخطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يقتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثا من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء (٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيع نكاح الأمة عند خوف العنت مع أن فيه إرقاق الولد وهونوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يرجع فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك فقال ابن عباس إن العالم بعزلة الوالد لما كنت أفضيت به إلى أيك فأفوض إلى به فقال إني شاب لازوجتي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت يدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال آف وتفت نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب القلم مردد بين ثلاثة شروء أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمنام باليد وأخفها الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منها لأنهما محذوران يفرع إليهما حذرا من الوقوع في محذور أشد منه كما يفرع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة للطفلة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد للتأكل من الحشرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يميم الكل بل الأكثر قريب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فيعتمد هذا الباعث في حقه ويبقى ماسبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للمسحوق وهو نادر ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصى المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فإن يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتأقت نفسه إليها أن يجامع أهله أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فإنه من أمثال أفعالكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النفيات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ت من حديث جابر وقال غريب ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بعد يومى هذا على مغبة إلا ومعه رجل أو اثنتان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه غ .

حال المهبوب للمراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السيل إلى القلب قهيل له يحرم عليك ولكن السيل لك في مجارى المروق للشبكة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت المروق عرفت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة للترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نيبا أو وليا قلعت تلك المروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت المروق لم تصل إلى الشبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمهبوب المراد الذى أهل للشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولأن جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أمار بالسوء مستعصية

إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهنّ وقد قال عليه الصلاة والسلام « للحسن أشبه خلقي وخلقى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حسن مني وحسين مني (٢) » قيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فليُنظر إليه في الكثرة والقلة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجاسة والنظر واللعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق تمور لأنه على خلاف طبعها فلو كلفت الداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذارت وحت بالذات في بعض الأوقات قوية ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويذهب القلب وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا كرهت عميت وفي الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات (٣) » ومثله بلفظ آخر « لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرممة لمعاش أو لذة في غير محرم (٤) » وقال عليه الصلاة والسلام « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سق قد اهتدى (٥) » والشرّة الجدو المكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنني لأستجم نفسي بشيء من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضغني عن الوقاع فدلىني على الهريسة (٦) » وهذا إن صح لا عمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأنس وقال عليه الصلاة والسلام « حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عين في الصلاة (٧) » فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب إعتاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبهت خلقي وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جحيفة ولترمذي ومصحح وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين من علي أحمد من حديث القناد بن معديكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يناجي ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه حب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرممة لمعاش أو لذة في غير محرم حب من حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سق قد اهتدى أحمد والطبراني من حديث عبدالله بن عمرو ولترمذي نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضغني عن الوقاع فدلىني على الهريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والعقيلي من حديث معاذ وجابر بن سمرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزد في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال العقيلي باطل (٧) حديث حب إلى من دنياكم الطيب والنساء وقرّة عين في الصلاة من حديث أنس باسناد جيد وضعفه العقيلي .

ولأن الجلالين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الإلهية فيستبغ الروح القلب ويستبغ النفس القلب فامتزجت الأعمال القلبية والقالية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً فنفدت ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطراً على الحال لا الحلال مسيطراً عليه وصبر حراً من كل وجه والشيخ الأول القدي أخذ في طريق المحبين حر من رقي النفس ولكن ربما كان باقياً في رقي القلب وهذا

وهي خارجة عن الفائدةين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسحوق وعن الشهوة إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك : وأمّا قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمّا لها فهو مما يكثر ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والحضرة وأمّا لها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبة بن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له . الفائدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكس والغرض وتنظيف الأواني وتهية أسباب المعيشة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لصاعاً كتر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة الصالحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنصات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغك للآخرة وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذا كرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته <sup>(١)</sup> » فانظر كيف جمع بينهما وبين الذكر والشكر وفي بعض التفسير في قوله تعالى - فلنحيينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأة صالحة وإن من غنا لا يحصى منه ومن غنا لا يفدى منه وقوله لا يحصى أي لا يتناهى عنه بعباءة وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عوناً له على العصية وأزواجى أعوان على الطاعة وكان شيطاناً كافراً وشيطاناً مسلماً لا يأمر إلا بخير <sup>(٢)</sup> » فمدعواؤها على الطاعة فضيلة فهذه أيضاً من الفوائد التي تصدها الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كفل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى أمرتين بل الجمع ربما ينقص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل . الفائدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم والسعي في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهم والقيام بتربيته لأولاده فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فاتها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقوقها والافتقار إلى الله عليه الصلاة والسلام « يوم من والعدل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قلبه ألا كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته <sup>(٣)</sup> » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذا كرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصلتين كانت زوجته عوناً له على العصية وأزواجى أعوان على الطاعة وكان شيطاناً كافراً وشيطاناً مسلماً لا يأمر إلا بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبان بن القلانسي قال ابن عدي كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل بعقرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من والعدل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألا كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته طب وهو من حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون مائة فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

الشيخ في طريق  
المحبوبين حر من رق  
القلب كما هو حر من رق  
النفس وذلك أن النفس  
حجاب ظلماتي أرضى  
أعنت منه الأول  
والقلب حجاب نوراني  
مماوى أعنت منه  
الآخر صار له لا قلبه  
ولموقعه لا لوقعه فبند  
الله حقاً وآمن به صدقا  
ويسجد لله سواده  
وخياله ويؤمن به فؤاده  
ويقر به لسانه كما قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في بعض  
سجوده ولا يتخلف  
عن العبودية منه شعرة  
وتصير عبادته مشاكلة  
لعبادة الملائكة - ووقه  
يسجد من في السموات  
والأرض طوعاً وكرها  
وظلالهم بالعدو  
والأصالة فالقوال بهى  
الظلال الساجدة لظلال  
الأرواح القريبة في عالم  
الشهادة الأصل كشف  
والظل لطيف وفي عالم  
الغيب الأصل لطيف  
والظل كشف فيسجد

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل عليّ أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته» (١) وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو تملكون عملاً أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين» (٢) وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال» (٣) وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكثرها عنه» (٤) وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا النعم بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا اللهم بطلب المعيشة» (٥) وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأنتفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له» (٦) كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لحمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً فكما نزل واحد فنظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول الآخرون نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم فخطت أن أسألهم هبة من ذلك إلى أن مر بي آخرهم وكان غلاماً فقلت له يا هذا من هذا المشوم الذي تؤمسون إليه فقال أنت قلت ولم ذاك قال كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فندجعة أمرنا أن نضع عملك مع الخالفين فما ندرى ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوماً دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذبه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله تعالى وقلت ما أنت متعاقب لي به في الآخرة فصجل لي في الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد بن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكثرها عنه أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا اللهم بطلب المعيشة الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنتفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من قال ثلاث بنات فأدبين وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سننه اختلاف .

لطيف البعد وكشفه وليس هذا لمن أخذ في طريق المحبين لأنه يستتبع صور الأعمال ويمتلئ بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لا غنى عن الأعمال كما لا غنى في عالم الشهادة عن القوالب فأدامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح في المقام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف الحق المحبوب المتق نظر دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالذواقل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمياً وبصراً ويذا ومؤيداً بي ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل

قزوت بها وأنا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتعمين الخلق فان للفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خبايا النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع أن رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينفع بها إلا أحد رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يمد أن يرى هذا طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحرارة الفكر والقلب وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بترتيبهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا تمتدّ خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحرارة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فإن الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادات في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل وفائده أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة أما آفات النكاح ثلاث الأولى: وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعاش فيكون النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك أهله والتعزب في أمن من ذلك وأما للتزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل سوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بديناره وفي الخبر «إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفق حق يستغرق تلك المطالبات كل أعماله فلا يبقى له حسنة فتنادى لللائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذنا بحقنا منه فانهما علمنا ما نجعل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتص لهم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله ببذل شراسلط عليه في الدنيا أنيابا تنشه يئس العيال وقال عليه الصلاة والسلام «لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يبقى به وبأهله وكان له من القناعة ما ينمعه من الزيادة فإن ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطيد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلطين ويقدّر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد سئل عن التزويج قال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق مثل الحمار يرى الأمان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية: القصور عن القيام بمقتضى الصبر على أخلاقهم واحتمال الأذى منهم وهذه دون الأولى في العموم فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتعمين الخلق منع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه راع ومسئول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول (٣) »

(١) حديث إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله والقيام بهم الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يحجده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول دن يلفظ من يقوت وهو عند م بلفظ آخر .

هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول في صورة محمودة دخل فيها لمراد الله تعالى لا لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى .

[ الباب الحادى عشر  
في شرح حال الخادم  
ومن يشبه به ]  
أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال يا داود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما الخادم يدخل في الجنة راغبا في الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لإيصال الراحة ويفرغ خاطر للقبيل على الله تعالى عن مهام معاشهم ويضع ما يفعله الله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقوقهم وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نقيم النار كأنني أنفسنا والإنسان قد يعجز عن القيام بحقوق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمانة بالسوء إن كثرت كثرت الأضرار بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل .

لن يسع الفأرة جحرها علفت المكس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لي فيها من أى من القيام بحقوقهم ومحصيتهم وإمتاعهم وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذاعيل أقطع وكان سفيان يقول :

يا حبذا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لا يصيب فيه ولا صباح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقوقهن يتفادى عن زللهم ويدارى بعقله أخلاقهم والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له . والآفة الثالثة : وهى دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحن تدبير العيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغول على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء وموانستن والامعان فى التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقض الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتفكير فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم ينج منه شيء وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكما ويعرض المرء عليه نفسه فإن اتفت فى حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجرد فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهومع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير للزول والتحصن بالعشيرة فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فإن اتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك القاعدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خبر فيما يشغل عن الله ولا خبر فى كسب الحرام ولا يبنى بنقصان هذين الأمرين

مع نيته فالخادم يفعل  
الشيء لله تعالى والشيخ  
يفعل الشيء لله فالشيخ  
فى مقام المقرين والخادم  
فى مقام الأبرار فيختار  
الخادم البذل والإيثار  
والارتفاق من الأغيار  
للأغيار ووظيفة وقته  
تصديقه لخدمة عباد الله  
وفيه يعرف الفضل  
ويرجحه على نوافله  
وأعماله وقد يقيم من  
لا يعرف الخادم من  
الشيخ الخادم مقام  
الشيخ وربما جهل  
الخادم أيضا حال نفسه  
فيحسب نفسه شيخة لقله  
العلم واندراس علوم  
القوم فى هذا الزمان  
وقناعة كثير من  
الفقراء من الشايخ  
باللحمة دون العلم والحال  
فكل من كان أكثر  
إطعاما هو عندهم أحق  
بالمشيخة ولا يعلمون  
أنه خادم وليس بشيخ  
والخادم فى مقام حسن  
وحظ صالح من الله  
تعالى . وقد ورد ما يدل  
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فإن النكاح للولد سعى في طلب حياة للولد موهومة وهذا قصار في الدين ناجز لحفظه  
لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين  
بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا  
انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجسم التقوى  
رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب  
الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر  
عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائما  
وفيه عصيان وعصيان أهله والنظر يقع أحيانا وهو يخصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن  
إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى الغنى أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى مصيبة الفرج  
فيرجع ذلك إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن  
لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الغنى أقرب وإنما  
يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن  
هذه الآفات بالفوائد ويعمكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشكك عليه شيء مما قلنا عن السلف من  
ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فان قلت فمن أمن  
الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعا من  
التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فان قدر على الكسب  
الحلال فالنكاح أيضا أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والواظبة على  
العبادة من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرقا للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت  
سوى أوقات الكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فان كان المجل بمن لا يسلك سبيل الآخرة  
إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال  
والقيام بالأهل والسعى في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعا من العبادات لا يقصر فضلها  
عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك  
النكاح أفضل . فان قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي  
لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق  
من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة  
وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة <sup>(١)</sup> متخليا لعبادة الله وكان قضاء  
الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم  
عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم غير غافلة عن مهماتهم  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى  
فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته <sup>(٢)</sup> ومتى سلم مثل هذا النصب لغيره فلا يبعد أن  
يغير السواقي ما لا يغير البحر الحضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم  
فانه أخذ بالحزم لا بالقوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة خ من حديث أنس وله من حديثه أيضا  
وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته خ من حديث أنس  
بأنه سلمة لا تؤذي في عائشة فانه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة  
ابن الحافظ أبي الفضل  
محمد بن طاهر القيسي  
عن أبيه قال أنا  
أبو الفضل محمد بن  
عبد الله القرني قال  
حدثنا أبو الحسن محمد  
ابن الحسين بن داود  
العلوي قال حدثنا  
أبو حامد الحافظ قال  
حدثنا العباس بن محمد  
الدوري وأبو الأزهر  
قالا حدثنا أبو داود قال  
حدثنا سفيان عن  
الأوزاعي عن يحيى بن  
أبي كثير عن أبي سلمة  
عن أبي هريرة أن النبي  
صلى الله عليه وسلم أتى  
بطعام وهو عمر  
الظهران فقال لأبي بكر  
وعمر كلا فقالا إنا  
صائمان فقال ارحلا  
صاحبيكما اعملا  
صاحبيكما ادنوا فكل  
يعني أنكما ضعفتما  
بالصوم عن الخدمة  
فاحتجتما إلى من  
يخدمكما فكلوا واخدما  
أنفسكما فالخادم يحرم  
على حيازة الفضل



معها طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكاسب وأخلاق النساء وما طرأ النكاح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقنا أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

### ( الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد )

أما العقد فأركاناه وشروطه لينتقد ويفيد الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن يزوجها غير الأب والجد . الثالث حضور شاهدين ظاهري العدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانقضاء للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناها الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما . وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة <sup>(١)</sup> ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيفا والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فانه أخرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البسر وطاب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزيد بالترسيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال <sup>(٢)</sup> . وأما المنكوحه فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب العيشة وحصول المقاصد . النوع الأول ما يعتبر فيه للحل : وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكوحه للغير . الثاني أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك عين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباضية فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل فإذا عدت كلتا الحصلتين لم يحل نكاحها وإن عدت النسب فقط ففيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والنكاح حرا قادرا على طول الحرة أو غير خائف من العنت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للنكاح ملك عين . التاسع أن تكون قريبة للزوج

### ( الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد )

(١) حديث النهي عن الخطبة على الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيوصل بالكسب تارة وبلاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالي أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة تخليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نية ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجعيد يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو فصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأعى بالأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كسابق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادى عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئن بالشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثانى عشر : أن تكون النكحة خامسة أى يكون تحت النكاح أربع سواها إما فى نفس النكاح أو فى عدة الرجعة فإن كانت فى عدة بينونة لم تمنع الخامسة . الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عماتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا نحل له مالم يطأها زوج غيره فى نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لاعنها فاتها تحرم عليه أبدا بعد اللعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بحج أو عمره أو كان الزوج كذلك فلا ينقذ النكاح إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . الثامن عشر : أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ : التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفى عنها أو دخل بها فانهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد فى زماننا فهذه هى اللوائح المحرمة . أما الحاصل المصلحة للعيش التى لا بد من مراعاتها فى المرأة ليوم العقد وتجو فرمقاصده ثمانية : الدين والحلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبى أن يقع الاعتناء فاتها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفوجها أرزت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء وعنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأثقة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن لى امرأة لا ترد يد لاس قال طلقها فقال إني أحبها قال أمسكها (١) وإنا أمره بامساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها فرأى ما فى دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا فى العصية مخالفا لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكر وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها » (١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لى امرأة لا ترد يد لاس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بنات والرسل أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكر وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

[١] قوله أو ملك بعقد أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن الملك ليس من المحرمات اه .

السرى يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ماهو قال لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تعطى منه أحدا شيئا والخدام يرى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والإيثار فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلا وللخدمة فضل على النافلة التى يأتى بها العبد طالبا بها الثواب غير النافلة التى يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود عقد قبل وعد . ومما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرنى والذى الحافظ المقدسى قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار بأصفهان قال أنا إبراهيم بن عبد الله ابن خرشيد قال حدثنا الحسين بن إسماعيل الحمامل قال

ودينها فضلك بذات الدين تربت يداك<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر «من نسكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نسكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها<sup>(٢)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ولا لمالها فلعل مالها يطمسها وانكح المرأة لدينها<sup>(٣)</sup>» وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له. الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القراغة والاستعانة على الدين فانها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يعتجن به الأولياء قال بعض العرب: لا تنكحوا من النساء ستة لا أمانة ولا مانة ولا خيانة ولا تنكحوا أحداً قهولاً براقة ولا شداقة. أما الأمانة فهي التي تكبر الأئمن والتشكي وتصبر رأسها كل ساعة فنكاح المراضة أو نكاح الممارضة لا خير فيه، وللمانة التي تمنى على زوجها فتقول فلت لأجلك كذا وكذا، والحنانة التي تمنى إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه، والحادقة التي ترمى إلى كل شيء بمحدثها فتشبهه وتنكف الزوج شراءه؛ والبراقة تحمل معنيين أحدهما أن تكون طول النهار في تصقل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تعصب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة عناية يقولون برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده، والشداقة للتشدة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام «إن الله تعالى يفيض الثرائين للتشدين<sup>(٤)</sup>» وحكى أن السائح الأزدى لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربما المختلة والمبارية والعاهرة والناشر، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب، والمبارية الباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا، والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخن وهي التي قال الله تعالى - ولا متخذات أخدان - والناشر التي تلعو على زوجها بالفعال والقتال والنشر العالي من الأرض، وكان على رضى الله عنه يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح. الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحسن والطبع لا يكتفى بالديممة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفرقان وما قلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين مثقف عليه من حديث أنى هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لمزها لم يزد الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يفض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بركة الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يطمسها يردبها من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الثرائين للتشدين وحسنه من حديث جابر وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون، ولأنى داود والترمذى وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه تغلل الباقرة بلسانها.

ثنا أبو السائب قال  
ثنا أبو معاوية قال  
ثنا عاصم عن مورك  
عن أنس قال كنا مع  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لنا الصائم  
ومنا للقطر فزلنا منزلاً  
في يوم حار شديد  
الحر لنا من يتقى  
الشمس يده  
وأكثرنا ظلاً صاحب  
الكساء يستظل به  
فنام الصائمون وقام  
القطرون فضربوا  
الأبنية وسقوا الركاب  
فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم «ذهب  
القطرون اليوم بالأجر»  
وهذا حديث يدل على  
فضل الخدمة على النافلة  
والخادم له مقام عزيز  
يرغب فيه فأما من  
لم يعرف تخليص النية  
من شوائب النفس  
ويتشبه بالخادم  
ويتصدى لخدمة  
الفقراء ويدخل في  
مداخل الخدام يحسن  
الارادة بطلب الناس  
بالخدام فتصكون

معنى الجمال أن الألف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما <sup>(١)</sup> » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والبشرة الجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن <sup>(٢)</sup> » قيل كان في أعينهم عشي وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون كراهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فأخبره هم وغم ومعلوم أن النظر لا يعرف الحلق والدين والمال وإنما يعرف الجمال من القبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فحصل خضابه فاستمدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسيتاه شابا فأوجهه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصبيها أتيا أهل بيت من العرب غطبا إليهم فقبل لهمامن أتما فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله وكنا عائلين فأغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسيحان الله فقالوا بل تزوجنا والحمد لله فقال صيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواجتنا مع رسول الله ﷺ فقال اسكت قد صدقت فأنكحك الصدق ، والغرور يقع في الجمال والحلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الحلق بالوصف والاستقصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في التثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف النكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الحداد والاعراض أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديمين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إشارا للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المونة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشبه عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آرابا - العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعيان الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نساءكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الخدمة والتناء من الحلق مع ما يجب من الثواب ورضا الله تعالى وزجرا خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخامر في حق من يلقاه بمكره ولا يراعى واجب الخدمة في طرفي الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخام لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والغضب ولا يأخذه في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فإذاذن الشخص الذي وصفناه آتفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسleme دون قوله فإنه أحرى ولا ترمذى وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظته في نفسها وماله<sup>(١)</sup> » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت عجة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة للهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا<sup>(٢)</sup> » وقد نهى عن المغالة في المهر<sup>(٣)</sup> تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف<sup>(٤)</sup> ، وأولم على بعض نسائه بدين من شعير<sup>(٥)</sup> وعلى أخرى بدين من تمر ومدين من سويق<sup>(٦)</sup> ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالة في الصداق ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم<sup>(٧)</sup> ولو كانت المغالة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم<sup>(٨)</sup> وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما » أى الولادة « ويسر مهرها<sup>(٩)</sup> » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا<sup>(١٠)</sup> » وكانت كره المغالة في المهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نساكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النساء من حديث أنى هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغالقه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أيسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها وروى أبو عمر التوقاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النهى عن المغالة في المهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه بدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى بدين تمر ومدين سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يحبب بفضله التمر وفضل السويق وفي الصحيحين التمر والأقط والسمن وليس في شيء من الأصول تقييد التمر والسويق بدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن المغالة ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما أى الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحما قال عروة يعنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوقاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أيسرهن

الحادم والتخادم إلا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والتخادم النجيب يبلغ ثواب الحادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لئال بصبه أو حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلا تقطع رفته ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في الحافل يتكثربه ويقم به جاء نفسه بكثرة الأتباع والأشباع فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرم من نهاره وليله في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزنا بغير رضى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينكح طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أى شيء للمرأة فاعلم أنه لئس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى القابلة بأكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادى فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) «وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تغنن تستكثر - أى تعطى لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويقصد مقاصد النكاح . الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالولود الودود» (٢) «فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإراعى صحتها وشبابها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر وقد نكح ثيبا «هلا بكرا اتلاعها وتلاعبك» (٣) «وفي البكارة ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال عليه السلام «عليكم بالودود» والطباع مجبولة على الأنس بأول ما لوف. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألقتة فتقتل الزوج . الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد نقورا . الثالثة أنها لا تحن إلى الزوج الأول وآ كد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسيبة أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فانها تستر بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام «إياكم وخضراء الدمن قليل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في الثبوت السوء» (٤) «وقال عليه السلام» تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا» (٦) «أى نحيفا وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة إنما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللحم وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما العمود الذي دام النظر إليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغوبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أوضاع دينه أو قصر عن القيام بحقوقها أو كان لا يكافئها

صداقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخارى في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود الودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال جابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا اتلاعها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في الثبوت السوء الدارقطني في الأفراد والراهمري في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخيروا لنطفكم فان العرق دحاس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فان العرق وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دحاس وروى أبو موسى الديلمي في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر والنظر في أى نصاب تضع ولذلك فان العرق دساس وكلاهما ضعيف . (٦) حديث لا تنكحوا القرابة فان الولد يخلق ضاويا قال ابن الصلاح لم أجده أصلا معتمدا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا في النوابيع رواه إبراهيم الحاربي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الفرائب قال ويقال اغربوا ولا تضووا .

بطلب المخطوط  
ويستولى عليه حب  
الرياسة وكلما كثر رقه  
كثرت مواد هواه  
واستطال على الفقراء  
ويحوج الفقراء إلى  
الخلق المفرط له طلبا  
لرسمه وتوقيا لضميه  
وميله عليهم بقطع  
ما ينوبهم من الوقف  
فهذا أحسن حاله أن  
يسمى مستخدما فليس  
بمخادم ولا متخدما ومع  
ذلك كله ربما نال  
بركتهم باختياره  
خدمتهم على خدمة  
غيرهم وبإتائه إليهم  
وقد أوردنا الخبر المسند  
الدين في سياق «هم القوم  
الذي لا يشقى بهم  
جليسهم» والله الموفق  
والأمين .

[الباب الثاني عشر  
في شرح خرقه الشايع  
الصوفية]

لبس الخرقه ارتباط بين  
الشيخ وبين المريد  
وتحكيم من المريد  
للشيخ في نفسه  
والتحكيم سائق في  
الشرع لمصالح دينوية

في نسبها قال عليه السلام « النكاح رق فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة (١) » والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا يخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لخطأ الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها ؟ قال ممن يتقى الله فان أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها (٢) » .

الباب الثالث : في آداب العاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في الذنوز والوقوع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الوليمة وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة (٣) » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به (٥) » ولم يرفعه إلا لزيد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنيئته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت (٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في الساجد واضربوا عليه بالدفوف (٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجواريات لنا يضربن بدفهن ويندن من قتل من أبائي إلى أن قالت إحداهن \* وفيما نبي يعلم ما في غد \* فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها (٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رق فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في معايشة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

### (الباب الثالث في آداب العاشرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به قال المصنف لم يرفعه إلا لزيد بن عبد الله هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنية الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في الساجد واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى فجلس على فراشي وجواريات لنا يضربن بدفوهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم بعث وهو وهم .

فإذا ينكر النكر  
لبس الحرقة على طالب  
صادق في طلبه يتقصده  
شيخا بحسن ظن  
وعقيد يحكمه في نفسه  
لصالح دينه يرشده  
ويهديه ويعرفه طريق  
للايجاد ويبصره  
بآفات النفوس وفساد  
الأعمال ومداخل  
العدو فيسلم نفسه  
إليه ويستسلم رأيه  
واستصوابه في جميع  
تصاريفه فيلبسه الحرقة  
إظهارا للتصرف فيه  
فيكون لبس الحرقة  
علامة التفويض  
والتسليم ودخوله في  
حكم الشيخ دخوله  
في حكم الله وحكم رسوله  
وإحياء سنة المبايعة  
مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . أخبرنا  
أبو زرعة قال أخبرني  
والذي الحافظ المقدسي  
قال أنا أبو الحسين  
أحمد بن محمد البزار  
قال أنا أحمد بن محمد  
أخي ميمي قال ثنا يحيى  
ابن محمد بن صاعد

واحتال الأذى منهن ترهما عليهن لقصور عقلمن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب بالجنب - قيل هي المرأة « وآخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلى لسانه وخفى كلامه جعل يقول : الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراهن أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (١) » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل (٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أراجيني بالكساء فقالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعن وهو خير منك (٤) فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال لحفصة لا تقترى بآبنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك (٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكنكم فقالت بل تكلم أنت ولا تغل إلا حقا فلفطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقاله بإعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا (٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما (٧)

(١) حديث آخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلى لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النساء في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه قالوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم تراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاهرا عليه - (٤) حديث وراجعت امرأة عمر عمر في الكلام فقال أراجيني بالكساء قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعن وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكساء ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والحطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي تزعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحاق وقد عنعنه .

قال ثنا عمرو بن طي  
ابن حفظة قال سمعت  
عبد الوهاب الثقفي  
يقول سمعت يحيى  
ابن سعيد يقول حدثني  
عبادة بن الوليد بن  
عبادة بن الصامت قال  
أخبرني أبي عن أبيه  
قال « ياينا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم طي  
السمع والطاعة في  
العسر واليسر والمنشط  
 والمكره وأن لا تنازع  
الأمر أهله وأن تقول  
بالحق حيث كنا ولا  
تخاف في الله لومة لائم »  
في الحرقة معنى المباينة  
والحرقة عتبة الدخول  
في الصعبة والقصود  
الكلى هو الصعبة  
وبالصعبة يرجى للمريد  
كل خير . وروى عن  
أبي يزيد أنه قال من لم  
يكن له أستاذ فإمامه  
الشیطان . وحكى  
الأستاذ أبو القاسم  
القشيري عن شيخه  
أبي طي الدقاق أنه قال  
الشجرة إذا نبتت  
بنفسها من غير غارس



وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهبج اسمك <sup>(١)</sup> ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها <sup>(٢)</sup> وكان يقول لها كنت لك كأي زرع لأم زرع غير آني لأطلقك <sup>(٣)</sup> وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله مازل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكمن غيرها <sup>(٤)</sup> وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان <sup>(٥)</sup> . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والضح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في السدوف فسبته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك <sup>(٦)</sup> وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكك الناس مع نسائه <sup>(٧)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ آتبعين أن ترى لعبهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظروا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك قلت نعم فأشار إليهم فأنصرفوا <sup>(٨)</sup> » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً والطفهم بأهله <sup>(٩)</sup> » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي <sup>(١٠)</sup> »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .  
(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة الشبان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا فحجة النبي صلى الله عليه وسلم لحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأي زرع لأم زرع غير آني لأطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما أنزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكمن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان منظم بلفظ ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والصبيان (٦) حديث سابقته صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبته ثم سبقها وقال هذه بتلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكك الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي إسناده ابن لهيعة (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آتبعين أن ترى لعبهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها ابكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال باحمره وسنده صحيح (٩) حديث أكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً والطفهم بأهله الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم.

لحافها تورق ولا شمر وهو كما قال ويجوز أنها شمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لها كنهها طعم فأكهة البساتين والقرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب العلم وأحل ما يقتله بخلاف غير العلم . وسمعت كثيراً من الشايع يقولون من لم يرمقها لا يفلح ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة « علنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة » فالمريد الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضي الله عنه مع خشوته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي « إن الله يفيض الجعظري الجواظ (١) » قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه . وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتق قيل العتد هو النقط اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (٢) » ووصفت أعرابية زوجها وقدمات فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولح سكينتا إذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتسبط في الدعابة وحسن الخلق والواقعة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهية والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب الساعدة على المنكرات ألبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروءة تمر وامتنع قال الحسن وأما ما أصبح رجل يطيع امرأته فيأتهوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « تعس عبد الزوجة (٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرهم فليغيرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيذا فقال تعالى - وألقيا سيدها لدى الباب - فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخت عذارها قرأ جذبتك ذراعاً وإن كبحتها وشدت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضي الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والحامد والنبطي أراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج غلظتك بدينك وفظاظتك برفقك وكانت نساء العرب يملن بناتهن اختبار الأزواج وكانت المرأة تقول لا بنتها اختبري زوجك قبل الإندام والجرامة عليه انزعى زوج رحمه فان سكت فقطعي اللحم على ترسه فان سكت فكسري العظام بسينه فان سكت فاجعلي الا كاف على ظهره وامطييه فأعما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فحينئذ أن تسلك سبيل الاقتصاد في مخالفة والواقعة وتببع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف بمزوج سياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب (٤) » والأعصم يعني الأبيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يابن اتق المرأة السوء فانها تشبيك

(١) حديث إن الله يفيض الجعظري الجواظ أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنى هريرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ ألا أخبزكم بأهل النار كل عتق جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث تعس عبد الزوجة لم أقف له على أصل والمعروف تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كنامع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الظهران فإذا بغيران كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغرابان وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحبه وتأديب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقيج باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع نقائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى المرید بواسطة الصحة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفي في الشيخ بترك اختيار نفسه قبل تألف الإلهي يصير بين صاحب والصاحب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأديبا بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب واتفق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام « استعينوا من القوافر الثلاث <sup>(١)</sup> » وعدمهن المرأة السوء فانها المشية قبل الشيب وفي لفظ آخر « إن دخلت عليها مبتك وإن غبت عنها خاتك » وقد قال عليه السلام في خيرات النساء « انكن صواحبات يوسف <sup>(٢)</sup> » يعني إن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه <sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام « لا يفلح قوم تملكهم امرأة <sup>(٤)</sup> » وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجته وقال ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والحشونة علاج الشر واللطاية والرحمة علاج الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء <sup>(٥)</sup> وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا تخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره <sup>(٦)</sup> وفي الخبر للشهور « للمرأة كالضلع إن قومته كسرتة فدعه تستمع به على عوج <sup>(٧)</sup> » وهذا في تهذيب أخلاقها وقال <sup>(٨)</sup> « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية <sup>(٩)</sup> » لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بغض الظن إثم وقال علي رضي الله عنه لا تسكر الغيرة على أهلك قومي بالسوء من أجلك وأما الغيرة في عملها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يزار والؤمن يزار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم عليه <sup>(١٠)</sup> » وقال عليه السلام « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير مني <sup>(١١)</sup> »

(١) حديث استعينوا من القوافر الثلاث وعدمهن للمرأة السوء فانها المشية قبل الشيب وفي لفظ آخر ان دخلت عليها لستك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من القوافر وذكر منها وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والمرأتان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يفلح قوم تملكهم امرأة البخاري من حديث أبي بكر نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عثراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا تخالفه رجلان فسميا إلى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المرأة كالضلع إن أردت فتيحه كسرتة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يزار والؤمن يزار وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والؤمن يزار (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله لانا أغير منه والله أغير مني الحديث متفق عليه من حديث الغيرة بن شعبة .

هذا الخبر كله للصحة  
واللازمة للشيخ  
والحرقة مقدمة ذلك  
ووجه لبس الحرقة من  
السنة ما أخبرنا الشيخ  
أبوزرعة عن أبيه  
الحافظ أبي الفضل  
للقدس قال أنا أبو بكر  
أحمد بن علي بن خلف  
الأديب النيسابوري  
قال أنا الحاكم أبو  
عبد الله محمد بن  
عبد الله الحافظ قال  
أنا محمد بن اسحاق قال  
أنا أبو مسلم إبراهيم بن  
عبد الله المصري قال  
ثنا أبو الوليد قال ثنا  
اسحاق بن سعيد قال  
ثنا أبي قال حدثني  
أم خالد بنت خالد قالت  
« أتى النبي عليه السلام  
بثياب فيها خيصة  
سوداء صغيرة فقال  
من ترون أكوهذه ؟  
فكفت القوم فقال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اتوني بأمر  
خالد قالت فأتني  
فألبسنيها يده فقال  
أبلي وأخلقى يقولها

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر ومباطن ولا أحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بحث للذين والبشرى ولا أحد أحب إليه الدخ من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنيانه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله <sup>(١)</sup> » وكان الحسن يقول أمدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من العيرة ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله فأما العيرة التي يحبها الله فالعيرة في الريّة والعيرة التي يفضها الله فالعيرة في غيريّة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يفضه الله الاختيال في الباطن <sup>(٢)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لا غيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب <sup>(٣)</sup> » والطريق القبيح عن العيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضعها إليه وقال ذرية بعضها من بعض <sup>(٤)</sup> » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الكوى والثقب في الحيطان كئلا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأة تطلع في الكوة فضرها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه فتاحه قد أكلت منها فضرها وقال عمر رضي الله عنه أعرأ النساء يلزمن الرجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال عودا نساءكم لا وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السجد <sup>(٥)</sup> والصواب الآن النع إلا العجائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لنعهن من الخروج <sup>(٦)</sup> . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعن فضربه وغضب عليه وقال تسمعن أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى <sup>(٧)</sup> » وإنما استجرا على المخالفة لعله بتغير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبنيانه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من العيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يفضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لا غيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرّة الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل الحديث [١] البزار والدارقطني في الأفراد من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث الإذن للنساء في حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لنعهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لنعهن من المساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم ندر ما تقول فصار على إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فهاقلت له خير لمن أن لا يرى الرجال ولا يراها الرجال فرجع فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال إنها باضعة مني .

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخيصة أصفر وأحمر ويقول يأم خاله هذا سناء . والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولاخفاء أن لبس الحرقة على الهيئة التي تعتمد الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث مارويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأما اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أمم وآكد من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم للمريد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

لإطلاعه اللفظ بالخالفه ظاهرا من غير إظهار المدرو كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن  
لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن (١) ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة  
الضعيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا تخرج إلا لهم فان الخروج للنظارات والأموار  
التي ليست مهجة تخدم في الرودة وربما نفى إلى الفساد فاذا خرجت فينبى أن تعض بصرها عن  
الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه الصبي الأمرد  
في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا إثم بل زل الرجال على عمر الزمان  
مكشوف الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالانتقب  
أو منعن من الخروج إلا لضرورة . السادس : الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يكثر عليهن في الاتفاق  
ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك  
مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله (٢) » وقال  
صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار  
أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك (٣) » وقيل كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة  
فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال  
مخاصيب وفي الأثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالزوجة  
وكان الخلاوة وإن لم تكن من اللهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة وينبغي أن يأمرها بالتصدق  
بقايا الطعام وما يفسد لوترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح  
إذن من الزوج ولا ينبغي أن يسأثر عن أهله بما كوله طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور  
ويبعد عن العاشرة بالمعروف فان كان مزما على ذلك فليأكله خفية بحيث لا يعرف أهله ولا ينبغي أن  
يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان  
رضي الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته  
في الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها فان ذلك جناية عليها لامرأته لما  
وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يعلم الزوج من علم الحيض  
وأحكامه ما يحترزه الاحترار الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه  
أمر بأن يقبها النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فعليه أن يلقيها اعتقاد أهل السنة ويزيل  
عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها في الله إن تساهت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض  
والاستحاضة ما يحتاج إليه وعلم الاستحاضة يطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيض  
بيان الصلوات التي تقضيها فانهما تقطع دمه قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والمغرب وإذا  
انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل  
قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فأخبرها  
بحواب الفتى فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل  
بعتها ومهما علمت ما هو من الفرائض عاينها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاء

(١) حديث الإذن لهن في الخروج في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم  
لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار  
أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الدينار الذي أنفقته  
على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة .

فما شجر بينهم ثم  
لا يجحدوا في أنفسهم  
حرجا مما قضيت  
ويسلموا تسليما - وسبب  
نزول هذه الآية « أن  
الزبير بن العوام رضى  
الله عنه اختصم هو  
وآخر إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في  
شراج من الحرمة  
والشراج مسيل الماء  
كانا يسقيان به النخل  
فقال النبي عليه الصلاة  
والسلام للزبير : اسق  
يا زبير ثم أرسل الماء إلى  
جارك ، فغضب الرجل  
وقال قضي رسول الله  
لابن عمته » فأنزل الله  
تعالى هذه الآية يعلم فيها  
الأدب مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وشرط عليهم في الآية  
التسليم وهو الاتقياد  
ظاهر أو نفي الجرح وهو  
الاتقياد باطنا وهذا  
شرط المريد مع الشيخ  
بعد التحكيم فليس  
الخرقة يزيل اتهام  
الشيخ عن باطنه في  
جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم . الثامن : إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فان خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أفرع بينهما<sup>(١)</sup> كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان ظلم امرأة بليتها قضى لها فان القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك بطول ذكره . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقته مائل<sup>(٢)</sup> » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصنم - أى لاتعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الواقع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيتة في الليالي ويقول : اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما أملك ولا أملك<sup>(٣)</sup> » يعنى الحب وقد كانت عائشة رضى الله عنها أحب نساءه إليه<sup>(٤)</sup> وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يطاق به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهم ويقول ابن أناغدا قطنت لذك امرأه منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يا رسول الله قد أذن لك أن تكون في بيت عائشة فانه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقدرضيت بذلك قلتي نعم قال فحولوني إلى بيت عائشة<sup>(٥)</sup> » ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجة حتى تحضر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة<sup>(٦)</sup> ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تافقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه وأوليلته على سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة<sup>(٧)</sup> وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث الفرعة بين أزواجه إذا أراد سفرها متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحذقته مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع إحداها وقال الترمذى فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما أملك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال أى الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يطاق به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول ابن أناغدا الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان يحمل في ثوب يطاق به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخر له لما نقل قال أين أناغدا قالوا عند فلانة قال فأين أناغدا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أناغدا أين أناغدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما نقل استأذن أزواجه أن يمرض في يتيق فأذن له (٦) حديث كان يقسم بين نساءه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبراني فأراد أن يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة ولليهنى مرسل طلق سودة فقالت أريد أن أحضر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله

الاعتراض على الشيخ  
فانه السام القاتل للمريدين  
وقل أن يكون للمريد  
يعترض على الشيخ بباطنه  
فيطلع ويذكر المريد  
في كل ما أشكل عليه  
من تصارييف الشيخ  
قصة موسى مع الخضر  
عليه السلام كيف كان  
يصدر من الخضر  
تصارييف ينكرها  
موسى ثم لما كشف  
له عن معناها بان  
لموسى وجه الصواب  
في ذلك فهكذا ينبغي  
للمريدين يعلم أن كل  
تصرف أشكل عليه  
صحته من الشيخ  
عند الشيخ فيه بيان  
وبرهان للصحة ويد  
الشيخ في لبس الحرقة  
تنوب عن يد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وتسليم المريد له تسليم  
فه ورسوله قال الله  
تعالى - إن الدين  
يباعونك إنما يبيعون  
الله يد الله فوق أيديهم  
فمن نكث فإنا ينكث  
على نفسه - ويأخذ

طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار<sup>(١)</sup>، التاسع: في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فإن كان من جانبها جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من تكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين ضاد ولم يصلح أمرهما فملاه بالمرة وقال إن الله تعالى يقول - إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما - ضاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء - فله أن يؤديها ويعملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فإن لم ينفع ولاها ظهره في الضجع أو انقرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فإن لم ينفع ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق للمرأة على الرجل؟ قال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت<sup>(٢)</sup>» وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أفتأتك إذ ردت عليك هديتك<sup>(٣)</sup> أي أذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم: أنئن أهون على الله أن تعمثنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن. العاشر: في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبى وقال عليه السلام «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتا فإن كان بينهما ولم يضره الشيطان<sup>(٤)</sup>» وإذا قربت من الإزال قتل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالواقع إكراما للقبلة وليغبط نفسه وأهله ثوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكينة<sup>(٥)</sup>» وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين<sup>(٦)</sup>» أي الحارين ولتقدم التلطف بالكلام والتقبل

صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا<sup>(١)</sup> حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ابن عدي في الكامل والبخاري كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة<sup>(٢)</sup> حديث قبل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقيح وفي رواية لأبي داود ولا يقيح الوجه ولا تضرب<sup>(٣)</sup> حديث هجره صلى الله عليه وسلم نساء شهرا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أفتأتك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا<sup>(٤)</sup> حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس<sup>(٥)</sup> حديث كان يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف<sup>(٦)</sup> حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا تجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف.

الشيخ على المرید  
عهد الوفاء بشرائط  
الحرقة ويعرفه حقوق  
الحرقة فالشيخ المرید  
صورة يستشف المرید  
من وراء هذه الصورة  
الطالبات الإلهية  
وللراعي النبوية  
ويستقد المرید أن  
الشيخ باب فتحه الله  
تعالى إلى جناب كرمه  
منه يدخل وإليه يرجع  
وينزل بالشيخ سوانحه  
ومهامه الدينية  
والدنيوية ويستقد أن  
الشيخ ينزل بالله  
الكریم ما ينزل  
المرید به ويرجع في  
ذلك إلى الله المرید كما  
يرجع المرید إليه  
وللشيخ باب مفتوح  
من المكالمة والمحادثة  
في النوم واليقظة فلا  
يتصرف الشيخ في  
المرید بهواه فهو أمانة  
الله عنده ويستغث  
إلى الله بمخايج المرید  
كما يستغث بمخايج  
نفسه ومهام دينه ودنياه  
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته يفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه» (٢) ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليكنه تحقيقاً لأحد التآويلين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل» (٣) الحديث ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هي أيضاً نهماً فان إزالتها ربما يتأخر فميسج شهوتها ثم القعود عنها يؤدي لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التناظر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها ليشغل الرجل بنفسه عنها فانه ربما تستحي وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ تعدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد ، نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت للطالبة بالوطء فذلك لفساد المطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل الفصل فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير اللأني إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير اللأني دائم فهو أشد تحريراً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأنوا حرثكم أني شتم - أي أي وقت شتمت وله أن يستحي يديها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي أن تنزّر المرأة بآزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنبها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليفسل فرجه أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يفسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينال على غير طهارة فان أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ» (٤) ولكن قد وردت فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينال جنباً لم يمسه ماء» (٥) ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فراشه أو لينفضه فانه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحذ أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطالبه بجنباتها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يبرح إلا إلى محل الحث وهو الرحم فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة (٦) هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن ميسج

لبشر أن يكاهه الله إلا  
وحياً أو من وراء حجاب  
أو يرسل رسولا -  
فأرسل الرسول يخلص  
بالأنبياء والوحي كذلك  
والكلام من وراء  
حجاب بالإلهام والمحواف  
والنام وغير ذلك  
للشيوخ والراشخين  
في السلم . واعلم أن  
للريدن مع الشيوخ  
أوان ارتضاع وأوان  
فظام وقد سبق شرح  
الولادة المعنوية فأوان  
الارتضاع أوان لزوم  
الصحة والشيخ يعلم  
وقت ذلك فلا ينبغي  
للريد أن يفارق  
الشيخ إلا بإذنه قال  
الله تعالى تأدياً للامة -  
إنما المؤمنون الذين  
آمنوا بالله ورسوله وإذا  
كانوا معه على أمر  
جامع لم يذهبوا حتى  
يستأذنوه إن الذين  
يستأذنونك أولئك  
الذين يؤمنون بالله  
ورسوله فإذا استأذنوك  
لبعض شأنهم فأذن  
لن شئت منهم - وأى

(١) حديث لا يقمن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس  
من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته  
يفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أخضر منه وهو بعض الحديث  
الذي قبله (٤) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث  
ابن عمر قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديثه  
أن عمر سأل لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان ينال جنباً لم يمسه ماء أبو داود والترمذي  
وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وهم ونقل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة  
الرواية (٦) حديث مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة متفق عليه من حديث أبي سعيد .



مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الإبداء دون العزل ومن قائل يباح في الملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فانها تطلق لتبى التحريم ولتبى التنزيه وترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقابها أن لا يخرج كل سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة تقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له بمجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله قتل (١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خلقه وحياه ومقويه على الجهاد والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الواقع وذلك عند الإئمان في الرحم وإنما قلنا لا كراهية بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهى ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقاع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كأول وليس هذا كالإجهاض والوآد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعمل لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أوحش وإن نفض فيه الروح واستوت الحلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامنا مائة ومائتها أو من مائة ودم الحيض قال بعض أهل التشريح إن للمضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانقاده كالإثقة للبن إذ بها ينقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانقاده فيجرى لما آن مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي . فان قلت فان لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي . فأقول النيات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السرارى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة ومنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس بمنهى عنه . الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء . وهذا أيضا غير منهى عنه . فان قلت الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال - ومامن دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا تقول إنه منهى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهم من المرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله لم أجده أصلا .

أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أو أن القطام وأنه يقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن يفتح له باب الفهم من الله تعالى فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أو أن قطامه ومتى فارق قبل أو أن القطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال الفطوم لغير أو أنه في الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة الشايخ للمريد الحقيقي والمريد الحقيقي يلبس خرقة الإرادة . واعلم أن الخرقة خرقتان خرقة الإرادة وخرقة التبرك والأصل الذي قصده الشايخ للمريد في خرقة

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أمهم بها لا يترك النكاح والوطء، فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يعلوها رجل فكانت تشبه بالرجال ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن تمتنع المرأة لتعززها ومباهاة في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الحوارج لمباغتتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفساد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الحفي وقرأ وإذا اللوءودة سئل (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الوأد الحفي كقوله الشرك الحفي وذلك يوجب كراهة لا تحريماً . فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصفر فان المنوع وجوده به هو اللوءودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه رضي الله عنه لما سمعه قال ولا تكون موءودة إلا بعد سبع أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الحلقة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا اللوءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في القوم على المعاني ودرك العلوم كيف وفي الاتفاق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها قلبت الرجل ما شاء الله ثم أتاها فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادى عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأثني فانه لا يدرى الحيرة له في أيهما فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له أو يتمنى أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة فخرقة الإرادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صجة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولده الصغير مع والد يريه الشيخ بطله المستمد من الله تعالى بصدق الاقتدار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ نفوذ بصيرته الإشراف على البواطن قد يكون للريد يلبس الحشن كتياب للتشفيين للترهدين وله في تلك الهيئة من اللبوس هوى كامن في نفسه ليري بين الزهادة فأشد ما عليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من اللبوس في قصر الكم والتدليل وطوله وخشوته ونعومته على

(١) حديث من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الحفي مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل قيل اليهود تزعم أنها اللوءودة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر اتفق عليه في الصحيحين كنا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية وهي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكره المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم .

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلته الجنة» (٢) وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فغص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليدأ بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنى فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان فقال رجل أو واحدة؟ فقال واحدة» (٦) . الأدب الثاني : أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلتقوه أول انطلاق لسانه لإله إلا الله ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه اسمًا حسنًا فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميتهم فبئدوا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبهما إلا أدخلته الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبهما كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الحرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جارتين وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته فغص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه الحرائطي بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفه من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة الحرائطي بسند ضعيف جدا وابن عدي في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن الحديث الحرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهما قالوا الحسن مكبرا وضعفه ابن القطان (٨) حديث من ولد له مولود وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جدّه (١٠) حديث إذا سميتهم فبئدوا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة .

قدر حسابها وهواها  
فلبس الشيخ مثل  
هذا الركن لتلك  
الهيئة ثوبا يكسر  
بذلك على نفسه هواها  
وغرضها وقد يكون  
على المرء ملبوس ناعم  
أو هيئة في اللبوس  
تثريب النفس إلى تلك  
الهيئة بالعادة فلبس  
الشيخ ما يخرج النفس  
من عاداتها وهواها  
فتصرف الشيخ في  
الملبوس كتصرفه في  
الطعوم وكتصرفه في  
صوم المرء وإفطاره  
وكتصرفه في أمر دينه  
إلى ما يرى له من الصلحة  
من دوام الذكر ودوام  
التفكير في الصلاة ودوام  
التلاوة ودوام الخدمة  
وكتصرفه فيه برده  
إلى السكسب والفتوح  
أو غير ذلك فللشيخ  
إشراف على البواطن  
وتنوع الاستعدادات  
في أمر كل مرء من أمر  
معاشه ومعاده بما  
يصلح له وتنوع  
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن <sup>(١)</sup> » وقال « سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي <sup>(٢)</sup> » قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادى بأبنا القاسم والآب فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنتيته وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تجمعوا بين اسمي وكنتي <sup>(٣)</sup> » وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام « إن عيسى لأب له <sup>(٤)</sup> » فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراه أيه فيقول أنت ضيعتي وتركنتي لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما يجمعهما كحزمة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم <sup>(٥)</sup> » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله <sup>(٦)</sup> « وكان اسم زينب بركة قال عليه السلام : تركي نفسها فلها زينب <sup>(٧)</sup> » وكذلك ورد النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة <sup>(٨)</sup> لأنه يقال أمهم بركة فيقال لا . الرابع العقيقة عن الله كبر بشاتين وعن الأنبياء بشاة ولا بأس بالشاة ذكرها كان أو أنثى وروى عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة <sup>(٩)</sup> » وروى « أنه عقى عن الحسن بشاة <sup>(١٠)</sup> » وهذا رخصة في الانتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى <sup>(١١)</sup> » ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة قد ورد فيه خبر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة <sup>(١٢)</sup> »

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والوعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - بالحكمة رتبة في الدعوة والوعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالوعظة ومن يدعى بالوعظة لا تصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القريين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن لهوى في التختن أو في التعم فيخلع اللريدمن عادة ويخرجه من مضيق هو نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوباً يصلح له وهبة تصلح له ويدأوى بالحسرة المخصوصة والمهينة المخصوصة داء هواء ويتوخى بذلك تقريره

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكلى بكنتي ومن تكلى بكنتي فلا يسمى باسمي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابناً له تكلى أبا عيسى وأنكر على للغيرة بن شعبة تكنيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزيدى بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها بركة تركي نفسها فلها زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث النبي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحاً وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في الغلام بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عقى عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس بإسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس بإسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه (١) » فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام قهر حوايه فرحا شديدا لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق وليعلم أنه مباح ولكنه أبيض الباحات إلى الله تعالى وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها قد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بحماية من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أظنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا - أي لا تطلبوا أحبة للفرار وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان بحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك (٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والديكرهها لا تعرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن الأن يأتين بفاحشة مبينة - مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أزيد به في العدة ولكنه تنبيه على التصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تمتد يد يذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فإن ذلك إحجاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتدت به - فرد ما أخذته فما دونه لائق بالقداء فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة (٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المختلعات هن النافقات (٤) » ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعا لما فيه من تطويل المدة عليها فإن فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لمر : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء (٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين ثلاثا لأن الطلقة الواحدة بعد الطلاق فقط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد المدة تفيد التصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة وإذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منه عنه ويكون هو السامح فيه ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطبيقه أعنى زوجة المحلل بعد أن تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت بحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المختلعات هن النافقات النسائي من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمر مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضا مولاه فالمرید  
الصادق المتهب باطنه  
بنار الإرادة في يده أمره  
وحدة إرادته كالملسوع  
الحريص على من يرقه  
ويداويه فإذا صادف  
شيخا أثبت من باطن  
الشيخ صدق العناية  
به لاطلاعه عليه  
وينبث من باطن  
المرید صدق المحبة  
بتألف القلوب وتسام  
الأرواح وظهور سر  
السابعة فيهما باجتماعهما  
لله وفي الله وبالله  
فيكون القميص الذي  
يلبس للمرید خرقه  
تبشر المرید بحسن  
عناية الشيخ به فيعمل  
عند المرید عمل قبص  
يوسف عند يعقوب  
عليهما السلام . وقد  
نقل أن إبراهيم  
الخليل عليه السلام  
حين ألقى في النار جرد  
من ثيابه وقذف في  
النار عريانا فأناء جبريل  
عليه السلام بقميص  
من حرير الجنة  
وألپسه إياه وكان ذلك

أقول الجمع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتأطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجها به من أذى الفراق قال تعالى - ومتوهن - وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فبكت واتسجت وصمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت للث عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكنك أحييتك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أمر على منك ولكنك تعلم أن ابنتي بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فكنت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يستنذر منه على النبر ويقول في خطبته : إن حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء فان أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب جنة قلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فان ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دائه والتصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله القوي في الفراق والنكاح جميعا فقال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يفرقا يضن الله كلا من سعة - . الرابع : أن لا يفشي سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم (١) . ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة غيري فهذا بيان ما على الزوج .

( القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها )

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مالا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « يا أيها المرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة » (٢) « وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفضي سرها (٢) حديث أبي أمامة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فحصل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تمويذ وجهه في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التمويذ فأخرج القميص منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أحمد ابن اسمعيل القزويني إجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علي بن عيسى قال ثنا إسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل فرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال **عليه السلام** : أطيعي زوجك فأتت امرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها <sup>(١)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » <sup>(٢)</sup> . وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال « حاملات والداك مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما بين اثنين أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » <sup>(٣)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم « اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن الشير » <sup>(٤)</sup> . يعني الزوج للعائش وفي خبر آخر « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتل ابن النساء قال شغلن الأحمران الذهب والزعفران » <sup>(٥)</sup> . يعني الحلى ومصنجات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها « أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلدغته ما أدت شكره قالت أقلأ أزواج قال بل تزوجي فإنه خير » <sup>(٦)</sup> . قال ابن عباس « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنت الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب » <sup>(٧)</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » <sup>(٨)</sup> .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في السفل فرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداك مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قتل ابن النساء قال شغلن الأحمران الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يابني الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بل تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أرها وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قبضه لا يرد على مقبوض بصره ولكن ذلك كان قبض إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو تسقى إلا يصح وعوفى فتكون الحرقه عند المريد الصادق متحممة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله ويرى لبس الحرقه من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقه التبرك فيطلبها من مقطوعة التبرك يرى القوم ومثل هذا لا يطلب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتمود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقبه ذلك إلى الأهلية لحرقه الإرادة فعلى هذا خرقه التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في محن دارها وصلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في بيتها (١) » والمندع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان (٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات (٣) » حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك اللطافة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته وأبنته إياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته كالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكل ويبقى الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لشغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت ما لاجزى من زوجي فأردت أن تنفقه على أخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فاتها ولية الله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص قفى من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تنقرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادَه فإن أطعمت عن رضا كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر (٤) » ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن العشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

وخرق الإبرادة ممنوعة  
إلا من الصادق الراغب  
وليس الأزرق من  
استحسان الشيوخ  
في الحرقة فان رأى  
شيخ أن يلبس مريدا  
غير الأزرق فليس  
لأحد أن يقرض  
عليه لأن الشايع  
آراؤهم فيما يفعلون  
بحكم الوقت وكان  
شيخنا يقول كان  
الفقير يلبس قصير  
الأكم ليكون أعون  
على الخدمة ويعوز  
للشيخ أن يلبس المريد  
خرقا في دفعات على  
قدر ما يطلع من  
الصلحة للمريد في ذلك  
على ما أسلفناه من  
تداوى هواء في  
اللبوس واللون  
فيختار الأزرق لأنه  
أرفق للفقير لكونه  
يعمل الوسع ولا  
يعوج إلى زيادة  
الفصل لهذا المعنى  
نحسب وما عدا هذا  
من الوجوه التي  
يذكرها بعض

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في محن دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محن الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجماعي في تاريخ الطالبين من حديث علي بسند ضيف والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماها قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العمل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .



بنت خاتمة الفزاري قالت لا يفتها عند الزوج : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش  
لم تعرفه وقرين لم تألفه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن  
لك عبدا لا تلحق به فيفلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا منك فأقرى منه وإن نأى فابعدى عنه واحفظى  
أفقه وصممه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا . وقال رجل لزوجته :

خذى العفو متى تستدعى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب  
ولا تنقري فى قرك الدف مرة فانك لا تدريين كيف القيب  
ولا تكثرى الشكوى تذهب بالهوى وبأباك قلبى والقلوب تغلب  
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قصر بيتها لازمة لغزلها لا يكثر  
صعودها وإطاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول تحفظ بعلها فى  
غيبتها وتطالب مسرتها فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن  
خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة تطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن  
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تعرف إلى صديق بعلها فى حاجاتها بل تتنكر على من تظن  
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق  
لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيره على نفسها وجلها وتكون  
قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منتظفة فى نفسها مستعدة  
فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للسر عليهم قصيرة اللسان عن سب  
الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين فى الجنة  
امرأة آمنت من زوجها وحبت نفسها على بناتها حتى تابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم  
« حرم الله على كل آدمى الجنة بدخلها قبل غير أنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة  
فأقول ما لهذا تبادرنى فيقال لى يا محمد هذه امرأة كانت حسنة جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت  
عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لها ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج  
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه فقد روى أن الأصمى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن  
الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكونى تحت  
مثله قالت يا هذا اسكت فقد أسأت فى قولك لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى نوابه أولم  
أسأت فيما بينى وبين خالقي فجعله عقوبى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمى رأيت  
فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى محتضبة ويدها سبعة فقلت ما أبعد هذا من هذا قالت :

وقد منى جانب لا أضيعه وللهو منى والبطالة جانب

فصلت أنها امرأة صالحة لها زوج تزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانتباه فى غيبة  
زوجها والرجوع إلى اللعب والانسباط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذى زوجها  
بمحال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا  
قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا (٣) »

(١) حديث أنا وامرأة سفعاء الحدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجعي بسند  
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبل غير أنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة  
تبادرنى إلى باب الجنة الحرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة فى ذلك كلام  
إقناعى من كلام  
التصميين ليس من  
الدين والحقيقة بشيء  
سمعت الشيخ سيد  
الدين أبى الفجر المهدانى  
رحمه الله قال : كنت  
يغداد عند أبى بكر  
الشروطى فخرج إلينا  
فقير من زاوية عليه  
ثوب وسخ فقال له بعض  
الفقراء لم لا تغسل  
ثوبك فقال يا أخى  
ما أتفرغ فقال الشيخ  
أبو الفخر لا زال أتذكر  
حلاوة قول الصغير  
ما أتفرغ لأنه كان  
صادقا فى ذلك فأجد  
قمة تقوله وبركة  
بتذكارى ذلك  
فاختاروا اللون لهذا  
للعنى لأنهم من رعاية  
وتحمم فى شغل شاغل  
والأفأى ثوب ألبس  
الشيخ المريد من  
أيض وغير ذلك  
فلشيخ ولاية ذلك  
بحسن مقصده ووفور  
عله وقد رأينا من  
الشايع من لا يلبس

ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لاتعد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرا وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا للضرورة . ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها قدر روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت تزوجني الزير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت أقبل النوى على رأسى من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما اعتقني (٢) ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أخ أخ لينخ ناقته ويعملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزير وغيرته وكان غير الناس فصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ وأنى قد استحييت فبحث الزير فعكبت له ماجرى فقال والله لملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

### ( كتاب آداب الكسب والمعاش )

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

( بسم الله الرحمن الرحيم )

نحمد الله حمد واحد انحق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى . وننجد تميذا من يصرح بأن كل شيء ماسوى الله باطل ولا يتعاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا . ونشكره إذ ذرفع السماء له باده سقفا مبينا ومهد الأرض بساط لهم وفراشا . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا . لينتسروا في ابتغاء فضله وينتسوا به عن ضراعة الحاجات انتعاشا . ونصلى على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء به دور ودهم عليه عطاشا . وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكاشا . وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار التمهيل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصورا على البعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه فالله الدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذى شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهز من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لاتؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الخور العين لاتؤذيه الحديث الترمذى وقال حسن غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجني الزير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

( كتاب آداب الكسب )

الحرقه ويسلك بأقوام من غير لبس الحرقه ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لا يعرفون الحرقه ولا يلبسونها للريدين فمن يلبسها فهو مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لا يلبسها فهو رايه وله في ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف الشايع مجحولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم ويأتارهم إن شاء الله تعالى .

[ الباب الثالث عشر في فضيلة سكان الرباط ] قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب

يتأدب في طلبها بآداب الشريعة . وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل الكسب والحث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

### ( الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه )

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ما تشكرون - فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المعيشة <sup>(١)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعففا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر <sup>(٣)</sup> » « وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويقضيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليضمهم ويكفهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس ويغض العبد يعلم العلم يتخذ مهنة <sup>(٥)</sup> » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور <sup>(٧)</sup> » وفي خبر آخر

### ( الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه )

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المعيشة تقدم في النكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبونعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبيه أن أبا حمزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له دين فليعلم العلم يتخذ مهنة » الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يارسول الله أي الكسب أطيب قال عمل الرجل يديه وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاة عن البخاري ورواه أحمد والحاكم من رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي الساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه السلام والسلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال يارسول الله هدم البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الدارين لا بصور البقاع وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع . روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضها هل مرت بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلته نعم ومن قائلته لا فاذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

« أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح <sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق <sup>(٢)</sup> » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تنصع ؟ قال أتعبد قال من يعولك ؟ قال أخى قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إني لأعلم شيئا يقر بكم من الجنة ويعمدكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعلم شيئا يعمدكم من الجنة ويقر بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل أتركوا الطلب ثم قال في آخره « ولا يجملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن الله لا ينال ما عنده بمعصيته <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها <sup>(٤)</sup> » وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيخبط على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه <sup>(٥)</sup> » وقال « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر <sup>(٦)</sup> » . وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضى الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تعطر ذهباً ولا فضة وكان زيد بن مسلفة يفرس في أرضه فقال له عمر رضى الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أسون لديك وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضى الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لافي أمر ديناه ولا في أمر آخرته . وشئ إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إلي لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق السكبال واليزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضى الله عنه : مامن موضع بأبني الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهل أبيع واشترى وقال الهيثم ربما يلفنى عن الرجل يقع في فأذكر استغنائى عنه فيهن ذلك على وقال أيوب كسب فيه شئ أحب إلى من سؤال الناس وجاءت ريع

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم <sup>(١)</sup> حديث أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن <sup>(٢)</sup> حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربى في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازى وابن حبان إنه تابعى فالحديث مرسل <sup>(٣)</sup> حديث إني لأعلم شيئا يعمدكم من الجنة ويقر بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شافعا الحديث أبي حميد وجابر وصحهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع <sup>(٤)</sup> حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها ورواه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً <sup>(٥)</sup> حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيخبط على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة <sup>(٦)</sup> حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذى من حديث أبي كبشة الأنمارى ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت . ، وقيل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الراباط هم الرجال لأنهم ربطوا أنفسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة . وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا فكله الله إليها » وأصل الراباط ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل قمر يدفع أهله عن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ما هذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فإن الثنى من العافية يعني الثنى عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي <sup>(١)</sup> » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تغدو خفاصا وتروح بطانا <sup>(٢)</sup> » فذكر أنها تغدو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والقدوة بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطى عنقه حزمة حطب فقال له يا أبا اسحق إلى متى هذا إخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وعيرك بقوتك ولكن ابدأ برغيفك فأحرزهما ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بغضاء الله في أرضه فيقوم سؤال الساجد فهذه مذمة الشرع لسؤال والاتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين <sup>(٣)</sup> » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غاريا أو عامرا المسجد به فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا يصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبا رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما أراد سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد بالتاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تعففا عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره فالتعفف والستر أولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابدين بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشافات أو عالم مشغول بتربية علم الظاهر مما ينفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشغول بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح والأوقاف المسبلة على الفقراء والعلماء فأقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمحي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تغدو خفاصا وتروح بطانا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلى أن اجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن يسبح محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءهم رباط فالجهاد للرباط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاء . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الحلبي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخاذي قال أنا أبو اسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة وفي أخرى العطار ولله القطان بالنون وليحرر .

ثم لما توفى أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ول هؤلاء الأربعة حالتان أخريان إحداهما أن تكون كفايتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدق بهم عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بتمام فيه أولى إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك الروء والحاجة إلى التشقيل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الحلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يقابل المطلوب والمحذور فينبغي أن يستفتي الريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الكتاب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدىء بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

( الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة )

وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار للكسب في الشرع )

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكتسب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات العاملة فيتقيا وما شد عنه من القروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أعلم وأستفتي فيقال له وبهم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم حمل مفسدات العقود فإنه يستمر في التصرفات وبظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة لتمييزه للبإح عن المحذور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدره ويقول لا يبيع في سوقنا إلا بمن يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكسب عنها وهي البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

( العقد الأول البيع )

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان العاقد والمقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصي غير مكلف وكذا المجنون ويجهلها باطل فلا يصح بيع الصي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في العاملة إليهما فضاء في أيديهما فهو الضيع له . وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

( الباب الثاني في علم الكسب )

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليندفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله ركن وصية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم يرض زضا » . وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دورته ودورات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم » . وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية - اصبروا وصابروا ورباطوا - قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في

فلى البقال والحجاز والقصاب وغيرهم أن لا ياملوا الميعة ما تآذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمعه صريحا أو ينتشر في البلد أنه مأذون له في الشراء لسيده وفي البيع له في قوله على الاستفاضة أو على قول عدل بخبره بذلك فإن عامله بغير إذن السيد فقد باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وما تسلمه إن ضاع في يد العبد لا يتعاق برقبته ولا جضمنه سيده بل ليس له إلا اللطافة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل ويكلا بصيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله . وصرح يبيع وكيله فإن عامله التاجر بنفسه فالعامله فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما تسلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه الصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل فقه معاملات مردودة وهو باعصها ربه . وأما الجندي من الأتراك والتركية والمرب والأكراد والسراق والخنوة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام فلا ينبغي أن يملك مما في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بينه أنه حلال وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر عما كان أو شئنا فيعتبر فيه ستة شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا بيع زبل وعذرة ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموت ولا يظهر القيل بالذبح ولا يظهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا يابس يبيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه فإنه يجوز الاتفاق به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع زبر القرفانة أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة السك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة . الثاني أن يكون متفعا به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى اتفان للشعبد بالحية وكذا لا الثفات إلى اتفان أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الحررة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجلده ويجوز بيع القيل لأجل الحمل ويجوز بيع الطوطى وهى البضاء والطاوس والطيور المليحة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته لئى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه <sup>(١)</sup> ولا يجوز بيع العود والصنح والزامر ولللاهي فإنه لا منفعة لها شرعا وكذا بيع الصور للصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نشأ رضى الله عنها « أغذى منها نمارق <sup>(٢)</sup> » ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الاتفان من وجه صح البيع لذلك الوجه . الثالث أن يكون التصرف فيه مملوكا للعاقد أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للأذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا مقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فواجب على العبد للتدين أن يعتز منه . الرابع أن يكون العقود عليه مقدورا على تسليمه

(١) حديث النهى عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا نقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث أغذى منها نمارق يقوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزور ربط فيه الحليل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط للجهاد النفس والتقسيم في الرباط مزابط مجاهد نفسه قال الله تعالى سواجدهوا في الله حق جهاده - قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والموى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته « رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى التزوف فكتب إليه يأخى كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم ثرموا ما ثرمته اختلت أمور

شرطاً وحسباً فلا لا يقدر على تسليمه حساً لا يصح بيعه كالأبق والسكك في الماء والجنين في البطن وعصب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير البيع بالبيع والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعها أيضاً وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون البيع معلوم العين والقدر والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت أو ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك أو زراعاً من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يتعاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شاة مثلاً أن يبيع نصف الشيء أو عشرة فان ذلك جائز . وأما العلم بالقدر فاعلم يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بمائة باع به فلان ثوبه وهما لا يدران ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنعة فهو باطل إذا لم تكن الصنعة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الخنطة فهو باطل أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراها صبح البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة المقدار ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يظلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا أحد الذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المفسج اعتماداً على الرقوم ولا يبيع الخنطة في سبيلها ويجوز بيع الأرض في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع اليافلأ الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح ببيع القفاح لجريان عادة الأولين به ولكن نجعله إجابة بعض فأن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً ستر خلقه ولا يبعد أن يتسامح به إذ في إخراجهم إفساده كالزمان وما يستر بستر خلق معه . السادس : أن يكون البيع مقبوضاً إن كان قد استفاد ملكه بماوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم يقبض (١) ويستوى فيه العقار والنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فيبيعه باطلاً وقبض النقول بالنقل وقبض العقار بالتخيلة وقبض ما يتباعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتبه . وأما بيع الميراث والوصية والوديعة ومالم يكن الملك حاصله فيه بماوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به باللفظ دال على المقصود مفهم إما صريحاً أو كناية فلو قال أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصدناه البيع لأنه قد يحمل الإعارة إذا كان في ثوبين أو دابتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل أيضاً فيما يختاره ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرطاً على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئاً آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشتري الحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للنقول ومهما لم يجز بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلاً وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة إذ تقدم الدلال إلى البراز يأخذ منه ثوباً ديباجاً قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاء فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه عشرة ويحمله ويسلمها إلى البراز فيأخذها ويتصرف فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجز بينهما إيجاب وقبول أصلاً وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت

السلمين وغلب الكفار فلا بد من الفوز والجهاد فكتب إليه يأخى لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على سجاداتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية . وقال بعض الحكماء ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات محل ما عقده الأفلاك الدوائر في اجتماع أهل الروابط صبح على الوجه للوضوح له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقي ما يفسد الأعمال واعتماد ما يصح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد . وقال سري السقطي في قوله تعالى - اصبروا وصابروا - وربطوا - اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة وربطوا أهواء النفس

(١) حديث النهي عن بيع مالم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .



البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هنا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من المضللات التي ليست قبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما فتح باب المعاوضة مطلقا في الحقيق والتفيس وهو محال إذ فيه نقل للملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يمر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم فهاذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لاسيما في الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ لا تسلم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بهته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمن الصحابة ولو كانوا يتكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاوضة فأى فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات وبشكل وجه نقل للملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لمسيئ الحاجة ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتادا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاوضة وطالب الإيجاب والقبول فيه بعد مستقصا ويستبد تكليفه لذلك ويستقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والياب النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فعق ذى الدين أن يعيل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشككة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذًا وتسليمًا سببا إذا لفظ لم يكن سببا لعينه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وعادة الأولين وأطراف جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذا الملك لا بد من نقله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفيس بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين أن لا يذعن الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يتمتع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليلتفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيما يشتره فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابا يكتفون بالمعاوضة في البيع والشراء

العوامة وانتوا ما يعقب  
لكم الندامة لعلكم  
تفلحون غدا على بساط  
الكرامة وقيل اصبروا  
على بلاني وصابروا  
على نعمائي ورابطوا في  
دار أعدائي وانتقوا  
حجة من سوائي لعلكم  
تفلحون غدا بلقائي .  
وهذه شرائط ساكن  
الرباط قطع الماملة مع  
الخلق وفتح الماملة مع  
الحق وترك الاكتساب  
اكتفاء بكفالة مسبب  
الأسباب وحسب  
النفس عن المالحطات  
واجتناب التبعات  
وعائق ليله ونهاره  
العبادة متعوضا بها  
عن كل عادة يشغله  
حفظ الأوقات وملازمة  
الأوراد وانتظار  
الصلوات واجتناب  
الغفلات ليكون بذلك  
مرابطا مجاهدا . حدثنا  
شيخنا أبو النجيب  
السهروردي قال أنا ابن  
نهبان محمد الكاتب  
قال أنا الحسن بن  
شاذان قال أنا دعلج

أومع منهم ذلك أوراؤه أوجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قريبا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن تردنا في جعل الفعل دلالة على قتل الملك فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قتل الملك أضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحمامي في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشترى فينزل منزلة ما لو قال أبحث لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فإنه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بعد الأكل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة أكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر الشحق بمثل حقه فله أن يملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبة فإنه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه للراجعة وأما هنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلّف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفترق إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفادته من الفعل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أتلّفه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالقاضي دينه والتحمل عنه فهذا مانراه في قاعدة المعاطاة على عمومها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقوا مواضع الشبه .

### ( العقد الثاني عقد الربا )

- وقد حرّم الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصياغة للتعاملين على التقدين وعلى التعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصيرفي أن يحتز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فإن لا يبيع شيئا من جواهر التقدين بشيء من جواهر التقدين إلا بداء يد وهو أن يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصياغة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضرورية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تفاضل إذ لا يرد الضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحتز منه في ثلاثة أمور في بيع الكسبر بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيه ما لا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري ردئا بجيد دونه في الوزن أو يبيع ردئا بجيد فوقة في الوزن أعنى إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنس فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدينارين المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فإنا نرخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم الفشوشة بالنحاس إن لم تكن رائحة في البلد لم تصح المعاملة عليها لأن المقصود منها النقرة وهي مجهولة وإن كان نقدا رائحة في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان مموها بالذهب ثمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بثمنها

قال أنا البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في للكاره وإعمال الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا » وفي رواية « ألا أخبركم بما يحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في للكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [ الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة ] قال الله تعالى - لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون

من النقرة بما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولأن يبيعه بل بالفضة يدا يد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتعاملون على الأطعمة فليسهم التقاض في المجلس اختلف جنس الطعام البيع والشترى أولم يختلف فإن اتحد الجنس فليسهم التقاض ومراعاة المائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه اللحم ويشتري بها اللحم نقدا أو نسيئة فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلم إليه الخنطة ويشتري بها الحبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ومعاملة المصار بأن يسلم إليه البرز والسمن والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبن يعطى اللبن ليأخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا نقدا وبجنسه إلا نقدا ومتائلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متائلا ولا متفاضلا فلا يباع بالخنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن حمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمائلة لاتفيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتائلا فلهذه جمل مقنة في تعريف البيع والتبني على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفيق فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

### (العقد الثالث السلم)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تمطر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدراهم جزا في كره حنطة لم يصح في أحد القولين . الثاني : أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع المطارين وأشباهاها ولا يجوز في المعجنات والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقلى المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الحبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبع وقلته يعني عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يتيق وصف متفاوت به القيمة تفاوتاً لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يجعل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قديقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى أجل لا يدرك فيه وكذا سائر الفواكه فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يطل كونه ديناً نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع : أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يمز وجود مثلها أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما سواء كان من جنسه أولم يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يتطهروا والله يحب  
الطاهرين - هذا وصف  
أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
قيل لهم ماذا كنتم  
تصنعون حتى أتى الله  
عليكم بهذا الثناء قالوا  
كنا نتبع الماء الحمر  
وهذا أشبه هذا من  
الآداب وظيفه صوفية  
الربط يلازمونه  
ويتعاهدونه والرباط  
يبتهم ومضربهم ولكل  
قوم دارو الرباط دارهم  
وقد شابهوا أهل الصفة  
في ذلك على ما أخبرنا  
أبوزرعة عن أبيه  
الحافظ القدسي قال  
أنا أحمد بن محمد  
البرازي قال أنا عيسى  
ابن علي الوزير قال  
حدثنا عبد الله البغوي  
قال حدثنا وهبان بن  
بقية قال حدثنا خاله  
ابن عبد الله عن داود  
ابن أبي هند عن أبي  
الحرث حرب بن أبي  
الأسود عن طلحة  
رضي الله عنه قال  
كان الرجل إذا قدم

## ( العقد الرابع الإجارة )

وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما العاقدو اللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالتنفيذ فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان مينا فإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بمارتها فذلك باطل إذ قدر العارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على الكسرى أن يصرفها إلى العارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العارة مجهول . ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلع واستئجار حمال الجيف بحمل الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو يعمد الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة النور والحوائث مبلغ الأجرة فلوقال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة ولم تنفذ الإجارة . الركن الثاني : المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة وينطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وجملة فروع الباب تدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لا نطول بشرحها فقد طوينا القول فيها في التفهيمات وإنما نشير إلى ما تم به البلوى فليراجع في العمل للمستأجر عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة ونصب فلو استأجر طعاماً ليزين به الدكان أو أشجاراً ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه النافع تجري مجرى حبة مسمومة وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستئجار بمقداره والاقباض من ناره ولهذا لو استأجر ياباط على أن يتكلم بكلمة بروجها سلته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ربيع السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تنبئها ولا قيمة لها وإنما يحل لهم ذلك إذا تبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة الثلث فأما ما نواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذاً بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه ولا إجارة للواشي للبهائم ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار للرضعة ويكون اللبن تابها لأن أفرادها غير ممكن وكذا يتسامح بحجر الوراق وخياط الخياط لأنهما لا يقصدان على حالهما . الثالث : أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حسا وشرافا ليصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرضى الشرع في قطعه أو استئجار الحائض على كنس المسجد أو العلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصانع على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا تجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم بالثوب والعلم يعرف عمله بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يشير خصوصاً في العادة فلا يجوز إجماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواضع الاشكال فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام .

للدنية وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يصكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزرعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - وللقابلة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار القل والحق وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى زرع فزال الأحماد والقل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

## ( العقد الخامس القراض )

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قدما معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجوز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح وليكن معلوما بالجزئية بأن شرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجوز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل أو حنطة فيخزنها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعنى الحبز ورعاية اللواشى ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الحزب الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما إنعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالعبطة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها فقد لم يخف وجه القسمة وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أئيمه وأبى المالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بخمس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربعا فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقرب أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يئذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناء في البلد وليس عليه أجرة الخانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المظهرة والسفرة وغيرها .

## ( العقد السادس الشركة )

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة المفوضة وهو أن يقولوا تفاوضنا لشترك في كل مالنا وعلينا بما لاهما ممتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التفتيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمة وبأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يتمتع التصرف عن العزول وبالقسمة يفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اتحم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع وإهمال

بظواهرهم وبواطنهم  
يجتمعون على الألفة  
والمودة يجتمعون  
للحلال ويجمعون  
للطعام ويتعرفون بركة  
الاجتماع . روى وحشى  
ابن حرب عن أبيه عن  
جده أنهم قالوا « يا رسول  
الله إنا نأكل ولا نشبع  
قال لعلكم تفرقون  
على طعامكم اجتمعوا  
واذكروا الله تعالى  
يبارك لكم فيه » .  
وروى أنس بن مالك  
رضي الله عنه قال  
« ما أكل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
على خوان ولا في  
سكرجة ولا خبز له  
مرق قليل فعلى أي  
شيء كانوا يأكلون  
قال على السفر » فالعباد  
والزهاد طلبوا الأضداد  
لدخول الآفات عليهم  
بالاجتماع وكون  
نفسهم تفتلق للأهوية  
والخوض فيما لا ينفع  
فأروا السلامة في  
الوحدة والصوفية لقوة  
عملهم وصحة حالهم  
نزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الانتصار على المعاطاة إذا العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء عجاجات كل يوم ثم الحاسبة في كل مدة ثم التقوم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار العوض فيحل آكله ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتيان فتجتمع في الدمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما فينبغي أن يلتزم منهم الإبراء المطلق حتى لا تبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقوم فهذا ما يجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإعجاب والقبول وتقدير عن كل قدر يسير منه فيه عسر وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه والله للوفيق .

( الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة )

اعلم أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم الفتي بصحتها وانقيادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل نهى يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يبنى به ما استصر به الخير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص العامل .

( القسم الأول فيما يعم ضرره . وهو أنواع )

النوع الأول : الاحتكار فائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره <sup>(١)</sup> » وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه <sup>(٢)</sup> » وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه وعنه أيضاً أنه أحرق طعام محتكراً بالنار وروى في فضله ترك الاحتكار عنه <sup>(٣)</sup> « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة <sup>(٤)</sup> » وقيل في قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم - إن الاحتكار من الظلم وداخل تحت الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسطة فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سعة في السر فقال له التجار لو أخرته جمعة رحمت فيه أضاعفه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضاعفه بنهب شيء من الدين فقد جنب علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة وليتقى أتعجب من إثم الاحتكار كفافاً لا على ولاي . واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرده النهي في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوة ولا هو معين على القوة كالأدوية والعقاقير

( الباب الثالث في بيان العدل )

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث أنس بسنتين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بنصر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله وهو مرسل

هم أو الاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية يوم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى هم سجدته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة . وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من الليف يصلي عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسبط له الخمر في المسجد حتى يصلي عليها » والرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشاغ بالزوايا أليق نظراً إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستعداد بالحركات والسكنات فللنفس

والزعران وأمثاله فلا يمتدئ النهى إليه وإن كان مطعوما وأما ما يعم على القوت كاللحم والفواكه وما يمدد مسدداً يغنى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن الداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والريث وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد النهى في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرراً فأنما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكار الأدوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر عذورك انتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضاً ودون الإضرار بقدر درجات الأضرار متفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأدوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأدوات أصول خلقت قواماً للربح من الزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين يبيع الطعام ويسع الأكل فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزاءاً فإنها صنعة تقسى القلوب أو صواغاً فإنه يزخر الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويح الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستضر به العامل إن لم يعرف وإن عرف فسروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر السك ووباله راجعاً إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً»<sup>(١)</sup> وقال بعضهم إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يغنى ذلك الدرهم ويكون عليه مافسد من أموال الناس بسنته وطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بر بحيث لا يعتمد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسكن عمل علم به يتم نصيح المسلمين فيجب تحصيله ولئلا هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم للدنياهم . الثالث أنه إن سلم وعرف العامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس بأخذة إلا لوجهه على غيره ولا يخبره ولولم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فاعلم بتخلص من إثم الضرر الذي يخص معاملته

(١) حديث من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

شوق إلى التفرد والاسترسال في وجوه الفرق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالعمود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لشكر الصيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض وهكذا ينبغي لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضرب بوقتهم فإذا تخلل أوقات الشبان اللغو واللغو فالأولى أن يلزم الشاب الطالب للوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزوايته وموضع خلوته ليحبس

قسط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »<sup>(١)</sup> فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بر وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخبر فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نعت به مالا ترة فيه أصلاً بل هو محمول أو مالا ذهب فيه أعنى في الدنانير أما مافيه ترة فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو قد البلد قد اختلف العلماء في المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار الترة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يحز إلا إذا علم قدر الترة فإن كان في ماله قطعة ترتها ناقصة عن قد البلد فعليه أن يخبر به معاملة وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويح في جملة النقد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من اللواطبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعب وقد كان السلف يحاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علجاً فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنصر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزناً وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود القسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأسى اشتريت لي علجاً ودفعت في ثمنه درهما زائفاً لا يكون هذا أبداً قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى العلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليتس عليه أمثاله .

( القسم الثاني ما يخص ضرره العامل )

فكل ما يستضره العامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلّي فيه أن لا يعب لأخيه إلا ما يعب لنفسه فكل ماله عومل به شق عليه وقتل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل يبغي أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دنانير فإنه قد ترك النصح للمأمور به في المعاملة ولم يعب لأخيه ما يعب لنفسه هذه جملة فأمّا تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتّم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً وأن لا يكتّم في وزنها ومقدارها شيئاً وأن لا يكتّم من سعرها ماله عرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الشاء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذاباً وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مبروءة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وإن أثني على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري مالم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطباب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتتقضى بسببه حاجته ولا يبغي أن يخلف عليه ألبته فإنه إن كان كاذباً قد جاء باليمين الغموس وهي من الكبار التي تذر الديار بلاقع وإن كان صادقاً قد جعل الله تعالى عرصة لأيمانهم وقد أساء فيه إذ الدنيا أحسن من أن يقصد ترويحها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن  
دواعي الهوى والحوض  
فيها لا يبنى ويكون  
الشيخ في بيت الجماعة  
لقوة حاله وصبره على  
مداراة الناس وتخلصه  
من تبعات المخالطة  
وحضور وقاره بين الجمع  
فينضبط به الخير ولا  
يتكدر هو وأما الخدمة  
فشأن من دخل الرباط  
مبتدئاً ولم يذق طعم  
العلم ولم يتنبه لغفائس  
الأحوال أن يؤمر  
بالخدمة لتكون عبادته  
خدمة ويجذب بحسن  
الخدمة قلوب أهل الله  
إليه فتشمله بركة ذلك  
ويصين الإخوان  
الشتغلين بالعبادة . قال  
رسوله الله صلى الله  
عليه وسلم « المؤمنون  
إخوة يطلب بعضهم إلى  
بعض الحوائج فيقضى  
بعضهم إلى بعض  
الحوائج يقضى الله لهم  
حاجاتهم يوم القيامة »  
فيتحفظ بالخدمة  
عن البطالة التي تمت  
القلب والخدمة عند



وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد »<sup>(١)</sup> وفي الخبر « الذين الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة »<sup>(٢)</sup> وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بعطية ومنفق سلعته يمينه »<sup>(٣)</sup> فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في أمر البين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزايا أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يعبه وخاف أن يكون ذلك تعرضا بالثناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حميها وجلبها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظلما غاشا والفش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الفش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا »<sup>(٤)</sup> ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم<sup>(٥)</sup> فكان جرير إذا قام إلى السلعة يديها بصر عيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فترك فقبل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم ففعل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحم وللظهر فقال بل للظهر فقال إن نحفها نقبا قدرأيتها وإنها لا تتابع السير فعاد فردها فقصصها البائع مائة درهم وقال لو واثلة رحمك الله أفست على ربي فقال إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يحل لأحد يبيع بما إلا أن يبين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبينه »<sup>(٦)</sup> فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يختارون التحل للعبادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع مخالطة والمعاملة بمجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وترويح

(١) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقف له على أصل وذكر صاحب مسند الفروس من حديث أنس بغير إسناد نحوه (٢) حديث الذين الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة للبركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ المصنف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان بعطية ومنفق سلعته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر اللان والسبل إزاره والنفق سلعته بالحلف الكاذب (٤) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث واثلة لا يحل لأحد يبيع بما إلا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا يبينه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

القوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق الواجد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم . أخبرنا الشيخ التقه أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت مملوكا لصمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استغنت بك على أمانة المسلمين فانه لا ينفى أن أستعين على أماناتهم بمن ليس منهم قل فأنيت فقال عمر - لا إكراه في الدين سخطا

السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويذهب يركته وما يجمعه من مركات التلبسات يهلكه الله دفعة واحدة .  
 فقد حكى أن واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض  
 أولاده إن تلك اللبنة المنفردة التي صيبتها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد  
 قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزلت بركة  
 بيعهما (١) » وفي الحديث « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما (٢) » فإذا لا يزيد  
 مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث  
 ومن عرف أن الدرهم الواحد قديلا يرك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدنيا والآلاف  
 المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراه أصليح  
 له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي  
 لا بد من اعتقاده لئيم له النصع ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد  
 أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجير العاقل أن يستبدل الذي هو  
 أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق  
 سخط الله ما لم يؤثر واصله دنياهم على آخرتهم (٣) » وفي لفظ آخر « ما لم يالوا ما نقص من دنياهم بسلامة  
 دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من  
 قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحجزه عما حرم الله (٤) » وقال أيضا ما آمن  
 بالقرآن من استحل محارمه ومن علم أن هذه الأمور قادمة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في  
 تجارتها في الآخرة لم يضع رأس ماله للعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينفع به أياما معدودة . وعن  
 بعض التابعين أنه قال لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي من خير هؤلاء قلت من أنصحهم  
 لهم فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم ولو قيل لي من شرهم قلت من أغشهم لهم فإذا قيل هذا قلت هو  
 شرهم والفتن حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به  
 غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب  
 فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاه بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين  
 سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الحز ولا تطبق  
 إحدى النعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما مثل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث  
 لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إداعلم أنه بظلمه أو أنه لا يريد البيع . فان قلت  
 فلا تتم للعاملة مهمما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن  
 لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في بيعه بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا

(١) حديث البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم  
 ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم  
 من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق  
 سخط الله ما لم يؤثر واصله دنياهم على آخرتهم أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس  
 بسند ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص  
 من دينهم إذا سلت لهم دنياهم الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف  
 أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال يحجزه عما حرم الله الطبراني  
 من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

حضرته الوفاة اعتقني  
 فقال اذهب حيث شئت  
 فالقوم يكرهون  
 خدمة الأغيار ويأبون  
 مخالطتهم أيضا فان  
 من لا يحب طريقهم  
 ربما استضر بالنظر  
 إليهم أكثر مما ينفع  
 فانهم بشر وتبدؤهم  
 أمور بمقتضى طبع  
 البشر وينكرها الغير  
 لقلة علمه بمقاصدهم  
 فيكون إياؤهم لموضع  
 الشفقة على الخلق  
 لا من طريق التعزز  
 والرفع على أحد  
 من المسلمين والشاب  
 الطالب إذا خدم أهل  
 الله المشغولين بطاعته  
 يشاركهم في الثواب  
 وحيث لم يؤهل  
 لأحوالهم السنية يخدم  
 من أهل لها فخدمته  
 لأهل القرب علامة  
 حب الله تعالى . أخبرنا  
 الثقة أبو الفتح محمد  
 ابن سلمان قال أنا  
 أبو الفضل حميد بن  
 أحمد قال أنا الحافظ  
 أبو نصير قال ثنا

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالريح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن  
 تعود هذا لم يشتر الصيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة قال  
 المشتري أرى إليك من عيب فيها إنما تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها  
 تنحمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو ليوطن  
 نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتم في القدر شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي  
 الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس  
 يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى وينقص إذا  
 أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكتاله  
 يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لا أشتري الويل من الله بحبة فكان إذا أخذ نقص نصف حبة  
 وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول : ويل لمن باع حبة حبة عرضها السموات والأرض وما أخسر من  
 باع طوبى بويل وإنما بالقوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف  
 أصحاب الجباب حتى يحفظهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا  
 قال للوزان لما كان وزن منته «زن وأرجح<sup>(١)</sup>» ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسدل دينارا يريد أن يصرفه  
 ويتركه تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بني فملك هذا أفضل من حبتين وعشرين  
 عمرة وقال بعض السلف سمعت للتاجر والبائع كيف ينحو وزن ويغلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان  
 عليه السلام لابنه : يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخبطية بين المتبايعين . وصلى بعض  
 الصالحين على منحن قيل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين  
 يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظنة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد  
 والسامعة والعفوية أبعد والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة  
 عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لا تطعوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان - أي لسان  
 الميزان فإن النقصان والرجحان يظهر بعيه وبالمحلة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف  
 عثم ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات  
 فإن تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه مكيبلا لكونه أمرا مقصود ترك العدل والنصفة فيه فهو جار  
 في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته  
 فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولو لا تعذر هذا واستحالت لما ورد قوله تعالى - وإن منكم  
 إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - فلا يترك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة إلا أن درجات  
 الميل متفاوت متفاوتا فلذلك تفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم  
 إلا بقدر تحلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقرنا من الاستقامة والعدل  
 فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غيره طموع فيه فانه أدق من الشعرة وأحد من  
 السيف ولولا أن كان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته  
 أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على  
 الصراط وكل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من اللطفين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم  
 عظما لم يجز العادة بمثله فهو من اللطفين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذي يتعاطاه البزاز

(١) حديث قال للوزان زن وأرجح أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال  
 الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال  
 ثنا الحرث بن أبي  
 أسامة قال ثنا معاوية  
 ابن عمرو قال ثنا  
 أبو اسحاق عن حميد  
 عن أنس بن مالك  
 رضى الله عنه قال  
 لما انصرف رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم من  
 تبوك قال حين دنا  
 من المدينة إن  
 بالمدينة أقواما  
 ما سرتهم من سير ولا  
 قطعهم واديا إلا كانوا  
 معكم قالوا وهم في المدينة  
 قال «نعم حبسهم العذر»  
 فالتفتهم بخدمة القوم  
 تعوق عن بلوغ درجاتهم  
 بنذر القصور وعدم  
 الأهلية لحام حول  
 الحمى بأذلا مجهوده في  
 الخدمة يتطل بالآخر  
 حيث منع النظر فجراه  
 الله على ذلك أحسن  
 الجزاء وأنا له من  
 جزيل العطاء وهكذا  
 كان أهل الصفة  
 يتعاونون على البر  
 والتقوى ويجمعون  
 على المصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الدرع ولم يمدد وإذا باع مده في الدرع ليظهر تفاوتاً في القدر فكل ذلك من التطييف للمرض صاحبه لقول . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفى منه شيئاً فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان <sup>(١)</sup> ونهى عن النجش <sup>(٢)</sup> أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلمة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقاً ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبس ونهى أيضاً أن يبيع حاضر لباد <sup>(٣)</sup> وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه فيقول له الحضري أركه عندي حتى أغالى في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لمعوم النهي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السعة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجرم مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وإن جرى مواطأة في ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تقرير بفعل يضاهي التقرير في المصراة وتلقى الركبان فهذه الناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويحكم منه أمراً لوعله لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يحجز إليه السكر فيكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرًا كثيرًا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفاً وخسرت نصع رجل من المسلمين فلما أصبح غداً إلى بائع السكر فدفعت إليه ثلاثين ألفاً وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال إني كنتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكروبات ساهرا وقال ما نصحتة فلعله استجيا مني فتركها لي فبكر إليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب قلبي فأخذ منه ثلاثين ألفاً فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يستمتع فرصة ويتهم غفلة صاحب المتاع ويغني من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالماً تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بعث بما قام على أوجبا اشتريته فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساعمة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أماته .

#### ( الباب الرابع في الإحسان في المعاملة )

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للتدين أن يقتصر على العدل (١) حديث النهي عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث النهي عن النجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النهي عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس .

#### ( الباب الرابع في الإحسان في المعاملة )

ومواساة الاخوان  
بالمال والبدن .

[ الباب الخامس عشر  
في خصائص أهل  
الربط والصوفية  
فيما يتعاهدونه  
ويختصون به ]

أعلم أن تأسيس هذه  
الربط من زينة هذه  
لله الهادية المهديّة  
ولسكان الربط أحوال  
تتميز بها عن غيرهم  
من الطوائف وهم على  
هدى من ربهم قال  
الله تعالى - أولئك  
الذين هدى الله فبهداهم  
اقتدوا - وما يرى من  
التقصير في حق البعض  
من أهل زماننا  
والتخلف عن طريق  
سلفهم لا يمدح في أصل  
أمرهم وحمّة طريقهم  
وهذا القدر الباقي من  
الأثر واجتماع المتصوفة  
في الربط وماهياً الله  
تعالى لهم من الرفق  
بركة جمعية بواطن  
للشايخ الماسنين وأثر  
من آثار منع الحق في  
حقهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله يأمر بالعدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان فعل ما ينتفع به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه فضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنازل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في المغالبة فينبغي أن لا يبيع صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فأما أصل المغالبة فما ذون فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا ببيع ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتمتع من قبوله فذلك من الإحسان ومهمالم يكن تلبيس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الثمن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الثمن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربع مائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة ففرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس فصرف حلته فقال للأعرابي بكم اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوى أكثر من مائتين فأرجع حتى تردها فقال هذه تساوى في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله ترع مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث « غبن المسترسل حرام <sup>(١)</sup> » وكان الزبير بن عدى يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لما يدرهم فبين مثل هؤلاء المسترسلين ظلم إن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان وقلمنا يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت وإنما الإحسان المحض ما قل عن السرى السقطى أنه اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب في روزنامه ثلاثة دنانير برحه وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأثاء الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين قد صار اللوز بتسعين فقال السرى قد عقدت عقدا لا أحله لست أبيع إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي للشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وإن رضيت فانا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشرينات بدارهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قبيل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفاً أو واحداً على ما جرت به العادة في مثل ذلك التاع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستغاد من تكررها ربها كثيراً وبه تظهر البركة . كان على رضى الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار

(١) حديث غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمعية من بواطن المؤمنين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى في وصف المؤمنين - كأنهم بنيان مرصوص - وبكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - وروى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن فالصوفية وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الريخ فتعزموا كثيره قيل لبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سب يسارك قال ثلاث ما رددت رجحا قط ولا طلب من حيوان فأخرت يعه ولا بت بنسئته ويقال إنه باع ألف ناقة فاربخ إلا عقلها باع كل عقال بدرهم فربخ فيها ألفا وربخ من ثقتة عليها ليومه ألفا . الثاني : في احتمال الغبن والشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وادخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غنى تاجر يطلب الريخ زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولأحمد قد ورد في حديث من طريق أهل البيت « الغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور <sup>(١)</sup> » وكان إياس بن معاوية بن قره قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغنى ولا يغني ابن سيرين ولكن يغني الحسن ويغني أي يغني معاوية بن قره والكمال في أن لا يغني ولا يغني كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهون مع ذلك الجزيل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهيب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يعطي فضله وإن الغبون يغني عقله وقال بعضهم إنما أغني عقلى وجرى فلا أمكن الغابن منه وإذا وهبت أعطى الله ولا أستر من شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيهمرة بالمساحة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء <sup>(٢)</sup> » فليغتم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اصبح يسمع لك <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر ، أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله <sup>(٤)</sup> » وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساحوا للوسر وأنظروا العسر <sup>(٥)</sup> » وفي لفظ آخر « وتجاوزوا عن العسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فاذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة <sup>(٦)</sup> » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كاتصدق بجميعة في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت الغبون لا محمود ولا مأجور الترمذى الحكيم في التواتر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن طي يرفعه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اصبح يسمع لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساحوا للوسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فاذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين حديث ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر مصرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعوا وبرابطة التأليف الإلهي اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطوا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح . روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف » . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل للقدس عن أبيه قال ثنا أبو القاسم الفضل ابن أبي حرب قال أنا أحمد بن الحسين الحيرى قال أنا أبو سهل ابن زياد القطان قال ثنا الحسين بن مكرم قال ثنا يزيد بن هرون الواسطي قال ثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجنونة فما تعارفت

الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثان عشرة <sup>(١)</sup> « قيل في معناه إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذلك الاستقراض إلا محتاج » ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلا يدين فأومأ إلى صاحب الدين يده أن يضع الشطر ففعل فقال للديون قم فأعطه <sup>(٢)</sup> « وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فموفى معنى المقرض . وروى أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصمح يا أباسعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أباسعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى قبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا أباسعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر « خذ حقا في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا <sup>(٣)</sup> » . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمتن إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمتن إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم أحسنكم قضاء <sup>(٤)</sup> » ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولوقبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم « من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه <sup>(٥)</sup> » وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم « إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أمحاه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالا <sup>(٦)</sup> » ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الاعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلعة ينبغي ترويجها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى من عليه الدين حده فنقد ذلك نصرته في منعه عن تمديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف تنصره ظالماً فقال منعك إياه من الظلم نصرة له <sup>(٧)</sup> » . الخامس : أن يقلل من يستقبله فإنه لا يستقبل إلا متمتعاً مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم « من قال نادماً صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة <sup>(٨)</sup> » أو كما قال . السادس : أن يقصد في معاملته جماعاً من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطلبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحى السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف . (٢) حديث أومأ إلى صاحب الدين يده ضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقا في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حسابا يسيرا وله ولا بن جبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفقته أقاله الله عثرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها اتلف وماتناكر  
منها اختلف « فهم  
باجتماعهم تجتمع  
بواطنهم وتنفيد  
نفوسهم لأن بعضهم  
عين على البعض على  
ماورد « المؤمن مرآة  
الزمن » فأى وقت  
ظهر من أحدهم أثر  
الفرقة نافروه لأن  
الفرقة تظهر بظهور  
النفس وظهور النفس  
من تضيق حق الوقت  
فأى وقت ظهرت  
نفس الفقير علموا منه  
خروجه عن دائرة  
الجمعة وحكموا عليه  
بتضييع حكم الوقت  
وإهمال السياسة وحسن  
الرعاية فيقاد بالنافرة  
إلى دائرة الجمعة .  
أخبرنا شيخنا ضياء  
الدين أبو النجيب  
عبد القاهر السهروردي  
إجازة قال أنا الشيخ  
العالم عصام الدين أبو  
حفص عمر بن أحمد  
ابن منصور الصفار قال  
أنا أبو بكر أحمد بن  
خلف الشيرازي قال أنا

من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتبه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي ثمنه فكان يقول خذني واقض ثمنه عند الليرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل يعد من الخيار من لم يكن يشتبه اسمه في الدقة أصلاً ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فاقض وإلا فأت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد انبرست والقائم به هي لهذه السنة وبالجملة التجارة يحكم الرجال وبها تتخون دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يترك من الرء قيس رقه أو إزار فوق كعب الساق منه رقه أو جبين لاح فيه أثر قد قلعه ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتني على الرجل خبرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال اتني بمن يعرفك فأنا رجل فأتني عليه خيراً فقال له عمر أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فماملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل قال لا قل أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك .

( الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وبم آخرته )

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وشفقته خاسرة وما يفوت من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته إنه لا يد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابداً بنصيبك من الآخرة غنمه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى - ولاتنس نصيبك من الدنيا - لاتنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينبو النصح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينبو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينبو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة فإن استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صناعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاشي وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ « اختلاف أمي رحمة (١) » أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والترف في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافياً عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشديد البنان بالخص وجميع ما تخرف به الدنيا فكل ذلك كرهه

( الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه )

(١) حديث اختلاف أمي رحمة تقدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويماً يقول لا يزال الصوفية غير ما تافروا فإذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من رويهم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفاقاً من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أرفضوا المنافرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن للساهة والراءاة ومساحة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولي وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأاً أهدى إلى عيوني . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ للقدس قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوي قال



ذو الدين فأما عمل الملاحى والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والأجرة للأخوة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الحلبي لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهية للنساء لا يلحقها بالحلي الباح مالم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزاء لما فيه من تساوة القلب وأن يكون حجاباً أو كناساً لما فيه من غمارة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي يصدده لمحالته وحاوله وقيل ببيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقلياً يصير في ربح الإلزام جهالة معاملته بدقائق النقد قلما يسلّم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير لإعند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله وردني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهباً ويصوغه واستحبوا تجارة البر قال سعيد بن المسيب ما من تجارة أحب إلي من البر ما لم يكن فيها إيمان وقد روى «خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز» <sup>(٢)</sup> وفي حديث آخر «لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف» <sup>(٣)</sup> وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحمل والحياطة والحدو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعاً يسدى لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا بواسطة واستبق الحوائش وظهور الأجزاء وأربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحماكة والقطانون وللغازليون والمملون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها ليسى عليه السلام بحماكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقرأوا وخترهم في عين الناس فاستجيب دعائهم وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل المبادات وفروض الكفايات كفصل الوقي ودقهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث النهي عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً وضعفه ابن حبان (٢) حديث خير تجارتكم البر وخير صنائعكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لواتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولواتجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعمان أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال بشر بن سعد لو فطنت ذلك قومنا لك تخويم القدر فقال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بفضب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قبلت بالقلب انحسرت مادة الشر وإذا قبلت النفس بالنفس ثارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها  
للاخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يغمسوق  
الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن  
ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه -  
فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلزم السجود ويأخذ على الأوراد كان عمر  
رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعدكم لدنياكم وكان صالح والسلف يعملون  
أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الهريسة والردوس بكرة إلا الصبيان وأهل  
الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعدد في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار  
وفي آخره ذكر الله وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة  
الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي  
فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أنني قد غفرت  
لهم (٢) » ثم يسمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يهرج على شغل وينزعج عن  
مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يفوته من فضيلة التكبير الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها  
الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصي عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان  
ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات  
الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله -  
إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أخذهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشي فسمع الأذان لم يخرج  
الإشي من الغرز ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلزم  
ذكر الله سبحانه في السوق ويشغل بالتهليل والتسبيح فذكر الله في السوق بين العاقلين أفضل قال  
صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العاقلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحى بين الأموات » وفي لفظ آخر  
« كالشجرة الخضراء بين المهشم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب  
الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق  
قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كضوء القمر  
وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضي الله عنه  
إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم  
إني أعوذ بك من عين فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر الفرغاني كنا يوما عند الجنيد فجري ذكر  
ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويمسكون  
من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد يأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما  
من سيئ الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل  
وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي  
الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون  
في صلاة الغداة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له  
الحديث تقدم في الأذكار .

الذي بينك وبينه  
عداوة كأنه ولي حميم .  
وما يلقاها إلا الذين  
صبروا - ثم الشيخ  
أو الخادم إذا شكا إليه  
قبر من أخيه فله أن  
يأتب أيهما شاء فيقول  
للمتعدى لم تعدت  
وللمتعدى عليه ما الذي  
أذنبت حتى تعدى  
عليك وسلط عليك  
وهلا قابلت نفسه  
بالقلب رققا بأخيك  
وإعطاء للفتوة  
والصحبة حقها فكل  
منهما جان وخارج عن  
دائرة الجمعية فيرد إلى  
الفاخرة بالنقار فيعود  
إلى الاستغفار ولا يسلك  
طريق الإصرار روت  
عائشة رضي الله عنها  
قالت « كان يقول رسول  
الله صلى الله عليه وسلم :  
اللهم اجعلني من  
الذين إذا أحسنوا  
استبشروا وإذا أساءوا  
استغفروا » فيكون  
الاستغفار ظاهرا مع  
الإخوان وباطنا مع الله  
تعالى ويرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإنى لأعرف رجلا يدخل السوق ورذه كل يوم ثلثانة ركة وثلثون ألف تسيحة قال فسبق إلى وهى أنه يعنى نفسه فكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لالتئم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت له حكم واحد وإنما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينما كنت <sup>(١)</sup> » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن التجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارنهم وربهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحقق يندو وبروح في لاش والمائل عن عيوب نفسه فتاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا للحج أو عمرة أو غزو <sup>(٢)</sup> » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرغ روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن ابليس يقول لولبه زلتبورس بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والخلف والحديمة والمكر والحيانة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا <sup>(٣)</sup> » وتعم هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دافعا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخبز في سبط بين يديه فكان إذا ربح جبتين رفع سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لأبراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تقوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حرصنا محروما وضعيفا مرزوقا قللت إن لى دافعا عند البقال فقال عز على بك تملك دافعا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتق مواضع الشبهات ومظان الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفق قلبه فإذا وجد فيه حرازة اجتنبه وإذا حمل إليه سائمة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لك هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لك هذه الشاة ؟ قيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا <sup>(٤)</sup> » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - <sup>(٥)</sup> » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حينما كنت حديث أنى ذر وصححه (٢) حديث لا تترك البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس أبغض البقاع إلى الله الأسواق وأبغض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا تأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا المعنى يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وممعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطنيا صافيا ولا أوتر للقيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فيركب سعيك وقيامك رزق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منظوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشك فإذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله

عن كل ما يحمل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يامله وكذا الأجناد والظلة لا ياملهم البتة ولا يامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم . وحكى عن رجل أنه تولى عمارة سور لشر من الثغور قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محله من الظلة قال فسألت سفيان رضي الله عنه فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للمسلمين فقال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليفرك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يصى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يصى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا يغضب إذا مدح الفاسق » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على للهدى ويده درج أبيض فقال ياسفيان أعطني الدعوة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوبين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب فقال ناو لي الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فكلنا كانوا يعترضون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبغي أن يحتجبوا ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يامل ومن لا يامل وليكن من يامله أقل ممن لا يامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من روني أن أعامل من الناس فيقال له عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحداً إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إنما الله وإنما إليه راجعون . السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فصلة وقولة إنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسنادهما جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يصى الله في أرضه لم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله لا يغضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال « ارحموا  
ترحموا واغفروا يغفر  
لكم » . وللصوفية في  
تهليل يد الشيخ بعد  
الاستغفار أصل من  
السنة . روى عبد الله  
ابن عمر قال « كنت في  
سرية من سرايا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
خاص الناس حصة  
فكنت فيمن خاص  
قلنا كيف نصنع وقد  
فررنا من الرخص وبؤنا  
بالنصب ثم قلنا لودخلنا  
للدينة فقتلنا فيها ثم قلنا  
لو عرضنا أنفسنا على  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فإن كان لنا توبة  
وإلا ذهبنا فأتيناه  
قبل صلاة الغداة ففرج  
فقال من القوم قلنا نحن  
الفرارون قال لا بل  
أنتم العكارون أنا فتنكم  
أنا فئة المسلمين » يقال  
عكر الرجل إذا تولى ثم  
كر راجعاً والعكار  
المطاف والرجاع قال  
فأتيناه حتى قبلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من اللقرين وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب ثم كتاب آداب الكسب والعيشة بحمد الله ومنه .

### ( كتاب الحلال والحرام )

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوه بلبن استصفاة من بين فرت ودم سائقا كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته العادية له عن السطوة والصيل ، وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشمر للاضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيل ، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال ، فبقى لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم <sup>(١)</sup> » رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش الثابت في الموات وما عدها فقد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته للعاملات الفاسدة وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفضلا وهيئات هيئات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضييق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثارها وتميزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمهجوم والاهمال ومطائنها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج الثائب عن المظالم للسالية . الباب الخامس : في إدارات السلاطين وصلاحهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

( الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أصناف الحلال

ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه )

( فضيلة الحلال ومذمة الحرام )

( كتاب الحلال والحرام )

( الباب الأول في فضيلة طلب الحلال )

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة ابن الجراح قبل يد عمر عند قدومه وروى عن أبي مرثد الضوي أنه قال « أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت إليه وقبلت يده » فهذا رخصة في جواز بتقيل اليد ولكن أدب الصوفي أنه متى رأى نفسه تنعز بذلك أو تظهر بوضوحه أن يتمتع من ذلك فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقيل اليد ومعايهم للاخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة وقدومهم من سفر الهجرة بالفرقة إلى أوطان الجمعية بظهور النفس تقربوا وبعدوا وبضية النفس والاستغفار قدموا ورجعوا ومن استغفر إلى أخيه ولم يقبله قد أخطأ قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن المراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين يا كلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم من الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم <sup>(١)</sup> » قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه <sup>(٣)</sup> » وفي رواية « زهده الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله محاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك <sup>(٤)</sup> » ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرص على الدنيا قال « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب يا رب فأني يستجاب لذلك <sup>(٥)</sup> » وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل <sup>(٦)</sup> » فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته لئلام عليه منه شيء <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولأبي منصور في مسند القردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عندي نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله محاب الدعوة فقال له أطب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند القردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

للصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب للكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبق أن أخلع من مالي كله وأهجر دار قومي للتي فيها أتيت الدين . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يحزبك من ذلك الثلث » فصارت سنة الصوفية للطالبة بالقرامة بعد الاستغفار وللناقرة وكل قسدم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر خردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

« من لا يال من أين اكتسب المال لم يال الله من أين أدخله النار »<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال »<sup>(٢)</sup> روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنده راض »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار »<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام « خير دينكم الورع »<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله »<sup>(٦)</sup> ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الإسلام »<sup>(٧)</sup> وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه « المدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم »<sup>(٨)</sup> ومثل الطعنة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوجج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل - أقم أسس بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار »<sup>(٩)</sup> وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال . وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضى الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكلمت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعترز إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء »<sup>(١٠)</sup> وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يال من أين اكتسب المال لم يال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربي في عارضة الأخوذى شرح الترمذى إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والمباشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أسى وانيا من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أسى كالا من عمل يديه أسى مغفوراً له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار أبو داود في الراسيل من رواية القاسم بن عجمرة مرسل (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الإسلام كله لم أقف له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الإسلام أحمد والدارقطني من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقيل عن حنظلة الزاهد عن كعب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة المدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والعقبلي في الضعفاء وقال باطل لأصل له (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكلمت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعترز إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء »<sup>(١٠)</sup> وفي بعض الأخبار أنه

شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقفه أو بما يطلب لكانه بالدروزة أن يكون عنده من الشغل بالله مالا يسهه الكسب وإلا إذا كان للبطالة والحوض فيما لا يفي عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الإرادة من الجهد والاجتهاد فلا ينبغي له أن يأكل من مال الرباط بل يكتبسب ويأكل من كسبه لأن طعام الرباط لأقوام كمل شغلهم بالله غفتمهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدى بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب  
عمر رضى الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبعه وتقيأ وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم  
لتخفلون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما صليتم حتى تكونوا كالحنابا  
وصمت حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله  
ما أدرك من أدرك إلا من كان يقبل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله  
صديقاً فانظر عند من تخطر يأسكين وقيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال  
لو كان لى ولو شربت منه وقال سفيان الثوري رضى الله عنه من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان  
كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذهب لا يكفره إلا الحلال وقال ابن  
عباس رضى الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة  
الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من  
الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأتى كل إلا  
حلالاً ولا يصل إلا فى سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله  
تعالى - كلا بل يدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك ردت درهم من شبهة أحب إلى  
من أن أقصدى بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستائة ألف وقال بعض السلف  
إن الجيد يأكل أكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضى الله  
عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه  
ووقت للخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه  
ومن أقام نفسه مقام ذلك طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى فى آثار  
السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال الملاء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان معتقداً لبدعة فلا  
تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سىء الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين  
العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفى الأخبار الشهيرة عن طى عليه السلام وغيره  
إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع  
طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل الإحلالاً فذلك تستقيم قلوبنا  
ويديم حالنا ونكشف اللسكوت ونشاهد الآخرة ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شىء  
من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فأنى أصوم الدهر وأختم القرآن فى  
كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين  
ختمة فى ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن ظبية وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل  
ويحيى بن معين محبة طويلة فهجره أحمد إذ سمعه يقول إنى لأسأل أحداً شيئاً ولو أعطانى الشيطان  
شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزج فقال تمزج بالدين أما علمت أن الأكل من الدين  
قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفى الخبر أنه مكتوب فى التوراة  
« من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أى أبواب النيران أدخله » وعن طى رضى الله عنه  
أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا محتوماً خذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض  
وقال له الغلام أتدرى ما هذا فقال وما هو قال كنت تسكمت لأنسان فى الجاهلية فذكره دون  
الرفوع منه فلم أجبه .

فيكون ما يأكله فى  
مقابلة خدمته . روى  
عن أبى عمرو الزجاجى  
قال ألفت عند الجيد  
مدة لما رأتى قط إلا  
وأنا مشتغل بنوع من  
العبادة فما كفى حتى  
كان يوم من الأيام  
خلال للوضع من الجماعة  
فصمت وزعت ثيابى  
وحسنت للوضع  
ونظفته ورششته  
وغسلت موضع الطهارة  
فرجع الشيخ ورأى  
على أثر التبار فدعا لى  
ورحب بى وقال أحسنت  
عليك بها ثلاث مرات  
ولا يزال مشايخ الصوفية  
يندبون الشباب إلى  
الخدمة حفظاً لهم عن  
البطالة وكل واحد  
يكون له حظ من  
العاملة وحظ من  
الخدمة . روى أبو  
محمدة قال : جعل  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لنا الأذان  
والساقية لبنى هاشم  
والحجاجة لبنى عبدالدار  
وبهذا يقتدى مشايخ



وابن عينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زيدة وغيرها فقال له ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبر قال وما سببه قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافى ففنى طي وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله طي أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن فأتته أمه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بنى فلان فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقي أنها من أين كانت ترعى فسكت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله يغفرك فقال ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنا لم مغفرته بمعصيته وكان شر الحاقى رحمه الله من الورد عين قليله من أين تأكل ؟ فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيى كمن يأكل وهو يضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

### (أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كإفصلناه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إما لئله في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه .

### (القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والحزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فإنها إما أن تكون من المعادن كاللحم والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات . أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والحزير لو كان مضراً لحرم أكله والطين الذى يتأدى أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام مانع لم يضر به محرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصلحة فزيل العقل البنج والخمر وسائر السكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصلحة الأدوية في غير وقتها وكأن مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والسكرات فإن الذى لا يسكر منها أيضاً حرام مع قلته لعينه ولصفته وهى الشدة الطرية وأما السم فاذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لعينه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فتقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر يطول في تفصيله لاسيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فأنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً روى فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذابح وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا ميتتان السمك والجراد وفي مناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز منهما غير ممكن فأما إذا أفردت أو كلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لاسبب في تحريمها إلا الاستقذار ولو لم يكن لسان لا يكرهه فإن وجد شخص لا يستقدره لم يلفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالحجائب لعموم الاستقذار فيكرهه أكله كالجوع الخاط وشربه كرهه ذلك وليست السكراة لنجاستها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه <sup>(١)</sup> وربما يكون حاراً ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأمر بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه البخارى من حديث أبى هريرة .

الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء ولا يعذر في ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولا نعى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نعى به دوام الرعاية والمحاباة والشغل بالقلب والقالب وقتاً وبالقلب دون القالب وقتاً وتفقد الزيادة من النقصان فإن قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدى شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفى البطالة كفران نعمة الفراغ والسكافاة أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر إجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت طي بن عبد الحميد القضايرى يقول سمعت السرى

ولوتهرت نعمة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقها إذ السقذر هو جرمة إذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم  
بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريمه للاستقذار ولذلك نقول لو وقع جزء من آدمى ميت في قدر ولو وزن  
دانق حرم السكل بالنجاسته فإن الصحيح أن الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراماً  
لاستقذاراً وأما الحيوانات لما كولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم  
والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً محرم ولكن ليس في الأعيان شيء  
محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فإن  
نجاسة السكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقت قطرة من النجاسة أو جزء  
من نجاسة جامدة في مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الاتفاع به لغير الأكل فيجوز  
الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته .  
( القسم الثاني ما يحرم لحال في جهة إثبات اليد عليه )

وفيه يتسع النظر فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره  
كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل المادن أو يكون من مالك والذي أخذ من  
مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً والمأخوذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم  
أو لاستحقاق الأخذ كزكاة المتعدين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضياً إما أن يؤخذ بعوض  
كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة  
أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المادن وإحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء  
من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون للمأخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين فإذا  
انفك من الاختصاصات ملكها أخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات . الثاني : المأخوذ قهراً  
ممن لا حرمة له وهو النقي . والقبضة وسائر أموال الكفار والمخاريق وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا  
منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه  
الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والقبضة وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق  
عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم بسبب الاستحقاق وتم وصف المستحق  
الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان  
أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في  
صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للمأخوذ  
حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين  
وشرط اللفظين أعني الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة ويان  
ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساواة والشفعة والصلح  
والخلع والكتابة والصدقات وسائر المعارضات . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو  
حلال إذا روعي فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث  
أو غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار  
كالإرث وهو حلال إذا كان للورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال  
ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والخلع  
والكفارة إن كان واجباً وذلك مذكور في كتاب الوصايا والقراض فهذه مجامع مداخل الحلال  
والحرام أو ماناً إلى جعلتها ليعلم المرید أنه إن كانت طعمته متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستغنى عن

يقول من لا يعرف  
قدر النعم سلبها من  
حيث لا يعلم . وقد  
يذكر الشيخ العاجز  
عن الكسب في تناول  
طعام الرباط ولا يذمر  
الشاب هذا في شرط  
طريق القوم على  
الإطلاق فأما من حيث  
فتوى الشرع فإن  
كان شرط الوقف على  
التصوفة وطى من تزياد  
بزي للتصوفة ولبس  
خرقتهم فيجوز أكل  
ذلك لهم على الإطلاق  
فتوى وفي ذلك  
القناعة بالرخصة دون  
العزعة التي هي شغل  
أهل الإرادة وإن  
كان شرط الوقف على  
من يملك طريق  
الصوفية عملاً وحالاً  
فلا يجوز أكله لأهل  
البطالات والراكنين  
إلى تضييع الأوقات  
وطرق أهل الإرادة  
عند مشايخ الصوفية  
مشهورة . أخبرنا  
الشيخ الثقة أبو الفتح  
قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

### (درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفي من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالقانيذ وبعضها حار في الثالثة كالديس وبعضها حار في الرابعة كالعسل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريرا وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ ينطبق إلى كل درجة من الدرجات أيضا تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمة فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما ينطبق إليه احتمال التحريم ولكن المفق يرخص في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : مالا تحرمة الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »<sup>(١)</sup> الرابعة : مالا بأس به أصلا ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تنطبق إلى أسبابه السهلة له كراهية أو معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأمثلة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح صفة الفسق فهو أيضا على درجات في الحبث فالأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلا فيلزم يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة للنصوب على سبيل القهر بل للنصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في المعاطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التمسك فقط ثم ترك طريق التمسك بالمعاطاة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض للنهي على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظلما من فقير أو صالح أو من يتيم أحب وأعظم من للأخوذ من قوى أو غنى أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي فهذه دقائق في تفاصيل الحبث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت ماثرات التخليط فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشبه وهو طلب حصرها لاحاصره ويدل على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في تعارض المذنورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا ندم بعض هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة للمتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وفرد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ  
أبو نعيم قال حدثنا  
أبو العباس أحمد بن  
محمد بن يوسف قال  
حدثنا جعفر القزويني  
قال حدثنا محمد بن  
الحسين البلخي  
بسمرقند قال حدثنا  
عبد الله بن المبارك  
قال حدثنا سعيد بن  
أبي أيوب الخزازي قال  
حدثنا عبد الله بن  
الوليد عن أبي سلمان  
الليثي عن أبي سعيد  
الحدرى عن النبي  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « مثل للؤمن  
كمثل الفرس في  
آخيته يحول ويرجع  
إلى آخيته وإن للؤمن  
يسهو ثم يرجع إلى  
الإيمان فأطمعوا  
طعامكم الأتقياء وأولوا  
معروفكم المؤمنين » .  
[الباب السادس عشر  
في ذكر اختلافه  
أحوال مشايخهم في  
السفر والقام] اختلف  
أحوال مشايخ الصوفية  
فمنهم من سافر في

( أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا )

أما الدرجة الأولى : وهي ورع المدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريره مما يدخل في الدخول الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية وهو الذي زيده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأمثلتها كل شبهة لا نوجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الوسوسين كمن يتمتع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (١) ونحمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع ما آتيت » (٢) والإيماء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي تختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب العلم : وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الخشني « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تختمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثله هذه الدرجة نذكرها في العرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله ﷺ « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس » وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتق العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان لحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحوز فكل ما يستوفيه يأخذ بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه زيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتآلف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن معبد أنه قال كنت ما كنا في بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتزيه وأجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد يعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به أن يستحق

(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك النسائي والترمذي والحاكم ومجاهد من حديث الحسن ابن علي (٢) حديث كل ما أصميت ودع ما آتيت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منه فقال وإن أكل قال وإن أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادهما جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الإقامة ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شيء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم ولو بالعين » وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى ما كان سفره ضائعا . وتقل أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحدّث بلغه أن أنسا يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » وقيل في تفسير قوله تعالى - السائحون -

عقوبة على قتلها ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر القبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأثفه حتى لاتصيه الرائحة وقال وهل ينتفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضي الله عنه ثمرة من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال ﷺ كخ كخ (١) » أي ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند مختصر فأت ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث الورثة حق في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة الطائفة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب المسلمين لتيمة فيأعنتي طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ماهذه الرائحة فأخبرته فقال طيب المسلمين تأخذينه فانزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لحوف أداء ذلك إلى غيره وإلا ففضل الخمار ما كان بعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أنفله عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل حجرة لبعض السلاطين ويخسر المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينتفع من العود إلا براحمته وهذا قديقارب الحرام فإن القدر الذي يعقب ثوبه من رائحة الطيب قديقصد وقد ييخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عن سقطة من ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فها هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعته في بطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس أي مخافة من أن يفرض إليه وأكثر اللباعات داعية إلى المحظورات حتى استكثر الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يبيح الحرص ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا اللباعات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عاقبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما تخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى (٢) »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي ثمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ ألقها. البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أنهم طلاب العلم. حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إملاء قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال، حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هريرة قال كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروى عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى لانه من

وإنما هو شيء مثل الكحل يطل به فلم يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه ورق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباجات إلى غيرها فان المظنور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تعوت الشهوة للساحة استرسلت فاقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال افك عن مثل هذه المخالفة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى مصيبة ألبنة . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا يتقدم في أسبابه مصيبة ولا يستمان به على مصيبة ولا يقصد منه في الحال والئال قضاء وطرب بل يتناول لله تعالى قسط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرهم في خواصهم يلعبون - وهذه رتبة الموحدين للتجريد عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستمان عليه بمصيبة ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته لو عثقت في الدار قليلا حتى يصل الدواء فقال هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم تحضره نية في هذه اللحية تتعلق بالدين فلم يجرز الاقدام عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأ كلت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهتفي هائف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذى النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فبعثت إليه امرأة سالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن بشرى رحمه الله كان لا يشرب للماء من الأنهار التي حفرها الأمراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمستمتع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا مر في طريق الحج لم يشرب من الصانع التي عملتها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع الذي عمل به بمال حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذى النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق المقصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقي الصديق رضى الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة مع أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخليه البطن عن الحبيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخطط في المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن المازلي يجلس في قبة في القبائر في وقت يخاف من الطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطلقا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تور للخبز وقد بقي فيه جرم من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع نعله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند السالكين طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع مما حرمته الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكما كان البعد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

سلوكه مسلكا في طلب العلم سهلته له طريقا إلى الجنة ومن جهة مقاصدهم في البداية لقاء الصالح والإخوان الصديقين فلهذا كل صادق مزيد وقد ينضم لحظ الرجال كما ينضم لفظ الرجال . وقد قيل من لا ينضم لحظه لا ينضم لفظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصديقين بلسان فله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق إلى تصاريحه في مودعه ومصدره وخلوته وجلوه وكلامه وسكوته ينفع بالنظر إليه فهو قمع الحفظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق

ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت للنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الحبث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فان شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص. فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

### ( الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرشه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه (١) » فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وأخل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله للماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفا عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطربة في الحجر والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعا كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فان صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ماسكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد نزل في من الصيد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء للطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء النطر والاحتراز منه وسواس ، ولنسم هذا الفن ورع الموسمين حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لادلالة عليه نعم لودل عليه دليل فان كان قاطعا كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملا كالوجود على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كذا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحا فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال للعدوم دلالة كالأحتمال للعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير دارا فيغيب عنه المير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المهدورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين ثم لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوى القدر المقابل له فيصير شكا ولهذا يقول : من شك أنه صلى ثلاثا أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بغير سنين كانت ثلاثا أو أربعاً لم يتحقق قطعا أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثة وهذا التجوز لا يكون شكا إذ لم يحضره سبب أو جب اعتقاد كونها ثلاثا فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه الوهم والتجوز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فغاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فلان فأكله فأقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نعت بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثارات الشبهة خمسة :

### ( الباب الثاني في مراتب الشبهات )

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

الصودية وحقيقتها  
والوجه الثاني أن نظر  
الطعام الراسخين في العلم  
والرجال البالغين رباقي  
نافع ينظر أحدهم إلى  
الرجل الصادق  
فيستكشف بنور  
بصيرته حسن استمداد  
الصادق واستنباه  
لمواهب الله تعالى  
الخاصة فيقع في قلبه  
عجبة الصادق من  
الريدين وينظر إليه  
نظر عجة عن بصيرة  
وهم من جنود الله تعالى  
فيحسبون بنظرهم  
أحوالاً سنية ويهيون  
آثاراً مرضية وماذا  
ينكر للسكر من قدرة  
الله أن الله سبحانه وتعالى  
كأجعل في بعض الأفاعي  
من الخاصة أنه إذا  
نظر إلى إنسان يهلكه  
بنظره أن يجعل في نظر  
بعض خواص عباده  
أنه إذا نظر إلى طالب  
صادق يكسبه حالا  
وحياة وقد كان شيخنا  
رحمه الله يطوف في  
مسجد الحيف يعني

## ( لثار الأول الشك في السبب المحلل والمهرم )

وذلك لا يغلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالين كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالترق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لعدي بن حاتم « لا تأكله فلعله قتله غير كلبك <sup>(١)</sup> » فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو <sup>(٢)</sup> وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة غشيت أن تكون من الصدقة <sup>(٣)</sup> » وفي رواية « فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال « كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزلنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور <sup>(٤)</sup> » ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسح الله خلقاً فجعل له نسلاً <sup>(٥)</sup> وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللاً . القسم الثاني : أن يعرف الحل ويشك في المهرم فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرأتى طالق والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لساير الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة وأقوى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أحسننا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخر نعم وأشك الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في لياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

- (١) حديث لا تأكله فلعله قتله غير كلبك قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقتي يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزلنا منزلاً كثير الضباب فبينما القدور تغلي بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة من بني إسرائيل مسخت فأخاف أن تكون هذه فأكفأنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسح الله خلقاً فجعل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس قيل له في ذلك فقال لله جاد إذا نظروا إلى شخص أكسبه سعادة فانا أنطلب ذلك ومن جملة المقاصد في السفر اجتنبوا قطع المألوفات والانسلاخ من ركون النفس إلى معبود ومعلوم والتعامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك المألوفات محتسباً عند الله أجراً فقد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ القدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأصفهاني . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خريشد قوله قال أحمدنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى



وزان مسألة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيطل الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فتقول اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يفي الاجتهاد وقال المتصددون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرهما عليه لأنه لو وظئهما كان مقتضاها للحرام قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإيمانه لأنه يقين طهارته وقد شك الآن فيه فتقول هذا محتمل في الفقه والأرجح في ظني المنع وأن تعدد الشخصين هنا كاتحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الإنسان بما فيه غيره في رفع الحدث كوضوئه بما فيه نفسه فلا يتبين لاختلاف للكل واتحاده أثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للمقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولنا قصد الآن الإلتئيب على قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي نختار فيه أنه محل واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمه ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والاختار أنه محلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصحمت ودع ما أنميت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رميته عرفت فيها سهمي فقال أأنميت أو أأنميت فقال بل أنميت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فعلمه أعان على قتله شيء » (١) وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في كلبه العلم « وإن أكل فلاناً كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » (٢) والغالب أن الكلب العلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سليما من طريان غيره عليه

(١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رميته عرفت فيها سهمي فقال أأنميت أو أأنميت قال بل أنميت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فعلمه أعان على قتله شيء ليس هذا من حديث عائشة وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي رزين قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيد فقال إني رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من الفد وعرفت سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم لعلمه أعانك عليها شيء رواه أبو داود في المراسيل والبيهقي وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري (٣) حديث قال لعدي في كلبه العلم « وإن أكل فلاناً كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب قال حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « مات رجل بالمدينة بمن ولدها فبصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره من الجنة » ومن جملة للقاصد في السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج رغواتها ودعائها لأنها لا تمكث تبين حقائق ذلك بغير السفر ومضى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق وإذا وقف على داله يتشمر لدوائه وقد يكون أثر السفر في نفس للبسدى كآثر النوافل من الصلاة والصوم والتجود وغير ذلك وذلك أن التفتل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيما بطراً عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير سهمك » (١) وهذا تنبيه على للنهي الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثراً آخر قد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والعمومات للظنونة وغيرها . وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً فيجب القصاص على جرحه بل إن لم يصب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في بطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بحزم الزينة والجرح للذوق لأن العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبتناه على الشبهة وكذلك جنين للذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفع فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كاذب كرهناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذ الكلب للملك كالألة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل للملك بنفسه فأخذ لم يعمل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومنها انبثت بأشارته ثم كل دل ابتداء انبثاته على أنه نازل منزلة آله وأنه يسمى في وكراته ونيابته ودل أكله آخراً على أنه أمسك لنفسه لاصحابه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يعمل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوماً ولكن يطلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذبان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يثبت له حكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتهداه إلى نجاسة أحد الإناءين بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فامرأتى طالق فبحرجه وغاب عنه فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية بالث فيه ثم وجده متغيراً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشرابين ومدمن الخمر والصلاة في القابر للنبوذة والصلاة مع طين الشوارع

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدي بن حاتم

سأع سائر إلى الله تعالى  
من أوطان الغلات  
إلى محل القربات  
وللسافر يقطع المسافات  
ويتقلب في للفاوز  
والقلوات بحسن النية  
فه تعالى سائر إلى الله  
تعالى بمرامه الهوى  
ومهاجرة ملاذ الدنيا .  
أخبرنا شيخنا بإجازة  
قال أنا عمر بن أحمد قال  
أنا أحمد بن محمد بن  
خلف قال أنا أبو  
عبد الرحمن السلمي  
قال سمعت عبد الواحد  
ابن بكر يقول سمعت  
على بن عبد الرحيم  
يقول سمعت النووي  
يقول التصوف ترك  
كل حظ النفس فاذا  
سافر للبندى تاركا  
حظ النفس تطمئن  
النفس وتلين كاتلين  
بدوام النافذة ويكون  
لها بالفرد باغ ينهب  
عنها الخشونق واليوسه  
الجبلية والبفونة  
الطبيعية كالجلد يمود  
من هيئة الجلود إلى  
هيئة الثياب فمود

أعنى المقدار الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الحجر والشركين لأن النجس لا يحل شربه فإذا ما أخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أختره أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم تتعلق ببعض التناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط قد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أو طن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أو طن وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بمحل فهو حلال في المراجعة الأولى والاحتياط تركه فالتقدم عليه لا يكون من زمرة التيقن والصالحين بل من زمرة العدول الذين لا يقنعون في قوى الشرع بنسبتهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً .

### ( المثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط )

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط السائعات أو يكون اختلاط استنباط مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراق والذي يختلط بالاستنباط فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عنه كالعروض أو لا يقصد كالنفود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستقيم العين بعدد محصور كما لو اختلطت البتة بمذكاة أو بمشر مذكيات أو اختلطت رضية بمشر نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسئلة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضية بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نهينا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فان اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بمحلال غير محصور كما لو اختلطت رضية أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل له أن ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز أن يملك بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعاً إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن (١) وغل واحد في الغنمة عبادة (٢) لم يمتنع أحد من شراء الجبان والعباءة في الدنيا وكذلك كل ماسرق وكذلك كان

(١) حديث سرقه الجهن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الغنم عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغال كركرة

النفس من طيبة  
الطبيان إلى طيبة  
الإيمان . ومن جهة  
القاصد في السفر رؤية  
الآثار والعبر وتسريح  
النظر في مسارج الفكر  
ومطالعة أجزاء الأرض  
والجبال ومواطن  
أقدام الرجال واستماع  
التسيح من ذرات  
الجمادات والقهم من  
لأن حال القطع  
للتجاورات قد تجد  
البقعة بتجدد مستودع  
العبر والآيات وتوفر  
بمطالعة للشاهد  
والواقف الشواهد  
والدلالات قال الله تعالى  
- سنريهم آياتنا في  
الآفاق وفي أنفسهم حتى  
يتبين لهم أنه الحق -  
وقد كان السري يقول  
لصوفية : إذا خرج  
الشتاء ودخل آدم  
وأورقت الأشجار طاب  
الانتشار . ومن جهة  
القاصد بالسفر إشار  
الحمول والطراح حظ  
القبول فصدق الصافي  
يتم على أحسن الحال

يعرف أن في الناس من يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالسكينة<sup>(١)</sup> وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع اللوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الانسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فنقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لمر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالآلف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلتقي بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استغنى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا اللقاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة « استفت قلبك وإن أخوك وأخوك وأخوك<sup>(٢)</sup> » وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في المثار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالمتقى يفتى بالظن وعلى المستفتى أن يستفتى قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة خوى للمفتى فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر حكم الأموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذي نخاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترب بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات أن يأخذه من يد ساطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الخمر ودراهم الربا من أيدي أهل القمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس<sup>(٣)</sup> » ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روى أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لمن الله فلانا هو أول من سب الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لنهها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عبادة قد غلها<sup>(٤)</sup> » وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها<sup>(٥)</sup> وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يتمتع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يتمتع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثرين لم يتمتعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالدراهم بالسكينة هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك (٢) حديث استفت قلبك وإن أخوك وأخوك وأخوك قاله لوابصة تقدم (٣) حديث أول ربا أضعه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا في النار يجر عبادة قد غلها البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرز من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني .

ويرزق من الخلق حسن الإقبال وقفا يكون صادق متمسك بمرورة الاخلاص ذو قلب عامر لا ويرزق إقبال الخلق حتى سمعت بعض الشايخ يحكي عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لا آتى أبلغ نفس حظها من الهوى فاني لا بألى أقبلوا أو أدبروا ولصكن لكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى المرء بذلك لا يأمّن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب الممودة وتريه فيوجه للصحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الوجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجراه إلى السكون إلى الأسباب واستجلاء

مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة في أيام الظلمة ومن أوجب ما لم يوجب السلف الصالح وزعم أنه نطق من الشرع ما لم يفتنوا له فهو موسوس يحتل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدى ذلك لامحالة إلى الاختلاط . فإن قيل قد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يعمل ذلك على التزهد والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول . فإن قيل هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقه والتب وغول الضيعة وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا نقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مما في أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهم قسبان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال الرض والسفر من الأعذار العامة والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير والفقهاء إذا تساهل وقال الرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا فتقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجنديّة أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأبدى التي تكررت من أول الاسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فانهم الجنديّة إذ لا يظلم إلا ذغلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشرين فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليبا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فهو عددها معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الانسان بوجهه في البلد خصوصا بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

قبول الخلق وربما قويا عليه لجراه إلى التصنع والتعمل ويتسع الحرق على الرابع . وصحت أن بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت إلى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للأقدام فانه تعالى يدرك الصادق إذا ابتلى بشئ من ذلك وبزجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة إلى السفر فيفارق للعارف والموضع الذي فتح عليه هذا الباب فيه ويشجده لله تعالى بالخروج إلى السفر وهذا من أحسن للقاصد في الأسفار للصادقين فهذه جمل للقاصد المطلوبة للشايع في بداياتهم ماعدا الحج والقرى وزيارة بيت القدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفاسدة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادر حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثر وهو خطأ فانهم الأقل وإن كان فيهم كثرة . وأما السند الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يغلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غضب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول الشرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غضبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والجمشيش في الصحارى والموات والمفاوز والحطب الباش ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أحد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد طرأ سبب غالب يخرجها عن صلاحه فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الموضوء من أواني الشركين جائز وأن الصلاة في المقابر المبنية جائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضع حجر رضى الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المدبوغة والياب المسبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أواندر ، بل نقول نعم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يسلون مع أنه يداس بالقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقلبا يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي تفرق وما كانوا يسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالجمال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستترهون منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تسلم في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيات فذلك معلوم استحالة العادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين ، فأما الظن الغالب الذي يستتار من ردة الدراهم إلى مجارى الأحوال فلم يمتروه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من القد . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنعه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتش في قلبه فوائد النظر إلى حاله للفتن وتطرباطنه باستنشاق عرف معارف المقربين وتمحص بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دلائل أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يطلب ولا يظلم كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى - ففرت منك لما خفك فوهب لي ربي حكما وجسلا من الرسلين - فعد ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأيدى المختلفة تلمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويعتزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهى عماد الدين فيئس الظن بل يجب أن نتقدم فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التى تعارض فيها الأصل والغالب فبان أن الغالب الذى لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالاعتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذى أجمنا فيه على أن تجري في هذا الاستنداد على الجواب الذى قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذى يتبدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفى كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندري أن هذا الفرع يعينه من أى القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فانه كما يزيد للمغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأقل لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يفتنى للتوالد فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ولينفهم السطرشد من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزية قدم وأكثر العلماء يفلطون فيه فكيف العوام هذا في التولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فانها مخلقة مسجلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على الباحات والاستتجار عليها فاستأجر على الاستقاء إذا حاز للماء دخل في ملك السئقي له واستحق الأجرة فكذلك النيل فاذا فرغنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظلما ببقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذى غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الردى . ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمة وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر الشير فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رقى دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستبجوا تمييز من عيز بين مال ومال وذلك عين البدعة والضلال . فان قيل فلوقدر

يرده الحق إلى مقامه  
وبعد بهزيل إنعامه  
ويجعله إماما للمؤمنين به  
يقضى وعلم للمؤمنين  
به يهتدى . وأما الذى  
أقام في بدايته وسافر  
في نهايته يكون ذلك  
شخصا يسر الله له في  
بداية أمره محبة صحيحة  
وقبض له شيئا عالما  
يسلك به الطريق  
ويدرجه إلى منازل  
التحقيق فيلازم موضع  
إرادته ويلتزم بصحة  
من يرد عنه عاداته  
وقد كان الشبلى يقول  
للحصرى في ابتداء  
أمره إن خطر يالك  
من الجمعة إلى الجمعة غير  
الله فحرام عليك أن  
تعصرن فمن رزق  
مثل هذه الصفة  
يحرم عليه السفر  
فالصفة خير له من  
كل سفر وفضيلة  
يقصدها . أخبرنا رضى  
الدين أبو الخير أحمد  
ابن اسمعيل القزوينى  
إجازة قال أنا أبو  
الظفر عبد النعم بن

غلبة الحرام. وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تناولون فيه إذا لم يكن في المين للتناول علامة خاصة. فنقول الذي نراه أن تركه ورجع وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع الإبلامة معينة كافي طين الشوارع ونظائرها بل أزيد. وأقول: لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقينا أنه لم يبق في الدنيا لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فهما حرم الكل حل الكل، وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فلاحتمالات خمسة: أحدها أن يقال يدع الناس إلا كل حتى يموتوا من عند آخرهم. الثاني أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمي يزجون عليها أيما إلى اللوث. الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهه وجهة. الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة. الخامس أن يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمي وزجوا أو قاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخرت الدنيا بالسكينة وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا لتمامها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالنصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رافع لسد الشرع بين الفاسدين وبين أنواع الفساد فتحت الأيدي بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عاقبته حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجاً فإننا أيضاً محتاجون وإن كان الذي أخذته في حق زائداً على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يحز إلا بالتراضى فللتراضى أيضاً مناج في الشرع تتعلق به الصالح فإن لم يعتبر فلم يمتنع أصل التراضى وتعتل تفصيله. وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لا نقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لا يجابه على الكفاية ولا إدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصته سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدير على السكك الأموال يومافوما أوسنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال. أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلاً وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتفنن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحجج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالنهي عن الناس إذا أصبح الناس لا يعلكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نهي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويعهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالاً من غير فرق وأعني بقولي يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكفاية إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصالح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سبباً يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دينهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهتدى من

عبد الكريم بن  
هوازن القشيري عن  
والده الأستاذ أبي  
القاسم قال سمعت محمد  
ابن عبد الله الصوفي  
يقول سمعت عياش بن  
أبي الصخر يقول سمعت  
أبا بكر الزقاق يقول  
لا يكون المرید مريدا  
حتى لا يكتب عليه  
صاحب الشمال شيئا  
عشرين سنة فن رزق  
صحة من يندبه إلى  
مثل هذه الأحوال  
السنة والعزائم القوية  
يحرم عليه المفارقة  
واختيار السفر ثم إذا  
أحكم أمره في الابتداء  
بازوم الصحة وحسن  
الاقتداء وارتوى من  
الأحوال وبلغ مبلغ  
الرجال وانجس من  
قلبه عيون ماء الحياة  
وصارت نفسه مكسبة  
للسعادات يستنشق  
نفس الرحمن من صدور  
الصادقين من الإخوان  
في أقطار الأرض  
وشاسع البلدان يشرب  
إلى التلاق وينبث



يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكننا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء لصالح الدين والدنيا ومالي أنفد هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبداء الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع الفسق فيهم كاشاع في زماننا الآن والكفار غاطبون بفروع الشريعة والأموال كانت في أيدي المكذبين له وللمصدقين أما للكاذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتعاملون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا عنه عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهد الشرع ومائتة تحرمة في شرع لا يتقلب حلالا ليعترض رسول ولا يتقلب حلالا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ممن خمر أموال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في الباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق ونقوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الحسنيات لبطل النظام ثم يطل يطلانه الملك أيضا فالمحترفون إنما سخرُوا ليعتزم الملك للملوك وكذلك القبول على الدنيا سخرُوا ليسلم طريق الدين لدوى الدين وهو ملك الآخرة ولولا لما سلم لدوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثر عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها الشيعة الأتية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - فان قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك يرواقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى السهل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها صالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة . فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفي بنا برهاننا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربا والسرق والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيعمل التناول أيضا فبرهانه ثلاثة أمور . الأول: التقسيم الذي حصرناه وأبطلناه من أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك إذا أجرى فيما إذا كان السهل حراما كان أخرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر والأقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك إنما تخيل من تخيل في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس يعظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فله لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الحيات المظنونة المتعلقة بأحاد الأشخاص . البرهان الثاني : أن يعلى بقباس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الأنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإلا كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقباس المحرر الجزئي هو أنه قد تناقض

إلى الطواف في الآفاق  
يسيره الله تعالى في  
البلاد لقائدة العباد  
ويستخرج بمخاطبيس  
حاله خبأ أهل الصدق  
والتطمعين إلى من  
يخبر عن الحق ويذر  
في أراض القلوب بذر  
الفلاح ويكثر بركة  
نفسه وصحبته أهل  
الصالح وهذا مثل  
هذه الأمة الهادية في  
الإنجيل كزراع أخرج  
شطأه فأزره فاستغلظ  
فاستوى على سوقه  
تعود بركة البعض  
على البعض وتسرى  
الأحوال من البعض  
إلى البعض ويكون  
طريق الوراثة معمورا  
وعلم الإفادة منشورا .  
أخبرنا شيخنا قال أنا  
الإمام عبد الجبار البيهقي  
في كتابه قال أنا  
أبو بكر البيهقي قال  
أنا أبو علي الروذباري  
قال ثنا أبو بكر بن  
داستة قال ثنا أبو داود  
قال أنا يحيى بن أيوب  
قال ثنا اسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات العينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياساً على طين الشوارع وجرة النصرية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات العينة احترازاً عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احترازاً عن التباس اللينة والرضية بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهوراً مستيقن وهو الأصل ومن يسلّم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصلة في عينها حرمة الحر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق الماء مستعداً للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول العاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول أيضاً قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعاً بأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالاً في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم الصلحة ولو دل على أن له مالاً محصوراً في عشرة مثلاً أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم الصلحة فالذي يشك في أن له مالاً سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعاً أن له مالاً ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالصلحة والصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهداً له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالاً يصرفه السلطان إلى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن للصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له قضيتها بموجب الصلحة . فان قيل ذلك يغني عن التصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لاسبابه إلا الصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه والصلحة فيما يشك فيه ولا يلزم تحريره أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تراعى بالشك وتسكيفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات الصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن الصلحة أن يبنى بذلك المال قطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع الصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على الصلحة وقد خرج من هذا أن الحلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالمأخذ السلطان والفقراء الآخذون منه يعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا يان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من الظالم .

( الثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية )

إما في قرآنه وإما في لواحقه وإما في سوابقه أو في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والدخ بالسكران

جفر قال أخبرني العلامة ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » فأما من أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصاً ربه الحق سبحانه وتعالى وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بصايته . وقد ورد جذب من جذبات الحق توازي عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلى من ينتفع به ساق إليه بعض الصديقين حتى أيدته بلطفه ولطفه وتداركه بلطفه ولطفه بقوة حاله وكفاه يسير الصلحة لكمال

للمعصية والاحتطاب بالتقدم للنصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل من ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فإن الامتناع من جميع ذلك ورع وإن لم يكن المستفاد بهذه الأساليب محكوماً بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسمع لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه هنا بل العيان بالبيع بسكين الغير معلوم وحل الديعة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من اللبالة تكاد تلتحق بورع اللوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منصوب أشد منها في الديعة بسكين منصوب أول القنص بسهم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لما لك الكلب أو للصيد ولبه شبهة البذر وللزروع في الأرض للمعصية فإن الزرع لما لك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالمخزن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منصوبة واقتنص بشبكة منصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد ولبه الاحتطاب بالتقدم للنصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المنصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الديعة ولبه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع عتله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو في ذمته مظلة دانت فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتخرج عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر ماملاتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية اللبالة أنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو الفسدت لا يقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن واللبالة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال عليه السلام « هلك المتطمعون <sup>(١)</sup> » فليحذر من أمثال هذه اللبالات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم سجد عما هو أيسر منه فترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زلماتها هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأبوا عن القيام به فاطرحوه فكأن أن الوسوس في الطهارة قد يسجن عن الطهارة فتركها فكأن بعض الوسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسعوا فتركوا التمييز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحق : فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الحمار وبيع الغلام من العروف بالفجور بالقلبان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بمقدمه كما يعصى بالبيع بالسكين المنصوب والديعة حلال ولكنه يعصى عصيان الإغاة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ولبه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خماراً وبيع السيف ممن يضرب ويظلم أيضاً

(١) حديث هلك المتطمعون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهلية في صاحب  
والصحب وإجراء  
سنة الله تعالى في إعطاء  
الأسباب حقها الإقامة  
رسم الحكمة بحوج  
إلى سير المعصية فيتنبه  
بالقليل للكثير وينبه  
اليسير من الصعبة عن  
الاحتطاب الكبير ويكتفي  
بواقر حظ الاستبصار  
عن الأسفار ويتعوض  
بأشعة الأنوار عن  
مطالعة الغير والآثار  
كما قال بعضهم الناس  
يقولون افتحوا  
أعينكم وأبصروا وأنا  
أقول غمضوا أعينكم  
وأبصروا . وصحت  
بعض الصالحين يقول  
له عباد طور سيناء  
ركبهم تكون رءوسهم  
على ركبهم وهم  
في عز القرب فمن  
ينبع له معصية  
الحياة في ظلة خلوته  
فماذا يصنع بدخول  
الظلمات ومن اندرج  
له أطباق السموات  
في طي شهوده ماذا  
يصنع بتقلب طرفه في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف وليه ما هو بالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يبيع منهم البقر والغدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسقى من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للنهي عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم يذمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال عليه السلام «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمماني» <sup>(١)</sup> والتنتطعون هم الذين يغشون عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز مرسوم له وتصرف بذهنه من غير مباح كان ما يفعله أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة خمرا وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدرامته من الصحابة ولوجاز هذا لجواز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإلتفات . وأما المقدمات : فلتطرق للمعصية إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها : ما بقي أثره في التناول كالأكل من شاة علفت بلف مفصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك اللف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً وتقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرطها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها ففعل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلاً فبعثاها إلى الحمى فرعته إبلهما حتى سمحت فقال عمر رضي الله عنه أرعيتها في الحمى فقالا نعم فشاطرها فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من اللف لصاحب اللف فليوجب هذا تحريمها . قلنا ليس كذلك فإن اللف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين اللف فلا شركة لصاحب اللف شرعاً ولكن عمر غرمها قيعة الكلاء ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قدم من الكوفة وكذلك شاطر أباه ريرة رضي الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدره بالشر اجتهاداً . الرتبة الوسطى : ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء الساقي في نهر اجتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقي بماء يجري في نهر حفر ظمأ وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاء في على يد ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس وبالجملة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالأوعى بأكل الحرام فإن الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بنية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أمماني تقدم في العلم .

السموات ومن جمعت أحقاد بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من على الفلوات ومن خلص بخاصية فطرته إلى جمع الأرواح ماذا تفيد زيادة الأشباح . قيل أرسل ذو النون المصري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هيتا له هذا كلام لا يبلغه أحوالنا . وكان بشر يقول يا ميسر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا كثرت بكته في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صرخوا حتى لا تغير فإذا أدام الريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتهما

الموصل كالنهر وقوة اليد الاستفادة بالعداء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أوشتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والسائق يمتنع عن العدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عده من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله عليه السلام لو ابصرت إزدقال « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك » وعرف ذلك إذ قال « الإثم حزاز القلوب <sup>(١)</sup> » وكل ما حاك في صدر المرء من هذه الأسباب فلوا قدم عليه مع حزازة القلب استغفر به وأظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه في التهي عن البالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه ثلاث مرات لعلبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محط في نفسه أولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولواخذوا أولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزاء ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا وإثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في درك مقاصده . وأما المعصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئا في الذمة ويقضى ثمنه من غضب أو مال حرام فيخظر فان سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متعلقا للمظلمة بترك ذمته مرتنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام قد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدرام الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تومي الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كاتمين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجزئ من ملكه كل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين كل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل لهذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا وفي الثمن الحرام أولا ثم قبض فان كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض للبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذا ما أخذه ليس بضمن ولا يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام محرم أكله الرهون إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإثم حزاز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها  
للمنومة بالهمودة  
وعائق الإقبال على  
الله تعالى بالصدق  
والإخلاص اجتمع له  
المتفرقات واستفاد في  
حضرة أكثر من سفره  
لكون السفر لا يغلو  
من متاعب وكلف  
ومشوات وطوارق  
ونوازل يتجدد الضعف  
عن سياستها بالعلم  
للضعفاء ولا يقدر على  
تسليط العلم على  
متجددات السفر  
وطوارقه إلا الأقوياء  
قال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه للذي  
زكى عنده رجلا : هل  
صحبته في السفر الذي  
يستدل به على مكارم  
الأخلاق قال لا قال  
ما أراك تعرفه فإذا  
حفظ الله عبده في بداية  
أمره من تشويش  
السفر ومنعه بجمع العلم  
وحسن الإقبال في  
الحضر وساق إليه من  
الرجال من اكتسب  
به صلاح الحال قد

أورضى هو بالحرام ويرى فيصح إيراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه ويان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا عسكت من السبب الموصل إلى الشيء تشدد الكراهة فيه كما سبق وأقوى الأسباب للوصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فراضه لا يخرج عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أرضاً في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى قتيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك في أنه سيقضى ثمنه من الحلال أو الحرام فهذا أخلف إذ وقع الشك في تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما ينقذ في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون العوض غصباً ولا حراماً ولكن يتبرأ للمعصية كالو سلم عوضاً عن الثمن عبثاً والآخر شارب الخمر أو سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريراً في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة للمعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراماً قبله حرام وإن احتمل تحريره ولكن أيسر بظن قبله مكروه وعليه ينزل عندى النهي عن كسب الحجام وكراهته <sup>(١)</sup> إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يلف الناضح <sup>(٢)</sup> وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قاتل به وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه وعامة القصاب النجاسة أكثر منه للحجام والقصاب فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب أن في الحجامه والقصد تخريب بنية الحيوان وإخراجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما عمل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحس ولذلك لا يجوز للفصاد فصدصى وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجرة الحجام <sup>(٣)</sup> ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن والقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن المغيرة أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لئن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أثمانها» <sup>(٤)</sup> وهذا غلط

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيعت الله إليه من محل إشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستقر في الحضراتها وابتداء وأقيم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة صيف مسجداً ولا توت إلا بين منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوماً يفسد عليه توكله فكان علم الناس

(١) حديث النهي عن كسب الحجام وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والفساني من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام وللبخاري من حديث أبي جحيفة نهى عن غنن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجام خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يلف الناضح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محبسة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجام فنهأ عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال ألعفه ناضحك وأطعمه رقيقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاما لي قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يلفه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة الحجام متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث المغيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لئن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجدهم هكذا والعرف أن ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شعورها جلوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه .

لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع ونعم البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدرج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم «من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه» (١) ثم أدخل ابن عمر أصبعه في أذنيه وقال صمنا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة وإذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فيحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(المشاور الرابع الاختلاف في الأدلة)

فان ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة ومالم يثبت في معرفة التفسير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل للمعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق اللقي والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتى أن ينتقد من المذهب أو سبها عليه بل عليه أن يبحث حتى يثلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له بإمامة شيء وإمامة فيه مخالف فالقرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وتحمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان للفتون يفتون بعمل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستصحاب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى للقي بأنه حلال لأن الترجيح فيه فامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى للقي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل» (٢) ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الدجج بالبسملة (٣) وكل ذلك يقوى دليل الاشتراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل متفق عليه من حديث عدي بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخشني (٣) حديث التسمية على الدجج متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أثير الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعرقهم إياه براه سببا  
ومعلوما . وحكى عنه  
أنه قال مكثت في البادية  
أحد عشر يوما لم آكل  
وتطلعت نفسي أن  
آكل من حشيش البر  
فرايت الحذر مقبلا  
نحوي فهربت منه ثم  
التفت فإذا هو رجع  
عني قليل لم هربت منه  
قال تشوفت نفسي  
أن يفتني فهو لاء  
القرارون بدنيهم .  
أخبرنا أبو زرعة طاهر  
ابن الحافظ أبي الفضل  
القدس عن أبيه قال  
أنا أبو بكر أحمد بن علي  
قال أنا أبو عبد الله بن  
يوسف بن نامية قال  
ثنا أبو محمد الزهري  
القاضي قال ثنا محمد بن  
عبد الله بن أسباط قال  
ثنا أبو نعيم قال ثنا محمود  
يعني ابن مسلم عن عثمان  
ابن عبد الله بن أوس  
عن سليمان بن هرمز  
عن عبد الله عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال «أحب  
شيء إلى الله الثراء»

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «أؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى ولم يسم» (١) واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ويحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعنهم في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان الذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سننه وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد قل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغت لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتر في المسئلة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فان النقلة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن نفوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوي فالتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الأحاد غير معتد به وهو تكلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لاصفة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما يريه وليترك خزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم قال المصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن صحته ولا في داود في الراشدين من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر ولا طبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسل الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليسم . وليذكر اسم الله ثم ليأكل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال المصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سننه وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك للطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيد كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله المصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قبل ومن الغريب ؟ قال  
الفرارون بدينهم  
يجمعون إلى عيسى  
ابن مريم يوم القيامة  
وهذه كلها أحوال  
اختلفت واتبع أربابها  
الصحة وحسن النية  
مع الله وحسن النية  
يقتضى الصدق  
والصدق لينة محمود  
كيف تقلبت الأحوال  
فمن سافر ينبغي أن  
يفقد حاله ويصح  
نقته ولا يقدر على  
تخليص النية من  
شوائب النفس إلا  
كثير العلم تام التقوى  
وافر الحظ من الزهد  
في الدنيا ومن انطوى  
على هوى كامن ولم  
يستقم في الزهد  
لا يقدر على تصحيح  
النية قد يدعو إلى  
السفر نشاط جبلي  
قساني وهو يظن أن  
ذلك داعية الحق ولا  
يميز بين داعية الحق  
وداعية النفس  
ويحتاج الشخص في  
علم صحة النية إلى العلم



بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوى على حرازة في مظان الوسواس ولا يغلو عن الحرازة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى قنوى القلب وإنما قال ذلك لوابسة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحزمة فانه قد يهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير التهب على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يجبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تتاط بها الأحكام . مثاله أن يوصى بحال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمتقى يفتى بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغمض ماثرات الشبهة فان فيها صوراً يتغير للمفتي فيها تحميراً لازماً لاحيلة له فيه إذ يكون للتصنيف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للتقالمتين لا يظهر له ميل إلى أحدهما وكذلك الصدقات للصروفة إلى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غنى ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدار سرعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدادودنها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما لا يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك لا خدله والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الرب وإن توقف المفتي فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم واقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد ويبيها أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذا العرب وسائر أهل اللغات ثم يقدموا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقدير فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقوف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

- (١) حديث لم يرد كل أحد إلى قنوى قلبه وإنما قال ذلك لوابسة وتقدم حديث وابسة وروى الطبراني من حديث وابسة أنه قال ذلك لوابسة أيضاً وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .  
(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بمعرفة الخواطر وشروح  
الخواطر وعليها يحتاج  
إلى باب مفرد لنفسه  
ونومى الآن إلى ذلك  
برمز يدركه من نازله  
شيء من ذلك فأكثر  
الفقراء من علم ذلك  
ومعرفته على بعد .  
اعلم أن ما ذكرناه من  
نشاط النفس واقع  
للفقير في كثير من  
الأمر قد يجد الفقير  
الروح بالخروج إلى  
بعض الصحارى  
والبساتين ويكون  
ذلك الروح مضراً به  
في ثانی الحال وإن كان  
يتراعى له طية القلب  
في الوقت وسبب طية  
قلبه في الوقت أن النفس  
تفسح وتتسع يلوغ  
غرضها وتيسر يسر  
هواها بالخروج إلى  
الصحراء والتزه وإذا  
اتمت بعدت عن  
القلب وتحت عنه  
متشوقة إلى متعلق  
هواها فيتروح القلب  
بالصحراء بل يبعد  
النفس منه كشخص

ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تشور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يرجع جانباً لجل بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه مئارات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن عنب بآعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما انضح من هذا الشرح أخذه وما التبس فليجتنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح الفتى أمأحيث حرمة فيجب الامتناع ثم لا يمول على كل قلب قرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموافق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمسك النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبي إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل ذلك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والمجهوم ، والإيهام ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تهب فليس لك أن تفتش عنه وتساءل وتقول هذا مما لا تحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الرية ومنشأ الرية ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(الباب الأول أحوال المالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولاً أو مشكوكاً فيه أو معلوماً بنوع ظن يستند إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولاً والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساد وظلمه كزى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريباً ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خبازاً أو قصاباً أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريباً أو خائناً ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا نقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان فأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما تذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلائل كافيتان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

تباعده عنه قرين يستفله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لثبوتها وكما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس ذوباناً وخفت ولطفت وصارت قريناً صالحاً للقلب لا يستفله وعلى هذا يماس التروح بالأسفار فللنفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يقتر بالتروحات المستعارة التي لا تعمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكثر بالخطر بل يطرحه بدم الالتفات

في الهجوم على أخذه ، وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إثم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لاتسى الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وأئمت به في الحال قدما من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضی الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يعتمرزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وماتل عنهم سؤال إلا عن رية إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل يسأل في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء فقلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام للمعطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا (٢) إذ العادة ماجرت بالتصدق بالضيافة ، ولذلك دعت أم سليم (٣) ودعا الحياض (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام «أنا وعائشة فقال لا تقال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوآن قريبا إليهما إهالة (٥) » ولم يقل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاء من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بأجابته من غير تفتيش بل لو رأى في داره تجملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عز وزهدا كثيرا فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ الـؤال إيذاء وهتك ستر وإعماش وهو حرام بلا شك . فان قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى فأنت تسأل حذرا من لعل فان قمت قلعل ماله حلال وليس الائم المحذور في إيذاء مسلم بأقل من الائم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو فضيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه نجس وفيه تشبث بالغيبة وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وكم زاهد جاهل يوحش القلوب بالتفتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشبهة بأكل الحلال ولو كان باعته محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صحيح أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة .

(٣) حديث دعت أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

مسيئا ظنه بالنفس  
وتسويلاتها ومن هذا  
القبيل والله أعلم قول  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم «إن الشمس  
تطلع من بين قرني  
الشیطان» فيكون  
للنفس عند طلوع  
الشمس وثبات تستند  
تلك الوثبات والتهنات  
من النفس إلى اللزاج  
والطباع ويطول  
شرح ذلك وبعق  
ومن ذلك القبيل خفة  
مرض المريض غدوة  
بخلاف العشيات  
فيتشكل اهتزاز النفس  
بنهضات القلب ويدخل  
على الفقير من هذا  
القبيل آفات كثيرة  
يدخل في مداخل  
باهتزاز نفسه ظنانه  
أن ذلك حكم نهوض  
قلبه وربما يترأى له  
أنه بالله يسول والله  
يقول والله يتحرك  
قد ابتلى بنهضة النفس  
ووثوبها ولا يقع هنا  
الاشتباه إلا لأرباب  
القلوب وأرباب الأحوال

أشده من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع التردد دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع ألا كل وإحسان الظن هذا هو للألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو ضال مبتدع وليس بتبع فلن يبلغ أحدهم أحدهم ولا نصيفه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف « وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة قبيل إنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية<sup>(١)</sup> » ولم يسأل على الصدق عليها فكان للصدق مجهولا عنده ولم يتبع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورث رية فلنذكر صورة رية ثم حكمها . أما صورة الرية فهو أن تعلمه على تحريم ما في يده دلالة إيمان من خلقته أو من زيه وثيابه أو من فعله وقوله . أما الخلقة فبأن يكون على خلقه الآراء والبواهي والمروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على ذاب أهل القصاد ، وأما الثياب فالقباء والفسفوسه وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ويأخذ ما لا يحل فلهذه مواضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجنيه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال البدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد قال بها مثل هذه الدلالة فأورث رية فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفق به لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك<sup>(٢)</sup> » فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب<sup>(٣)</sup> » وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقه هو أو هدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكيم والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورث رية فإذا تخابلا فالاستحلال لا يستند له وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا لواء متغيرا واحتمل أن يكون بطول للكث فإن رأينا ظلية بالث فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب وليس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل الخافان للشرع إن تلقا بظلم المال فهو أيضا دليل ظاهر كالوصف بامرئ بالنصب والظلم أو بقد عقد الربا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أتبع نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتخرج في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بعد فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه من عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلائل بالاضافة إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلائل تناسب المال على الخصوص فكم من متخرج في المال لا يتخرج في غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يحل يحكم في هذه الواقعة ما يحل إليه القلب فإن هذا أمرين المبدوين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب ثم لنتبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون

وغير أو يلب القلب والحال من هذا بمنزل وهذه مزية قدم مختصة بالحواس دون العوام فاعلم ذلك أنه عزيز على وأقل مراتب القراء في مبادئ الحركة للفر للتصحيح وجه الحركة أن يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخار لا تهمل وإن تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه للصلحة في السفريين أوضح من الخاطر فلقوم مراتب في التبيان من العلم بصحة الخاطر وبما فوق ذلك ففي ذلك كله لا تهمل صلاة الاستخارة اتباعا لسنة في ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إمامه قال أنا أبو القاسم بن عبد الرحمن في كتابه أن أبا سعيد الكنجرودي أخبرهم

(١) حديث أكله طعام بريرة قبيل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث دع ما يريك تقدم في البابين قبله (٣) حديث الإثم حزاز القلوب تقدم في العلم .

جندياً أو عامل سلطان أو ناعمة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديارته وعدالته في الظاهر وجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم : « لا تأكل كل الإطعام نقي ولا يأكل طعامك إلا نقي » (١) فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغنى أو مرب أو استغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والكتاب فهنا السؤال واجب لاحتالة كافي موضع الريبة بل أولى .

(لنثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال في حال المال)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الثمن من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الثمن شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يعمل أخذه جماناً بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذريجان إنكم في بلاد تدفع فيها البيعة فانظروا ذكياً من ميثه أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي آتمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن آتمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر قصايها الجبوس فانظروا الذكي من البيعة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسئلة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يبيع على دكان طعام مغبوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدرار على سلطان ظالمه أيضاً مال موروث ودهقة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضاً فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبهاً فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبةين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكياً بشخص ميثاً مثلاً وجب اجتناب الشكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان وبخلافه من وجه إذ البيعة يعلم وجودها في الحال يقيناً والحرام الذي خالطه ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعلم قطعا أن الحرام موجود في الحال فهو ومثله اختلاط البيعة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل الإطعام نقي ولا يأكل كل طعامك إلا نقي تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد بن الحسين الصوفي قال حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي الولاء عن محمد بن النسكر عن جابر رضي الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلنا الاستخارة كما يلنا السورة من القرآن قال : إذا هم أحدكم بالأمر أو أربأ الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر وبسمه بينه خير لي في ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ثم

بورك لي فيه وإن كنت  
معه شرا لي مثل ذلك  
فاصرفه عني واصرفني  
عنه واقدر لي الخير  
حيث كان .

[ الباب السابع عشر  
فيما يحتاج إليه الصوفي  
في سفره من الفرائض  
والفضائل ]

فأما من الفقه وإن  
كان هذا يذكر في كتب  
لفقه وهذا الكتاب  
غير موضوع لذلك  
ولكن نقول على سبيل  
الإيجاز فيما يذكر  
للأحكام الشرعية التي  
هي الأساس الذي يبنى  
عليه لا بد للصوفي  
للسافر من علم التيمم  
والسجدة على الخفين  
والقصر والجمع في  
الصلاة أما التيمم فجائز  
للمريض والسافر في  
الجنابة والحدث عند  
عدم الماء أو الخوف  
من استعماله تلقا في  
النفس أو المال أو  
زيادة في المرض على  
القول الصحيح من  
للذهب أو عند حاجته

أن المجهوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقض للمدالة وهذا من حيث النقل  
أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع  
في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من  
إقدام على الأكل كما كل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك  
أيضا يحمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأفصال في هذا  
ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرده  
الإباحة فيما إذا كان الأكل أيضا حراما لم يعرف عين للأخذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل  
بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كسبائي في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأكل  
واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسألة  
اشتباه الذكية بالبيسة فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي يتعبر للفقهاء فيها لأنها مترددة  
بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشرين سنة وجب الاجتناب وإن  
كان يلد في عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولو شئت عنها لكن لا أدري ما أقول فيها ولقد  
توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع  
في ملك غيره أيبكون الصيد للرأى أو للمالك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري  
وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع للفقهاء طمعه عن درك الحكم في جميع الصور  
وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما ياملون السلاطين فقال إن لم يعاملوا سوى  
السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على الساعية في الأقل ويحتمل  
الساعية في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والحجاز  
والتاجر لتعاطيه عقد واحد أو فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والشيء مشكلة في نفسها  
فإن قيل قد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يسطيك السلطان فأما  
يسطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك  
فقال له السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا يدعوننا أو نحتاج فنستلفه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا  
احتجت فاستلفه فإن لك الهنا وعليه المأثم وأفتى سلمان بمثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن  
مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لاتعرفه . وروى  
أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعوننا إلى طعامه أفأتيه فقال نعم  
وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله  
عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي  
الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه  
ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت التسلي لا يجد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز  
وفعله محتمل للورع ولكنه لو صرح فسال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما  
لا يحصر وسيأتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسيأتي  
حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقبل  
إنه إنما نقله خوات التيمي وأنه ضعيف الحفظ والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال لا يقولن  
أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتهيات فدع ما يريك إلى ما لا يريك  
وقال اجتنبوا المحسكات ففيها الاتم . فإن قيل فلم قلتم إذا كان الأكل حراما لم يجز الأخذ مع أن

لأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكرة توجب ظنا مرسل لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاتصاحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققت الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من المحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى أى موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاتصاحاب وللسكرة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعوا حتى قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا تجتهد في الأواني إلا إذا كان الظاهر هو الأكثر فاشتراط اجتماع الاتصاحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكرة ومن قال يأخذ أى آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاتصاحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجزى ذلك في بول اشقه بقاء إذ لا اتصاحاب فيه ولا نظره أيضا في ميتة اشتهت بدكية إذ لا اتصاحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام للباح على أنه ملك فهنا أربع متعلقات اتصاحاب وقلة في الخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في الخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن ينقل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض للسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كما لو رأى تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تفسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسألة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه أن قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدرك أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه . مسألة : إذا كان في يدك التولى للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا ما لا يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسله إليه صاحب الوقف نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها التولى وكان التولى ظاهرة العدالة فله أن يأخذ بغير بحث لأن الظن بالتولى أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولى ممن عرف حاله أنه يغلط ولا يزال كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا اتصاحاب يعول عليه وهو وزان سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهبة عند تردده فهما لأن اليد لا تخص الهبة عن الصدقة ولا الاتصاحاب فلا ينبجى منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لثمان ذبيحته واحتمل أن يكون مجوسيا لم يحزله ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الوجود لمعطه  
أو عطش دابته أو  
رفيقه في هذه الأحوال  
كلها يصل بالتييم  
ولا إعادة عليه والخائف  
من البرد يصل بالتييم  
وبعيد الصلاة على  
الأصح ولا يجوز التيمم  
إلا بشرط الطلب للماء  
في مواضع الطلب  
ومواضع الطلب مواضع  
تردد السافر في منزله  
للاحتطاب والاحتشاش  
ويكون الطلب بعد  
دخول الوقت والسفر  
التصير في ذلك كالطويل  
وإن صلى بالتييم مع  
يقين الماء في آخر  
الوقت جاز على الأصح  
ولا يبعد مهما صلى  
بالتييم وإن كان الوقت  
باقيا ومهما توم وجود  
الماء بطل تيممه كما إذا  
طلع ركب أو غير ذلك  
وإن رأى الماء في أثناء  
الصلاة لا تبطل صلاته  
ولا تلزمه الإعادة  
ويستحب له الخروج  
منها واستئناف الوضوء  
على الأصح ولا يقيم

لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلتبس الواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد . مسألة : له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء وبأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التميز ولا يجوز الهجوم مع الإيهام لأن الرباطات والمدارس في البلد لا بد أن تكون محصورة . مسألة : حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يائي بفضب مثله إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يفضب من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يفضبون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أن قدم عليه بمال كثير فقال وعك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرتة وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورعه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مسألة : قال الحرث الحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لوسأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لامن الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الاختراز عن هتك السر وإثارة البغضاء أهم وزاد على هذا وقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحببه الخبيث فإن كان لا يطعمه قلبه إليه فيحترز متلطفاً ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأنني لم أر أحداً من العلماء ضله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيما إذا خالط للمال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الزرية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال . مسألة : ربما يقول القائل أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بدياته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا إن كان يبايع وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهماً كما يسأل للتولي على المال الذي يسله أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي ولا يثبت القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا يثبت في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهماً فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل وأعد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

الفرض قبل دخول الوقت ويقيم لكل فريضة ويصل مهما شاء من التوافل بقيم واحد ولا يجوز أداء الفرض بقيم النافلة ومن لم يجد ماء ولا تراباً يصل ويصعد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمس للصحن وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يقيم إلا بتراب طاهر غير مخالط للرمل والجص ويجوز بالبار على ظهر الحيوان والتوب وبسم الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح بجميع الوجه فلا يبقى شيء من محل الفرض غير مسموح لأصبح التيمم وضرب ضربة للدين مبسوط الأصابع ويمسح بالتراب محل الفرض



ترى العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكمن شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي يميز عن عرفته بالثبوت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتماد عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب فان الفقه هو القلب في مثل هذا اللوضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فلي تأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عقبة بن الحرث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فرزعت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك<sup>(١)</sup> » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أماره غرض له فيه كان له وقع في القلب لا بحالة فذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إلى القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والعرفه وذلك بما يتشعب تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المنصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فان كان يكثر نوع ذلك للتعاضد من غير المنصوب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك للتعاضد في تلك البقعة إلا نادراً وإنما كثر بسبب النصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أرده إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه منصوب لزمه تركه وإلا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهي من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقعها فقد استبرأ لمرئيه ودينه ومن اتعنها فقد حارم حول الحمى وخاطر نفسه . مسألة : لو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال<sup>(٢)</sup> . فيجب السؤال عن أصل اللال أم لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر إلى الرية للفتنة للسؤال إملوجوباً أو ورعاً ولا غاية للسؤال إلا حيث تقطع الرية للفتنة وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشترت انقطع بسؤال واحد وإن قال من شاتي وقع الشك في المشاة فان قال اشترت انقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك بما في أيدي العرب ويتوالد في أيديهم للمنصوب فلا تقطع الرية بقوله إنه من شاتي ولا بقوله إن الشاة ولدتها شاتي فان أسنده إلى الورثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عقبة بن الحرث إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فرزعت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة البخاري من حديث عقبة بن الحرث (٢) حديث سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فسكت عن لبن قد قدم إليه الحديث تهم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعاشي .

وإن لم يقدر إلا بضربتين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب محل القرض ويسمح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا بمسوحتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير اتصال التراب إلى الثابت . وأما للسح : فيسمح على الحف بملاحة أيام ولياليهن في السفر والقيم يوماً وليلة وابتداء اللذة من حين الحدث بعد لبس الحف من حين لبس الحف ولا حاجة إلى النية عند لبس الحف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الحفنين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يسمح على الحف ويشترط في الحف إمكان متابعة الشيء عليه وستر محل القرض ويكفي مسح يسير من أعلى الحف والأولى مسح أعلاه وأسفله

قد ظهر التحريم وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فليُنظر في هذه المعاني . مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك السكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخطط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً أو حراماً أو شبهة . فقلت إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لاسيما في الأطعمة والمستحقرات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف فالغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجوز وإن كان أقل ماله فقيه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله يتقين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن التولى والخادم كالنائب وله أن يشتري له ولنفسه ولكن يكون ذلك بالية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والحجاز ومن يعامله يحول عليه ويقصد البيع منه لا يمن لا يحضرون فيقع عن جبهته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتماداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس يبيع ولا إقراض لأنه لو انتفض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبهه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب أغنى هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طعم الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحقيهم من الوقف ليقضى به دينه من الحجاز والقصاب والبقال فهذا ليس في شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من لا يصح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى أنه لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض بحد عليه وههنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل التطرق إلى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريماً على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضى دين الحجاز والقصاب والبقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقهم قيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر وإن قصر عنه فرضي القصاب والحجاز بأى ثمن كان حراماً أو حلالاً فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليفتت إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاء من حرام فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرة أدوى

من غير تكرار ومتى ارتفع حكم السح بانقضاء الذمة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لثافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الأصح وللأسح في السفر إذا أقام يمسح كالمقيم وهكذا للمقيم إذا سافر يمسح كالسافر واللبد إذا ركب جورباً ونعل يجوز السح عليه ويجوز على للشرح إذا ستر محل الفرض ولا يجوز على للنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللقافة . فأما القصر والجمع فيجمع بين الظهر والعصر في وقت أحدهما ويقيم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره . وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر في المغرب والمصبح بل يصليهما كبريتهما من غير قصر وجمع . والسنن

في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والفاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواصفة وهي من الفتاوى وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخرج الوقائع للفتنة للفتنة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحجز عنه أكثر الفتن .

### ( الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم للمالية )

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيما .

### ( النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج )

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبساً مختلطاً فلا يغلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متمايزة كالعبد والدور والثياب فإن كان في التمايزات أو كان شامها في المال كله كمن اكتسب للمال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المراجعة وصدق في بعضها أو من غصب دهنًا وخلطه بدهن نفسه أو ضل ذلك في الحبوب أو الدرام والدنانير فلا يغلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن كان أشكل فله طريقتان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بظالم الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الدمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات علامات يوثق بها وأما هنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بظالم الظن اجتهدا ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبق إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلا أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بظالم الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقطع القدر اللتين من الجانبين في الحل والحرمه والقدر التردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامساك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكا فيه وجاز إمساكه اعتدالا على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحدا الجانبين بأولى من الآخر وليس يتيقن في الحال ترجيح وهو من للشكوك . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج به ليس يدرى أنه عين الحرام فقلل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت ميتة بتسعة مذكرة فهي العشر فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستعمله ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال أنها الحرام . فتقول هذه للوازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البذل لطرق المعاوضة إليه وأما الميتة فلا تطرق للمعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمنه درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه وقد مثل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال يدع الكل حتى يبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه للرهن آيتين وقال لا أدرى أيتهما آيتك فتركهما فقال للرهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أخترتك فقضى دينه ولم يأخذ

### ( الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم )

الرواتب يصلها بالجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والصبر وبعد الفراغ من الفريضتين يصل ما يصل بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعاً وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدي السنن الربابة لها ويوتر بعدها ، ولا يجوز أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التحام القتال للغازي ويجوز ذلك في السنن الرواتب والنوافل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفي الركوع والسجود الإيماء ويكون إيماء السجود أخفض من الركوع إلا أن يكون قادرا على التحمل مثل أنه يكون في محاورة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا لقلبة حتى

الرهن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فلنفرض المشتة في درهم له مالك معين حاضر فنقول إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون الردود في علم الله هو التآخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فلا احتياط أن يقايسا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان الغصب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح فإن الضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فنقول لأنه أيضا إن كان قد تسلم درهم نفسه قد فات له أيضا درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالتائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو أنلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو ألقى كل واحد مافي يده في البحر أو أحرقه كأن قد أنلفه ولم يكن عليه عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من اللصير إلى أن من يأخذ درهما حراما ويطرعه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا للذهب يؤدي إليه فانظر مافي هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لا يحطها يباعا فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالة وحيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسليم للبدالة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كالأول خطل رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه ببعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يباعا قلنا لا نجعله يباعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك للتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا أخذ درهما أصلا إلا عين ملكي فإن استهم فأنكره ولا أنهبه وأعطل عليك مالك . فأقول على القاضى أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت والتضييق والشرع لم يرد به فإن عجز عن القاضى ولم يجده فليحكم رجلا متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو نفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهما ويتمين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وألزم . فإن قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجزه ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطى فإن أعطى عصي هو دون الأخذ منه وما يجوز أحدا أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حتى وبالتمين وإخراج حق الغير وتميزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما تقدم المثل على القيمة والعين على المثل فسكذا ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتا بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه أو ينظر إلى الذى خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأمثال فإنها تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد ببيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى .

لو حرف دابته عن الصوب للتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته . والمائى يتنفل في السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الإحرام ولا يجزئه في الإحرام إلا الاستقبال ويقنعه الإيماء للرکوع والسجود وراكب للهابة لا يحتاج إلى استقبال القبلة للإحرام أيضا . وإذا أصبح للمسافر مقيا ثم سافر فعليه أتمام ذلك اليوم في الصوم وهكذا إن أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفي الصلاة القصير أفضل من الإتمام . فهذا القدر كاف للصوفى أن يعلمه من حكم الشرع في مهام سفره . فأما الندوب وللمستحب فينبغي أن يطلب لنفسه رفقا في الطريق بعينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله صلى الله

فإن أي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه فإن كانت متائلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنص الدور وصرف إلى للمتبع منه مقدار قيمة الأقل وبوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفيه السكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لا تختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الحنطة ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض أغمض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيقة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيقة نصفا وهو قدر حقه ساهم الورثة فإن النصف الذي له لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو النصب ولا يصير محيزا بنية السلطان وقصد حصر النصب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب وللال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل منصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجره للنصب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجره العبيد والسيب والسيب والأواني وأمثال ذلك مما لا يجتاد إيجارها مما يجسر ولا يدرك ذلك إلا بالجهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأنص وما رجع على المال للنصب في عقود عقدها على القيمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بأجرة المنصب منه للمصلحة فيكون المنصب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تنسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرة فهي أموال حرام حصلت في يده فله المنصب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليتصدق به ولا يحل للغاصب ولا للمنصب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال بائناق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرم بالتحري فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق في يده شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراجه ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والاثم على اللورث واستدل بما روى أن رجلا من ولئ عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله أي لوارثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصعبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري أن فيه حراما جينا .

## ( النظر الثاني في الصرف )

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإيصال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون للمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك وبوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كقول الضيقة فاتها بعد تفرق النزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على ألف

عليه وسلم أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا طالما بأفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة ينبغي أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا أحكم » والذي يسميه الصوفية يشتر وهو الأمير وينبغي أن يكون الأمير أزهد الجماعة في الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وآتهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة . روى عبد الله ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » قل عن عبد الله للروزي أن أبا بلى الرباطي صبه فقال على أن أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت فلم يزل يعمل

أراد نفسه ولا يبي على  
 على ظهره وأمطرت  
 السماء ذات ليلة فقام  
 عبد الله طول الليل  
 على رأس رقيقه يغطيه  
 بكسائه عن اللطر وكذا  
 قال لا تفعل قول ألت  
 الأمير وعليك الاتياد  
 والطاعة فأما إن كان  
 الأمير يصحب الفقراء  
 لحبة الاستياع وطلب  
 الرياضة والتمزق ليلسلط  
 على الخدام في الربط  
 ويبلغ نفسه هواها  
 فهذا طريق أرباب  
 الهوى الجهال البائين  
 لطريق الصوفية وهو  
 سبيل من يريد جمع  
 الدنيا فليتخذ لنفسه  
 رقاء مائلين إلى الدنيا  
 يهتمون لتحصيل  
 أغراض النفس  
 والدخول على أبناء  
 الدنيا والظلمة للتوصل  
 إلى تحصيل مأرب  
 النفس ولا يخلو  
 اجتماعهم هذا عن  
 الخوض في الفية  
 والدخول في المداخل  
 المكروهة والنقل في

**قُلْ**

فان في الخبر الصحيح « إن للزارع والغارس أجرا في كل ما يصبه الناس والطيور من ثماره وزرعه (١) » وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة لا الأجر وتردنا بين التضييع وبين التصديق ورجحنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا ترضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقر حلال إذ أحله دليل الشرع وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا يمتنع عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لحاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولنرسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاه فيقلبه ماتقلبه وهو خير من أن يتصدق به واختار المحاسي ذلك وقال كيف يتصدق به فلعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لحاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكة فيتصدق به عن مالكة فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فردة على السلطان تضييع فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتقويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فاذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالكا له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسي ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال فان لم يجد فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يعمش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فاذا فنى عاد إليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الحبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تتم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أتقنه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذ لفقره لاسيما إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بنصبه وكسبه حتى يفلظ الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرمهم من الحرام إن كان لا يفيض بهم إلى ما هو أشد منه فان أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما عجزه في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال بما تعذر إذا

(١) حديث أجر الزارع والغارس في كل ما يصبب الناس والطيور البخاري من حديث أنس ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زراعا فأكمل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

الربط والاستمتاع  
والزهوة وكلها حكر  
العلوم في الرباط أطالوا  
للقام وإن تصدرت  
أسباب الدين وكلها قل  
العلوم رحلوا وإن  
تيسرت أسباب الدين  
وليس هذا طريق  
الصوفية ومن المستحب  
أن يودع إخوانه إذا  
أراد السفر ويدعولهم  
بدعاء رسول الله صلى  
الله عليه وسلم . قال  
بعضهم صحبت عبد الله  
ابن عمر من مكة إلى  
المدينة فلما أردت  
مفارقتهم شيعني وقال  
صحت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
قال لقمان لابنه يا بني  
إن الله تعالى إذا  
استودع شيئا حفظه  
وإن أستودع الله  
دينك وأمانتك  
وخواتيم عملك . وروى  
زيد بن أرقم عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « إذا أراد  
أحدكم سفرا فليودع  
إخوانه فان الله تعالى

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجامة والصباغ والقصار والحمال والاطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتمهد الدابة وتسجير التنور وتحن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق بيده ولاغنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه يخرج بلحمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة فقائدها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندى وقال الحرث المحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم فيها درهم حرام (١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام (٢) فمراعاة اللحم والعظم أن ينبت من الحلال أولى ولذلك تقي الصديق رضى الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم ثبت ويقي . فإن قيل فإذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهه ومادرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قهبي عن كسب الحجامة فروج مرات ففتح منه قبيل إن له أيتاما فقال أعلفوه الناضح (٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أودابته فإذا افتتح سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذى ذكرناه . مسألة : الحرام الذى فى يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضيّق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان فى برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه فى ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذى حضر ضيفا تقيًا لو علم ذلك لتورع عنه فليمرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغي أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل فى المعدة أثر فى قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقي أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أفئنا بأنه حلال للفقراء أحللتناه بحكم الحاجة إليه فهو كالخزير والحرام إذا أحللتناه بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسألة : إذا كان الحرام أو الشبهة فى يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يؤاقهما على الحرام المحض بل ينهما فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلف فى الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطلب الضغ ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أياضاً كد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة درهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد ثبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضعا وعبدًا حجاما الحديث وفيه أعلفوه الناضح أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاع ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضعا وغلاما حجاما الحديث وليس المراد بجده رافع ابن خديج فإنه بقى إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأهل وهو خديج ولم أره ذكرًا فى الصحابة وفى رواية للطبراني عن عباية بن رفاع عن أبيه قال مات أبى وفى رواية له عن عباية قال مات رفاع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له فى دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت » وينبغى أن يستفد إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه قد روى أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطايام إذا جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة ققلت استودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فإذا نار تلوح على قبرها ققلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة ققلت والله إنها



وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتمد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر  
 وحسد تمارض أسباب الورع فينبغي أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سلمت  
 إليه أمه رطبة وقالت بحقي عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم سعد غرفة فصعدت أمه وراءه  
 فرأته يتقياً وإنما فصل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة العدة وقد قيل لأحمد بن  
 حنبل مثل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قيل له مثل محمد بن مقاتل  
 العباداني عنها فقال بر والديك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالاً ثم قال  
 ما أحسن أن تداريها . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية  
 لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه  
 إخراج الكل إما رداً على المالك إن عرفه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان  
 مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً ممكن ولا يسقط الحج  
 إلا بالقرء ولم يتحقق قرءه وقد قال الله تعالى - وفيه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -  
 وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تخريمه فالزكاة أولى بالوجوب  
 وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمينين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون  
 الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الإطعام والذي نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب  
 اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم  
 والإطعام أما الصوم فلا لأنه مفلس حكماً وأما الإطعام فلا لأنه قد وجب عليه التصديق بالجمع ويحتمل  
 أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد  
 أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة  
 أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لئلا هذه الحاجة  
 في الطريق كالأجور شراء للمركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى  
 به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج  
 واجب بماله فيه شبهة فليجتمد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل  
 فإن لم يقدر فليجتمد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه  
 حرام فليجتمد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنما وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع  
 ضرورة وما ألحقناه بالطيبات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر إليه من تناول  
 ما ليس بطيب فمسا ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته . مسألة :  
 مثل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل مات أبي وترك مالا وكان يعامل من تسكره معاملته فقال  
 تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضى وتقضى فقال أفتري ذلك قال أفتدعه  
 محتسباً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحريم بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج  
 قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في اللعوات الفاسدة بطريق التفاضل  
 والتقابل مهما كثرت التصرفات وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يمين فلا يترك بسبب الشبهة .

( الباب الخامس في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم )

اعلم أن من أخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان  
 من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى  
 حاله وحال شركائه في الاستحقاق .

( الباب الخامس في إدارات السلاطين )

كانت صوامع قوامه  
 فأخذت المعول حتى  
 اتسبنا إلى القبر فحفرنا  
 وإذا سراج وإذا هذا  
 الفلام يدب ثقيل إن هذا  
 وديعتك ولو كنت  
 استودعتنا أمه لوجدتها  
 فقال عمر لهو أشبه بك  
 من العراب بالعراب .  
 وينبغي أن يودع كل  
 منزل يرحل عنه  
 بركتين ويقول : اللهم  
 زدني التقوى واغفر لي  
 ذنوبي ووجهي للخير  
 أينما توجهت . وروى  
 أنس بن مالك قال كان  
 رسول الله عليه الصلاة  
 والسلام لا ينزل منزلاً  
 إلا ودعه بركتين  
 فينبغي أن يودع كل  
 منزل ورباط يرحل  
 عنه بركتين وإذا  
 ركب الدابة فليقل  
 - سبحان الذي سخر  
 لنا هذا وما كنا له  
 مقرنين - بسم الله  
 والله أكبر توكلت على  
 الله ولا حول ولا قوة  
 إلا بالله العلي العظيم .  
 اللهم أنت الحامل على

## ( النظر الأول في جهات الدخل للسلطان )

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسماً : مأخوذ من الكفار وهو الغنيمة للأخوذة بالقهر والقبض وهو الذي حصل من ماله من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقبة . والقسم الثاني المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا قسماً : الوارث وسائر الأمور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا تمولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لقمية أو غيره إدرار أو صلة أو خلة على جهة فلا يغلو من أحوال ثمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على الوارث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزانة . فالأول هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها للجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأ خمس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضاً في محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون الدمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسباً من وجه لا يعلم تحريره فلا يكون عامل سلطان ظالماً ولا يبيع خمر ولا صبياء ولا امرأة إذ لا جزية عليهما فهذه أمور تروعي في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للوارث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراماً بقي النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في المقدار للصرف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في لليراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ موافقاً له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يستبر فيه شرط إذله أن يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن الثالب أنه أحياء باكره الأجراء أو بأداء أجرهم من حرام فان الإحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكروهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض . الخامس ما اشتراه السلطان في الدمة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقتضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على يبيع بعامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فانه كال خزانة السلطان وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يسطيه قرض على السلطان وسياً أخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بينه من الحلال احتمالاً قريباله وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز

الظهر وأنت للسمان على الأمور السنة وأن يرحل من النازل بكرة ويستدي يوم الخميس روى كتب بن مالك قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية بشها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا للزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا للزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين . وما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لا يخافه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام في أن آخذه وقال آخرون لا يحمل أن يأخذ  
 ما لم يتحقق أنه حلال فلا يحمل شبهة أصلا ولا كلاها إسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب  
 إذا كان حراما حرم وإن كان الأغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق . ولقد احتج  
 من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روى  
 عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد  
 الخدرى وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصارى وجابر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسلم بن  
 مخزومة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من  
 الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعى من هرون  
 الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالا حقة وقال على رضى الله عنه خذ ما يطيك السلطان  
 فأنما يطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعا بحفاة على  
 دينه أن يحمل على ما لا يحمل ألا ترى قول أبي ذرٍّ للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نعمة فإذا كان آثما  
 دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضى الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منعا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب  
 أن أباه هريرة رضى الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق  
 لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أى يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع  
 عن ابن عمر رضى الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لأسأل أحدا ولا أورد ما رزقنى  
 الله وأهدى إليه ناقة قبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى أن ابن عمر رضى الله  
 عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والاسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال يبعث ابن مسعود إلى ابن  
 عمر بستين ألفا قسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما  
 قدم الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه فقال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدا قبلك  
 من العرب ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب  
 ابن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قليل ما هى قال مال وكسوة وعن  
 الزبير بن عدى أنه قال قال سليمان إذا كان لك صديق عامل أو تاجر فراقف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه  
 أو أعطاك شيئا فقبل فإن للهنا لك وعليه الوزرفان ثبت هذا في الربى فالظالم في منعه وعن جعفر عن  
 أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررتا على سعيد  
 ابن جبيرة وقد جعل عامل على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أن اطعمونا مع عندكم فأرسلوا بطعام فأكل  
 وأكلنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدي آتى إبراهيم أبى وهو عامل على حلوان فأجازه فقبل وقال  
 إبراهيم لأبى بجائزة العمال إن لعمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب لما أعطاك  
 فهو من طيب ماله قد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في مصبة الله  
 تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع  
 كالخلفاء الراشدين وأبى ذرٍّ وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زاهد ومن الحلال الذى  
 يخاف إفضاؤه إلى محذور ورطاً وتقوى فاقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم  
 وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت للمال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفا وما نقل عن  
 الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صيرنى ولو ضاق وقت الصلاة لأتى لأندى أصل ماله كل ذلك ورع  
 لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضا فهذه  
 شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم . والجواب أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة إلى

وخيوطها والقراض  
 ورويت عائشة رضى الله  
 عنها أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم كان إذا  
 سافر حمل معه خمسة  
 أشياء للمرأة والمكحلة  
 والسدى والسواك  
 والشط وفي رواية  
 القراض والصوفية  
 لا تفارقهم الصاوى  
 أيضا من السنة . روى  
 معاذ بن جبل قال قال  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم « إن آخذ  
 منبرا قد أخذ إبراهيم  
 وإن آخذ الصا  
 قد أخذها إبراهيم  
 وموسى » وروى عن  
 عبد الله بن عباس  
 رضى الله عنهما أنه قال  
 التوكؤ على الصا من  
 أخلاق الأنبياء كان  
 لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم عصا يتوكأ عليها  
 ويأمر بالتوكؤ على  
 الصا وأخذ الزكوة  
 أيضا من السنة . وروى  
 جابر بن عبد الله قال  
 « بينا رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يتوضأ من

ما قل من ردم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان بفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فلغ ستة آلاف درهم فمرمها لبيت المال وحق إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت للمخفة عن أحد منكميه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر اصبعه فأخرجه من فيها وطره على الحراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا مال المسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمر رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بظلمة ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى مالا يريك » (١) وقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه » (٢) ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع نعمة على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج فقال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بئسك بالحق لا عمل على شيء أبدا » (٣) وقال ﷺ « إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجدن نفسي فيه إلا كالو إلى مال اليتيم إن استغنيت استغنيت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس اقتل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له وبعت من ثمنها إلى عمر ثلثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من الباليين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم وأشداهم ذما لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له إنا لرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وستر دقري وفي حديث آخر أنه قال إن الحبيث لا يكفر الحبيث وإنك قدوليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شرا فقال له ابن عامر ألا تدعوني قال

ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه « والأصل فيه البكاء كالصبي يتلزم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء فترب ولا تنوضأ به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يغور من بين أصابعه مثل العيون قال فوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بأزركم فربطنا ومشينا خلفه للمرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

(١) حديث دع ما يريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة يبيع نعمة على رقبتك الحديث الشافعي في السند من حديث طاوس مرسل ولا يبي يمل في الجمع من حديث ابن عمر مختصرا أنه قاله لسعد بن عبادة وإسناده صحيح (٤) حديث إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عتبة بن عامر .

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » (١) وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرّفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما صنعت من الطعام ماذا انتهت الدار إلى يومى هذا . وروى عن طى رضى الله عنه أنه كان له سويق في إثناء غنوم يشرب منه قليل أفضل هذا بالمراق مع كثرة طعامه قال أما إنى لأختمه بخلافه ولكن أكره أن يحمل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يسيبه شيء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تقتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقدمت به الدنيا إلا ابن عمر في هذا يتضح أنه لا يظن بغيره كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدرى أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن ما لا يتعين مالكة هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم فقد قبول أخذه منه وضرته أولى من تركه في يده ، وهذا قدر آه بعض العلماء وسيأتى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويمتجون بابن عمر وطائفة ما يقتدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد ذلك قستين ألفا وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأنصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بمأمله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر مما له حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضى الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تلميح طى رضى الله عنه حيث قال فان ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا مما قد جوزة جماعة من العلماء تفويلا على الأكثر ونحن إنما توقعنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتادا على الأغلب وإنما مناهه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن ادرايات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تفرقه من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والغنمة لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخفها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الحراج والضروب على المسلمين ومن للصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره . والوجه الثانى أن الظلمة في العصر الأول تقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استئالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطايهم وجوازيهم وكانوا ينشئون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يقلدون النية قبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يفشون مجالسهم ولا يكثرن جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرونها النكرات منهم عليهم لما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فأما الآن فلا تسمع نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتسكّرهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بخشيان مجالسهم وتكليفهم الواظبة على الدعاء والثناء والتركية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر .

خروجهم من الربط  
أن يصل ركعتين في  
أول التمار يوم السفر  
بكرة كاذ كرنا يودع  
البقرة بالركعتين  
ويقدم الحنف وينفضه  
ويشمر الكم البني ثم  
اليسرى ثم يأخذ  
اليانيد الذى يشده  
وسطه وبأخذ خريطة  
للداس وينفضها ويرتقى  
للوضع الذى يريد أن  
يلبس الحنف فيفرقه  
السجادة طاقين  
ويحك نعل أحد  
للداسين بالآخر وبأخذ  
للداس باليسر  
والخريطة باليمين ويضع  
للداس في الخريطة  
أعقابيه إلى أسفل  
ويشد رأس الخريطة  
ويدخل للداس يده  
اليسرى من كفه  
الأيسر ويضعه خلف  
ظهره ثم يقعد على  
السجادة ويهدم الحنف  
يساره وينفضه  
ويبتدى باليمين فيلبس  
ولا يدع شيئا من الران  
أو للنطقة يقع على

في حضورهم ومغيبيهم فلم يذلل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعا وبكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وبإظهار الحب والموالاة والناصرته له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابعه ومساوئ أعماله سابعاً لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلاً فلاذ لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لأفضائه إلى هذه اللعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس اللائكة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال القتل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسنين في الباب الذي يلي هذا فإذا قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يعمل منها وما لا يعمل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يعمل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمان سنبه عليها في الباب الذي يلي هذا.

### (النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الأخذ)

ولنفرض للمال من أموال الصالح كأربعة أخماس التي\* وللوارث فان ماعده بما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس في أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان بما أحياء أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال الصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فأما النفي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يقوم به تمتدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتمطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه للعلمون والمؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصاحبة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بعهده أمر ديني ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من يحتاج منهم غير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع النفي فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يفرقوا بالحاجة وليس يتقدر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويضيء وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال قد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم نفقة في السنة ، وأثبت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة والجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص

فلأرض ثم يضل يديه ويحصل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان أخذ بعض الإخوان راووته إلى خارج الرباط لا ينعمه وهكذا المسواو الأبريق ويودع من شيعة ثم يشد الراوية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كتفه الأيمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فاذا وصل في طريقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة محل الراوية ويحيطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية ولأنا دنا من منزل رباطا كان أو غيره محل الراوية ويحيطها تحت إبطه الأيسر وهكذا المسواو الأبريق يمكنه يساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما خسر عالم أو شجاع بصلة كان فيه بث للناس وتحرير على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إمامعزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس بعمم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعهم وكان في الاستبدال به فنة تائرة لا تنطق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء (١) وللنع من سل اليد عن مساعدتهم (٢) أو امر وزواجر فالذي نراه أن الخلافة منعقدة للتكفل بها من بنى العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أقطار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهرى السنتبطن من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضي أبى الطيب فى الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط فى السلاطين تشوقاً إلى مزايا الصالح ولو قضينا بطلان الولايات الآن لبطلت للصالح رأساً فكيف يفوت رأس المال فى طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة فى أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء فى أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه فى أحكام الامامة من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد فلسنا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يسم بالمطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فعلا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه دائق أو جبة فليترك الكل وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوحق فى هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالنخبة بين الغائبين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يتمتع بظلم المالك بقية الأصناف يمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال مالى صرف إليه بطريق الأيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز فى المطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجع عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس سمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة . ولمسلم من حديث أبى هريرة عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبى ذر أوصانى النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لعبد مبدع الأطراف (٢) حديث النع من سل اليد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلامات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبى هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استحسنها فقراء خراسان والجيل ولا يتعهدا أكثر فقراء العراق والشام والمغرب ويجرى بين الفقراء مشاحنة فى رعايتها فمن لا يتعهدا يقول هذه رسوم لا تلزم والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق ومن يتعهدا يقول هذه آداب وضعا للتقدمون وإفا رأوا من يخل بها أو بشئ منها ينظرون إليه نظر الازدراء والحقارة ويقال هذا ليس بصوفى وكلا الطائفتين فى الإنكار يتصدون الواجب والصحيح فى ذلك أن من يتعهدا لا ينكر عليه فليس بمنكر فى الشرع وهو أدب حسن ومن لم يلتزم بذلك فلا ينكر عليه فليس بواجب فى الشرع ولا مندوب إليه وكثير من فقراء خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجويرة سنة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لعل خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جنات وآثر عثمان علياً رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدين التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانص على عنها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه للسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وحق وإن كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضول مارد في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق فليؤخذ هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شد عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بنفلة أو سوء رأى وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إداراً على التركات أو الجزية لم يصر فاسقاً بمجرد أخذه وإنما يفسق بخدمته لم ومعاوته أيام ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلّم المال غالباً إلا بها كما سنبينه .

( الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم )

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تعتزل عنهم فلا ترام ولا يرونك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تمليطات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فنقلها لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم <sup>(١)</sup> » وذلك لأن من اعتزلهم تسلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم تركه النابذة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض <sup>(٢)</sup> » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء <sup>(٣)</sup> » وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر الذين يأتون الأمراء »

( الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين )

(١) حديث فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن محجرة (٣) حديث أبي هريرة أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رواية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيراً ما يحل بها قراء العراق والهام والغاربة إلى حد يخرج إلى المضيط والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويحصل للصلح الاخوان أعمار مالم يكن فيها منكر أو إخلال بمندوب إليه والله للوفى .

[ الباب الثامن عشر في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه ]  
يفنى للفقير إذا رجع من السفر أن يستعذ بالله تعالى من آفات لقلم كما يستعذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء المأثور : « اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء النظر في الأهل والمال والولد » وإذا أشرف



وفي الخبر «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم» (١) رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فقد قال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدق بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال أبوذر «سلة يأسلة لاتفتى أبواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه ، وقال سفيان في جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزوارون للملوك ، وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال سمنون ما أصبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جريت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدر مع ما أواجههم به من الظلمة والمخالفة لهوهم ، وقال عباد بن الصامت حب القاري الناسك الأمراء ثقا وجهه الأغنياء رياء ، وقال أبوذر من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه رضي به بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للعباج فعزله فقال الرجل إنما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حبسك بصحبته يوما أو بعض يوم شؤما وشيرا ، وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قريبا إلا ازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن السيب يتجر في الزيت ويقول إن في هذا لشيء عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من القامرين ، وقال محمد بن سلة اللباب على العذرة أحسن من قاري على باب هؤلاء ، ولما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال يبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا قد أفتلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الشاق على العلماء قال الله تعالى - لثيبنه للناس ولا تكتمونه - واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنت وحشة الظالم وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا حين أدناك أنخذوك قطبا تدور عليك رحي ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسعاً يصعدون فيه إلى ضلاتهم ويدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك لما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم - غلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يعجل ويحفظ عليك من لا ينفل فداو دينك فقد دخله سقم وهي زادك قد حضر سفر بيد - وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ، فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن تفصل ذلك تفصيلا قهيا نميز فيه المخطور عن الكروه والباح . فنقول : الداخل على السلطان متعرض لأن يصي الله تعالى إما بفعله أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينشك عن أحد هذه الأمور أما الفعل فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مضوبة وتخطيها والدخول فيها بغير إذن للملك حرام ولا يفرنك قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمررة أو فئات خبز فإن ذلك صحيح في غير المنصوب أما المنصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لاتنقص الملك فهي في عمل التسامح وكذلك الاجتياز فيجرى هذا في كل واحد فيجرى أيضا في المجموع والنصب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان الحديث العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الأبري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم .

على بلد يريد القيام بها  
يشير بالسلام على من  
بها من الأحياء  
والأموات ويقرأ من  
القرآن ما تيسر  
ويجعله هدية للأحياء  
والأموات ويكبر وقد  
روى «أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
كان إذا قفل من  
غزو أو حج يكبر على  
كل شرف من الأرض  
ثلاث مرات ويقول :  
لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له له الملك  
وله الحمد وهو على كل  
شيء قدير آيوني  
تائبون عابدون  
ساجدون لربنا حامدون  
صدق الله وعده ونصر  
عبدته وهزم الأحزاب  
وحده» ويقول إذا رأى  
البلد : اللهم اجعل لنا بها  
قرارا ورزقا حسنا  
ولو اغتسل كان حسنا  
اقتداء برسول الله صلى  
الله عليه وسلم حيث  
اغتسل لدخول مكة .  
وروى أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما  
رجع من طلب الأحزاب

إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك لحكم التحريم فيسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لاتتص الملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا فإن فرض كون الظالم في موضع غير منصوب كالموت مثلا فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه استتاع بالحرام واستظل به فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يصح بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكروما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لشيء ليس بظالم لأجل غناه لا للمعنى آخر اقتضى التواضع قمى ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لعالم أولم يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقى بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقا لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب فقيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يغلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه سري في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير اللبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ماهو غش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراه لا بسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بضمه . فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه لا ارتكاب ما لا يباح إلا بصدر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا أقول من علم فسادا في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحتز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدق فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه أو يظهر له الحب والموالة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يبدو كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول أصلحك الله أو وثقتك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فقير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه <sup>(١)</sup> » فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومناققا ومكروما للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق <sup>(٢)</sup> » وفي خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام <sup>(٣)</sup> »

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله يغضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام تقدم أيضا .

ونزل للدينه نزع لأمته  
واغتسل واستحم  
ولا فليجدد الوضوء  
ويتنظف ويتطيب  
ويستدلقاء الاخوان  
بذلك وينوي التبرك  
عن هنالك من الأحياء  
والأموات وزورهم .  
روى أبو هريرة رضى  
الله عنه قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
« خرج رجل يزور أخا  
له في الله فأرصد الله  
بمدرجته مسلكا وقال  
أين تريد قال أزور  
فلانا قال لقرابة قال  
لا قال لنعمة له عندك  
تشكرها قال لا قال  
فيم تزوره قال إني  
أحبه في الله قال فاني  
رسول الله إليك بأنه  
يجب عليك إياه .  
وروى أبو هريرة رضى  
الله عنه عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « إذا دعا الرجل  
أخاه أو زاره في الله قال  
الله له طيب وطاب  
مجتاك ويتبوأ من الجنة  
منزلا » وروى أن

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة  
فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتوبيخ زجر  
عنه وتضعيف لدواعيه والإعانة على المعصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضى الله  
عنه عن ظالم أشرف على الهلاك بريبة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له  
وقال غيره يسقى إلى أن شوب إليه نفسه ثم يعرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه  
وطول بقائه فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه  
أن يفضيه في الله ويمتته فالبغض في الله واجب ومحبة المعصية والراضى بها عاص ومن أحب ظلما فإن  
أحبه لظلمه فهو عاص لمحبهته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم يفضيه وكان الواجب عليه  
أن يفضيه وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر  
وسمى في كتاب الإخوة والتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيئات  
فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما  
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (٢) »  
وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان  
ممن يتجمل به وكل ذلك إمامكروها أو محظورات . دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني  
عبد الملك بن مروان فقال لا أباع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين (٢)  
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس فجلد مائة وألبس  
السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بمذنين . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إلزام لأمر إكرام  
وعلم أنه لو امتنع أذى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة  
لا طاعة لهم بل مراعاة المصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن  
مسلم سواء أوعن نفسه إما بطريق الحسنة أو بطريق الظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى  
ولا يبيع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم  
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والاكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه فإنه باكرام العلم  
والدين مستحق للاحسان كما أنه بالظلم مستحق الإبعاد فلا إكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى  
أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين واعراضه  
عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة أرباب  
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية  
ولا يناله أذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن  
كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم  
ما يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن  
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث  
عبد الله بن الشخير أنلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزدروا نعم الله عز وجل وقال صحيح  
الاسناد (٢) حديث دعا ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك فقال لأبائع اثنين  
ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين أبو نعيم في الحلية بإسناد  
صحيح من رواية يحيى بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « كنت  
نهيتكم عن زيارة  
القبور فزوروها فإنها  
تذكر الآخرة » فيحصل  
للفقير فائدة الأحياء  
والأموات بذلك فافها  
دخل البلد بيتدى  
بمسجد من المساجد  
يصلى فيه ركعتين فإن  
قصد الجامع كان أكمل  
وأفضل وقد كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
إذا قدم دخل المسجد أولا  
وصلى ركعتين ثم دخل  
البيت والرباط للفقير  
بمنزلة البيت ثم يقصد  
الرباط بقصده الرباط  
من السنة على ما روينا  
عن طلحة رضى الله  
عنه قال : مكان  
الرجل إذا قدم للدين  
وكان له بها عريف  
ينزل على عريشه وإن  
لم يكن له بها عريف  
نزل الصفة فكنت  
ممن أنزل الصفة ، فإذا  
دخل الرباط يعضى إلى  
الموضع الذى يريد نزوع  
الحف فيه فيحلق

بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجري عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما يفنيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للسلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بمنزلة أو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فينا أنا عنده إذ دق دق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء » (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتسعين بها قال أرددها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لا حاجة لي بها قال فتأخذها فتقسمها قال لعل إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني .

الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه فله أن يعتقد بفضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثق عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى التصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم « إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يعبدون لذته وإني وإياهم في غد لعل وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يا كلون ونا كل وشربون وشررب ويلبسون ولبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لعمالة والمصية ينبغي أن تتركه فانه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكرهه ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقه .

فان قلت الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب . قلنا ليس كذلك فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه وسأيت تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتوني برجل من الصحابة قليل يا أمير المؤمنين قد تغافوا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجاني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقبل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكني وجلست بإزائي بغير إذن وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت

(١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد بطله وجه الله هابه كل شيء . وإذا أراد أن يكثر به السكون هاب من كل شيء . هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث وثالة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر .

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كفه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج اللداس باليسار ثم يضع اللداس على الأرض يأخذ اليمين ويلقيها في وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فإن كان على الوضع يغسل قدميه بجزع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسناها بعض الصوفية لا تنكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ ونبهتهم الظاهرة في ذلك تحيد للريد في كل شيء بهيئة مخصوصة ليكون أبدا مفتقدا

من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلسهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبي ولا يفضب علي وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم علي يا ميرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تكني فان الله تعالى سمي أنبياءه وأوليائه فقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال - ثبت يدا أبي لهب - وأما قولك جلست بازائي فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقمل وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت علي أبي جعفر النصور يعني فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أتيت هذه النزلة بسبب المهاجرين والأنصار وأبناءهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت خج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطبق الجمل حملها وخرج فبهكذا كانوا يدخلون علي السلاطين إذا أئرموا وكانوا يفررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شيملة علي عبد الملك بن مروان فقال له تسكلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجملن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أئاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه <sup>(١)</sup> » ودخل مالك بن دينار علي أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز من اعترني أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركها عظاما تتفقع فقال له والي البصرة أنتدري ما الذي يجربك علينا ويحبنا عنك قال لا قال قلة الطمع فينا وترك الامساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فخرج ووضع صدره علي مقدمة الرحل فقال له عمر هذا صوت رحمتي فكيف إذا سمعت صوت عذابي ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكبره ثم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم علي الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالثائب يقدم علي أهله وأما السيء فكالثابق يقدم علي مولاه فبكي سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك علي كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أقف له علي أصل .

لحركاته غير قادم علي  
حركة بغير قصد وعزيمة  
وأدب ومن أدخل من  
الفقراء بشيء من ذلك  
لا يشكر عليه مالم يغفل  
بواجب أو مندوب لأن  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ماتوا  
بكثير من رسوم  
للتصوفة وكون الشبان  
يطالبون الوارد عليهم  
بهذه الرسوم من غير  
نظر لهم إلى النية في  
الأشياء غلط فلعل  
الفقير يدخل الرباط  
غير مشمرا كلمة وقد  
كان في السفر لم يشمر  
الأكام فينبه أن  
لا يتعاطى ذلك لنظر  
الحلق حيث لم يغفل  
بمندوب إليه شرعا  
وكون الآخر يشمر  
الأكام يقبس ذلك  
علي شد الوسط وشد  
الوسط من السنة كما  
ذكرنا من شد أصحاب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أوساطهم  
في سفرهم بين المدينة  
ومكة فتشيمير الأكام

قال فأى المؤمنين أكيس؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ماتقول فيما نحن فيه؟ قال أوتعفيني قال لا بد فانها نصيحة تلقينا إلى قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشبا قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ اليشاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟ قال أن تأخذه من حله فتضمه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع إلى فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره خبرى الدنيا والآخرة وإن كان عدوك تغذ بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمي فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فغذبه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قرية. ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد تكلفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأمنهم على ما أتمنك الله تعالى عليه فانهم لم يألووا في الأمانة تضديعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لاعليك. وحكى أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لارتداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لاتفوته وقد نصب لك علما لا تجوز به فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيرا غير وإن شرا فشر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أغنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلوهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غرور إن يتربها الحق: أحدهما أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفيفة للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا اللهم كن وجب عليه أن يعالج مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه فإن كان يصادف في قلبه ترجيحا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور. الثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه وهذا أيضا مظنة التعرور ومعياره ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلترسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أمورها مسائل. مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخفصة والارتفاع به في الشيء فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكام لنظر الخلق فإنه تكاف ونظر إلى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق وما ينكر على للتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا ينتنون بالسلام ويقول النكر هذا خلاف للندوب ولا ينبغي للنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدكم فيما اعتمدوه وتركهم السلام بمحتل وجوها: أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يجب التصديق به على الساكنين كما سبق فلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تمس بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فنقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تعد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يفي الخبر في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجرامة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا أعظم من الأول فان جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقه وأخذه على نية التفرقة فالتقدي والتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل قدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل قيل له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أنني طوبيت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت فلا يملكون ما إذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاج وكان عاملاً وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لعلامة هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبي عبد الرحمن أي طاوس وكان قد قصد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن فعلت . الغائلة الثالثة : أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أتقده إليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعنى ما يحجب الظلمة إليك فان من أحببته لابد أن يحرص عليه وتداهن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لفاجر عندي بدا فيحبه قلبي »<sup>(١)</sup> بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك . وروي أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخاق ؟ قال سئل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال أنشدك الله أفتبكي أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى بأمر وإن غاب عنه كن شهيداً قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم فان كنت في القوة بحيث لا تزاد جبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالاً ويفرقها فقيل له ألا تخاف أن تعجبهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قاي لأن الذي سخره للأخذ يدي هو الذي أبغضه لأجله شكره على تسخيره إياه وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك للمال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه التوائل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ماله وتفرقه فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديته وتنكر وتفرق على الناس فنقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي بدا فيحبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى للدين في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلًا وأسانيده كلها ضعيفة .

يول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتواري فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال إنه لم يعنى أن أرد عليك السلام إلا أنني لم أكن على طهره وروي « أنه لم رد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه وقال إني كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهره » وقد يكون جمع من الفقهاء مصطحبين في السفر وقد يتفق لأحدهم حدث فلوسلم للتوضؤ وأمسك المحدث ظهر حاله فترك السلام حتى توضأ من يتوضأ ويصل قدمه من يصل سترًا للحال على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون بعض التقيين أيضًا على غير طهارة فيستعجل جواب

السلام أيضا بالطهارة لأن السلام اسم من أسماء الله تعالى وهذا من أحسن ما يذكر من الوجوه في ذلك ومنها أنه إذا قدم ياقته الإخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق ما يكره فيستمد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويصافهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فلو هجم عليهم بالسلام قد يزعج منه مراقب ويتشوش محافظ والسلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بفصل القدم والوضوء وصلاته ركعتين فيتأهب الجميع له كما تأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقال الله تعالى - حق تستأنسوا - واستئناس كل قوم على ما يليق بحالهم ومنها أنه لم يدخل على غيريته ولا هو بغريب منهم بل هم إخوانه

وهو على عزم أن يرد عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يتصدق بحال يعلم مالكة فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكة فإن كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك، ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة مالهم لأنهم ولا يمن أودع عنده ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فأي يؤخذ عوضا فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الحار وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نسائه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يحصى في عينه من الأموال وفي معناه بيع الفرس منهم لاصيا في وقف ركوبهم إلى قتال المسلمين أوجابية أموالهم فإن ذلك إعانة لهم بغرسه وهي محظورة فأما بيع الدرام والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يحصى في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب ومائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتسب وكلاهما يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره فهو مكروه من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالغلام والديباج للفرس والابس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فهو مظهر قصد للعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه وللناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء منها فإن ذلك إعانة لسكناها وتكثير لكراه حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج فانهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة وهذا غلو في الدين وخرج على المسلمين فإن الخراج قديم الأراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداهى إلى حسم باب المعاش . مسألة : معاملة قضاتهم وعاملهم وخدمهم حرام كعاملتهم بل أشد أما القضاة فلا أنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويخرون الخلق بزبهم فأنهم على زى العلماء ويغتلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والافتداء بنوى الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم قال طاوس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله



وكشفه مالم تعالى قراؤها أمراها (١) وإيما ذكر القراء لأنهم كانوا هم الطاء وإيما كان عليهم بالقرآن ومعانيه الفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم وقد قال سفيان : لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرباس وصاحب البيطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والعصر (٢) وقال ابن مسعود رضي الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (٣) » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وقال ابن سيرين لا تعمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناوله الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالمهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بنضهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أنسأله رجل من الجند وقال أين الطريق فسكت وأظهر الصم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معينا وهذه البالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكمة والحجابين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الدمة وإيما هذا في الظلمة خاصة الأكليين لأموال اليتامى والمساكين والمواظين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها وهذا لأن النصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وجسابه على الله وأمامصية الولاية بالظلم وهو متعد فأنما يفلظ أمرهم لذلك ويقدروهم الظلم وعموم التمدي يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار (٥) » وقال عليه السلام « من أشرط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر (٦) » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة فمن روى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيأ بهم ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يتجان

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكشفه مالم تعالى قراؤها أمراها أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسل ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أبرارها فجارها ويدهان خيارها شرارها وإسنادهما ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والعصر الترمذي وابن ماجه من حديث أنس قال الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للسنن دون قوله وشاهداه ولأن داود لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهداه وكتابه ملمونون وشاهداه (٤) حديث جابر لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكتابه ملمونون وشاهداه قالهم سواء مسلم من حديثه وأما حديث عمر فأشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب ولا بن ماجه من حديثه إن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن السيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٥) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث من أشرط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث ولمسلم من حديث أبي هريرة يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صفغان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث .

والألفة بالنسبة العنوية الجامعة لهم في طريق واحد والتزل منزله والوضع موضعه فيرى البركة في استفتاح التزل بمعاملة الله قبل معاملة الخلق وكما يهد عذرهم في ترك السلام ينبغى لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويبتدئ السلام فكأن من ترك السلام له نية فالذي ابتدأ به له أيضا نية وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب استحسانها شيوخم فها ورد به الشرع ما ذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة والابتداء باليمين في لبس الخف وفي نزعه باليسار . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا استلتم فأبدؤوا باليمين وإذا خلصتم فأبدؤوا باليسار أو اخلعها جميعا أو اخلعها جميعا » روى جابر رضي الله عنه « أن رسول الله صلى

إلا يحجون ولا يتشبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوئهم وإنما زل قوله تعالى - إن الدين توفاهم للأئمة ظالمى أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر من جماعة الشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار قال إنهم لا يفتضون لفتي فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم وبهذا يتبين أن بغض الظلة والغضب لله عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم» (١) . مسألة : الواضع التي بناها الظلة كالتناظر والرباطات والساجد والسقايات ينبغي أن يختاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاختراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما إذا عرف أن الأجر والحجر قد تقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً للضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بني في أرض مفضوبة أو غصب مفضوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المفضوبة تسقط القرض وتتعد في حق الاقتداء فلذلك جوزنا له مقتدى الاقتداء بمن صلى في الأرض المفضوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في الغصب وإن كان من مال لا يعرف مالكا فالورع المدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناه ولو لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعنى في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر فقال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يقتضيهما الحجاج وأنا أخاف أن أقتن أيضاً وأما الخلق والتجسس فلا يمنع من الدخول لأنه غير منقطع به في الصلاة وإنما هوزينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التي فرسوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقتراشها ولكن الورع المدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف قوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبة الأرض مفضوبة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للولاء وأرباب الأمر . مسألة : الأرض المفضوبة إذا جعلت شارعاً لم يجوز أن يتخطى فيه ألبنة وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع المدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه سابات جاز العبور وجاز الجلوس تحت السابات على وجه لا يحتاج فيه إلى

الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى . وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكمرته إلا بإذنه» وإذا سلم على الإخوان يصافحهم ويصافونه فقد روى جابر بن عبد الله قال «لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاتقه النبي صلى الله عليه وسلم» وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسرى بقدوم جعفر» ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام «قبلة السلم أخاه للصاخة» وروى أنس

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصى نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم لفظ الترمذى وقال حسن غريب

السقف كما يقف في الشارع لشغل إذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بنصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد أوستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من العاسة بل للانتفاع والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما .

( الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر ميسس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى )

مسألة : سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى للصوفية فهو كالرجل العليل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذهم يقع ملكا له للعليل وله أن يطعم غير العليل إذ يزيد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يتسلط الخادم على التمراره والتصرف فيه لأن ذلك مصير إلى أن العاطاة لا تنكفي وهو ضعيف ثم لاضائر إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الحاقاه إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولوماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الأحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والرودة فان منعهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع وقفه كانه قطع عن مآ عياله . مسألة : سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلى أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاتاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرًا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقير وزى الصوفية وأن لا يكون مشتغلاً بحرفة وأن يكون مخالطهم بطريق الساكنة في الحاقاه ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجر ببعض فالنقص يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وإن كان على زهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتبر فيه الصغار . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر هذا بالزى والمخالطة فأما الوراقة والحياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فإذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بما كسبته أيام مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذا وجدت بقية الحاصل من الزى والساكنة والفقير إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مقرر وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقير فإن زال بغير مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذوصية الصوفية وإن كان له مال ولا يفي دخله

( الباب السابع في مسائل متفرقة )

ابن مالك قال « قيل  
يا رسول الله الرجل يلقى  
صديقه وأخاه ينحني له  
قال لا قيل يلتزمه ويقبله  
قال لا قيل فيصافحه قال  
نعم ويستحب للفقراء  
القيميين في الرباط أن  
يتلقوا الفقراء بالترحيب  
روى عكرمة قال : قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يوم جئته :  
مرحبا بالراكب  
للهاجر مرتين وإن  
قاموا إليه فلا بأس  
وهو مسنون . روى  
عنه عليه السلام أنه  
قام لجفر يوم قدومه  
ويستحب للخادم أن  
يقدم له الطعام . روى  
لقيط بن صبرة قال  
« وقدنا على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فلم نصادفه في منزله  
وصادفنا عائشة رضي  
الله عنها فأمرت لنا  
بالحريرة فصنعت لنا  
وأتينا بقناع فيه تمر  
والقناع الطبق فأكلنا  
ثم جاء رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال

بخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لا دليل لها إلا العادات وأما الخاططة لمساكنهم فلها أثر ولكن من لا يخاططهم وهو في داره أو في مسجد على زيهب ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخاططة يعبرها ملازمة الزى فإن لم يكن على زيهب ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكناً لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالخاططة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زيهب هذا حكمه فإن كان خارجاً لم يعد صوفياً وإن كان ساكناً معهم ووجدت بقية الصفات لم يعد أن ينسحب بالتبعية عليهم حكمهم . وأما لبس الرقعة من يدشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعده لا يضره مع وجود الترائط المذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .

مسألة : ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم فغير الصوفي أن يأكل معهم برضام على مائدتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأئمة بناء على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الضائم المشتركة وللقوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح معاشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة قلوبهم محلهم الأكل برضام فإن الواقف لا يقف إلا معتقداً فيه ما جرت به عادات الصوفية فيزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفياً أن يسكن معهم على الدوام ويأكل كل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زيهب وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه قبيحاً لا ينافي كونه صوفياً والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق بقلوبهم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهب وأخلاقهم فله منعه من التزول عليهم فإن رضوا بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره الساكنة ولكن برضا أهل الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومتشابهة أوساطها فمن احترز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كائناً عليه في أبواب الشبهات . مسألة :

سئل عن الفرق بين الرشوة والهبة مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا باذل المال لا يئذله قط إلا لترض ولكن الغرض إما أجل كالثواب وإما عاجل والعاجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه بطلب محبة إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون المصروف إليه محتاجاً أو عالماً أو منتسباً بنسب ديني أو صالحاً في نفسه متديناً فما علم الأخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجاً وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يحل له أن يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يستفاد من العلم فان كان خيلاً إليه كالألم حتى يشبه بذلك على التقرب ولم يكن كاملاً لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن فسقاً لوعله العطي ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان التورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدين فإن ذلك مخطر والتقى خفي لا كالعلم

أصبتم عيشاً قلنا نعم  
يا رسول الله ويستحب  
لقادم أن يقدم للفقراء  
عيشاً لحق القدوم .  
ورد أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما  
قدم المدينة نحر جزورا  
وكرهيتهم لقدوم القادم  
بعد الضر وجهه من  
السنة منع النبي صلى  
الله عليه وسلم عن  
طروقي الليل والصوفية  
بعد الضر يستمدون  
لاستقبال الليل  
بالطهارة والانكباب  
على الأذكار والاستغفار  
روى جابر بن عبد الله  
قال : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « إذا قدم  
أحدكم من سفر فلا  
يطرقن أهله ليلاً »  
وروى كعب بن مالك  
أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كان  
لا يقدم من السفر إلا  
نهاراً في الضحى  
فيستحبون القدوم في  
أول النهار فإن فات  
من أول النهار فقد  
ينفق تعويق من

والنسب والفقر فينبغي أن يجنب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدى إلى الفنى طمعا في خاتمة هذه هبة بشرط الثواب لا يبغي حكمها وإنما تحمل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالاحتياج إلى السلطان يهدى إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذى هو الثواب فإن كان حراما كالسمى في تجيز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهى الرشوة التى لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تب محيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينى فى غرض كذا أو ينم حتى بكذا وافتر فى تجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصوصة بين يدي القاضى فليس بحرام إذا كان لا يسمى فى حرام وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك الفعلة من ذى الجاه نفيد كقوله للبواب لا تنلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهى عنه كما سياتى فى هدايا اللوك وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان فى هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينيبها على دواء ينفرد به عرفته كواحد ينفرد بالعلم ثبت يقطع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم بحكمة من مسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على عمله إذ ليس ينتقل عمله إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل عمله ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق فى الصناعة كالصيقل مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف أو الرأة بدقة واحدة لحسن معرفته بعوض الخلل ولحذقه باصاته بقد يزيد بدقة واحدة مال كثير فى قيمة السيف والرأة فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل .

الرابع : ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل الهدى إليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيذا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود للعلاء ومنسوب إليه فى الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان فى الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة فى محبة ولكن إذا لم تعين تلك الفائدة ولم يتمثل فى نفسه غرض معين يبعثه فى الحال أو المالسمى ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لالهفته ولالأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بمجاهة إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جارية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوفى مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى إليه فهذه رشوة عرضت فى معرض الهدية إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر فى جنسه إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات لا يبغي وآية أنه لا يبغي المحبة أنه لو لوى فى الحال غيره لم يسلل إلى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا فى كونه حراما والمعنى

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبى هريرة وضعفه ابن عدى .

ضعف بعضهم فى الشئ أو غير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار إلى العصر لاحتمال التعويق فإذا صار العصر ينسب إلى تقصيره فى الاهتمام بالسنة وقدم أول النهار فاتهم بكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم فإذا صار العصر يؤخر القدوم إلى الفد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة وأيضا فيه معنى آخر وهو أن الصلاة بعد العصر مكروهة . ومن الأدب أن يصلى القادم ركعتين فذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقهاء القادمين من يكون قليل الدراية بدخول الرباط ويناله دهشة فمن السنة التقرب إليه والتودد وطلاقة الوجه حتى ينسبط وتذهب عنه الدهشة ففى ذلك فضل كثير

فيه متعارضا فانه دأب بين الهدية المحضة وبين الرشوة للبذولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء لتوعظ به العامة (١) » ، وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لاتعب فيها أو تبرع بها لامل قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا في معرض العوض . شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردّها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلّم فيها بقى منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضى الله عنه ربح مال القراض الذى أخذه ولداه من بيت المال وقال إنما أعطيتا لمكانكما متى إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أبى عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتهما بجوهر فأخذه عمر رضى الله عنه فباعه وأعطاهما ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما هدايا للوكك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة (٢) » أى كان يتقرب إليه لبوته لالولايته ونحن إنما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لى هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيتك هديتك إن كنت صادقا ثم قال ما لى أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لى هدية ألا جلست في بيت أمه لهدى له والذى نفسى بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يبيع له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبيع ثم رفع يديه حتى رأيت رياض إبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالتقاضى والوالى ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه لما كان يعطى بعد المزول وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه .

(تم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

( كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق )

( وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثانى )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتثانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . ونزع الغل من صدورهم فظفروا فى الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفى الآخرة رفقاء وخلانا والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً .

(١) حديث يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخارى من حديث عائشة (٣) حديث أبى حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزد فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لى الحديث متفق عليه .

( كتاب آداب الصحبة )

روى أبو رفاعة قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكرسى قوائمه من حديد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بكرسى يلقى بماعله الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى خطبته وأتم آخرها » فأحسن أخلاق الفقراء لفرق بالمسلمين واحتمال للكره من للسمع وللرئ وقد يدخل فقير بعض الربط ويخل بشئ من مراسم للتصوفة فينهرو ويخرج وهذا خطأ كبير فقد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترميم الظاهر ويقصدون الراباطية صالحة فإذا استقبلوا بالمكره يخشى أن تنشوش بواطنهم من الأذى

أما بعد : فإن التعاطف في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجارى العادات . ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بعراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وبالحافظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصعبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق السلم والرحم والجوار والملك وكيفية للعاشرة مع من قد بل بهذه الأسباب .

( الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها )

( فضيلة الألفة والأخوة )

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التعاطف والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير ومهما كان الثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تغنى في الدين فضيلته وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لملى خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق <sup>(١)</sup> » وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال خلق حسن <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتكم بحسن الأخلاق <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أتقل ما يوضع في الميزان خلق حسن <sup>(٤)</sup> » وقال ﷺ ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك <sup>(٦)</sup> » ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة واتقطاع الوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في التناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقتضى . قال الله تعالى مظهرًا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة - لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أى بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلمكم تهتدون - وقال ﷺ « إن أقربكم منى مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم

( الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة )

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذى والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بعثت لأتكم بحسن الأخلاق أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أتقل ما يوضع في الميزان خلق حسن أبو داود والترمذى من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار ابن عدى والطبرانى في مكارم الأخلاق وفي الأوسط والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض النكرة (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال ما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك البيهقى في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربكم منى مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون الطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ويدخل على النكر عليه ضرر في دينه ودينه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمد مع الخلق من الداراة والرفق وقد صح « أن أعرابيا دخل المسجد وبأى فأمر النبي عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الأعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والتخليط والتسلط على المسلمين بالقول والقول من النفوس الحبيثة وهو ضد حال التصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من للوضع على ألفة وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذى يليق بكان الرباط وما يعتمد السقراء من تميز القادم فخلق حسن ومعاملة صالحة وردت

« المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في الشاء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا اتقيا مثل اليمين تفصل إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا » (٣) وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها شيء من عمله » (٤) وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم للتحابون في الله تعالى » (٥) ورواه أبو هريرة رضى الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم للتحابون في الله والمتجاسسون في الله والتزاورون في الله » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ماتحبا اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه » (٧) ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه خيلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعيف ابن عدى ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا اتقيا مثل اليمين تفصل إحداهما الأخرى الحديث السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٤) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها شيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت لله إني لأحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن للتحابين بحلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ للتحابون في جلال لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح وأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتضافوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فتجعل وجوههم نور أو ثيابهم نور ويفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ماتحبا اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد.

بالحسنة روى عمر رضى الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلام له حبشي يغمز ظهره فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتهمتني » قد يحسن الرضا بذلك ممن يغمز في وقت تعب وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويجب التمييز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز واستلذه واستدعاه يحتمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التغميز ولأرباب المزائم أمور لا يسعهم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد بعد قدمه أن لا يتسدى بالكلام دون أن يستل ويستحب أن يمكث



كما تلتحق القرية بالآبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاوون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتبادلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب لعمرك وطيبت لك الجنة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخي فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبعملة له عندك قال لا قال فبم قال أحبه في الله قال فان الله أرسلني إليك بمخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (٦) » فلم يجب أن يكون للرجل أعداء يفضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله . وروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجبت الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعزيتي ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في وليا . وقال ﷺ « اللهم لا تجعل لعاجر على منة تفرقه مني حجة (٧) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحببوا إلى الله يفيض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتسوارضا الله بسخطهم قتلوا ياروح الله فمن نجاس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله . وروى في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى على موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يظانا وارند لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حقت محبتي للذين يتزاوون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث عمرو بن عتبة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث ما زار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب لعمرك وطيبت لك الجنة ابن عدي من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أوزار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب لعمرك وطيبت لك الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لعاجر على منة تفرقه مني حجة

ثلاثة أيام لا يبعد زيارة أو مشهدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعناء السفر ويعود باطنه إلى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتكدر حتى يجتمع في الثلاثة الأيام همته وينصلح باطنه ويستمد للقاء للشيخ والزيارات بتقوية الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفي حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره . وقد كنت أسمع شيخنا يوصي الأصحاب ويقول لا تكلموا أهل هذا الطريق إلا في أصنى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصرافه فقد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك متنبذا وحيدا قال إلهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وار تد لنفسك أخذانا وكل خدن لا يواقلك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسى قلبك وياعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالقي الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالقي أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالقي أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أجبتكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم المشاءون بالقيمة للفرقون بين الإخوان <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين <sup>(٢)</sup> » وقال أيضا « ما أحدث عبدا خا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يصفرون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كاتضىء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كاتضىء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله <sup>(٤)</sup> » . الآثار : قال على رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - فالنا من شافعين ولا صديق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنفقت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تمنى ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك . وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأى عمل عملته بأى شهوة تركتها بأى عيظ كظمته بأى رحم قاطع وصلتها بأى زلة لأخيك غفرتها بأى قريب باعدته في الله بأى بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لي ؟ قال موسى إلهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قرآن إلى الله وقال رجل لمحمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظيمة من حديث معاذ بن جبل والرباض بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن للمقدم فيه ولا يعمل شيئا دون أن يأخذ رأيه فيه فهذه جملة أعمال يستند بها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بفضلهم يزعمون توفيقا وتأديبا .

[ الباب التاسع عشر في

حال الصوفي للتسبب ]

اختلف أحوال الصوفية

في الوقوف مع الأسباب

والاعراض عن

الأسباب فمنهم من كان

على الفتوح لا يركن

على داود الطائي فقال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ررت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبهة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به قلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون في الله إذا اتقوا فكشروا بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما تتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على اللوعة والوحمة عبادة .

( يان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا )

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما ذكره وهو أن الصعبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصعبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في الكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي يريد يانه إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لاحالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصعبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يختب ويأعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحفظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيد في حق من أدرك جماله وكل لذيد محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع للناسبة والملازمة والواقعة بين الطباع ثم ذلك للمستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الخلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لاحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل السليم وكل مستحسن فمستلذبه ومحبوب بل في ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد نستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحاة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والواقعة فان شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف <sup>(١)</sup> » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناصب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء <sup>(٢)</sup> » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقا وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط <sup>(٣)</sup> » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى قزلت الكبة

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة البخاري تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث .

(٣) حديث إن أرواح المؤمنين يلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يقسب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد يراعونه ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه القهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فاروى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لي واحدا أتكفل له بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا » فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين زلت فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الأرواح جنود مجندة » الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هديان النجم أن يقول إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تليثه فهذا نظر للواقعة والمودة فتقتضي التناسب والتواد وإذا كان على مقابله أو تريعه اقتضى التباغض والعداوة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للغرض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفي في التصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم « لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢) » وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفي فطن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل فكيف تفارقتما فقلت قولا فيه إنصاف  
لميك من شكلي ففارقته والناس أشكال وألوان

قد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لقائده تال منه في حال أو مآل بل مجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الحفية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح للشرب بالجرة وإلى الماء الجاري والحضرة من غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك بمن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموما كحب الصورة الجميلة اقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذا الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم . القسم الثاني : أن يحبه لئال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا عرض فيهما إذ لا يطم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزلت للكية على المدينة فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصرا دونها كما تقدم (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفا على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرج له ولله في المسند .

رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يأخذ أحدكم حبلًا فيحطب على ظهره فياكل ويتصدق خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فإن اليد العليا خير من اليد السفلى » . أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ للقدس قال أخبرني والدي قال أنا أبو محمد الصيرفي بغداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي بن الجعد قال ثنا عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال : أتيت للمدينة فزلت دار أبي سعيد فضمني وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امرأتك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنه وسيلة إلى اللقود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لا تتفاهه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلذذ لأستاده فهو أيضا خارج عن الحب لله فانه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك بمن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال الدنيا وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد للتوصل إليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لآلئاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتألف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الفرية تقربا إلى الله فأحب طبائحا لحسن صنعه في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكسب بيته وطبخ طعامه وفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي واللواصي جميعا من المتحابين في الله بل يزيد عليه وتقول من نكح امرأة سالحة ليتحصن بها عن وشواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته (١) بل تقول كل من اشترى بحب الله وحبه رضا وحبه لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللينان جميعا حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإتيان على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته تقدم .

عليه وسلم فقد أثناه  
فلان فأعطاه وأثناه  
فلان فأعطاه قال فأتينته  
وقلت التمس شيئا  
فنهبت أطلب فأتيت  
إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو غطيظ  
ويقول « من يشتد  
يفضه الله ومن يستغنى  
يفضه الله ومن سألنا  
شيئا فوجدناه أعطيناه  
وواسيناه ومن استغنى  
عنه واستغنى فهو أحب  
إلينا من سألنا » قال  
فرجعت وما سألته  
فرزقني الله تعالى حتى  
ما أعلم أهل بيت من  
الأنصار أكثر أموالا  
منه وأما من حيث  
الترهيب والتحذير فقد  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه  
قال « لا تزال المسئلة  
بأحدكم حتى يلقى الله  
وليس في وجهه مزرعة  
لحم » وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « ليس  
المسكين الذي يترده

حظا ألبته إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوئني صديقي ولا تجعل مصيبتى لى ولا تجعل الدنيا أكبر همى فدفعت شمانة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم تقل ولا تجعل الدنيا أصلا من همى بل قال لا تجعلها أكبر همى وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة <sup>(١)</sup> » وقال « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة <sup>(٢)</sup> » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة منافضا لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والمكرامة في الدنيا كيف يكون منافضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداها أقرب من الأخرى فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا لأن الغد سيصير حالا راهنة فالحالة الراهنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضا إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاف حظوظ الآخرة ويمتنع منها وهي التي احتز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما يضاف وهي التي لم يتمتعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يضاف حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه أعنى أن يكرهه بقله لا بطبعه كما يكره تناول من طعام لقيذ الملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبتة لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهي بطبعه ولا يستلذ لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزجره عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به والقصد من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويملكه أو تليفه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر أجل لكان في زمرة التحابين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلا أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقدته هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب حبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتاع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فذلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمرودة حتى ذهب المرودة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة . القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئلا يمنه علما أو عملا أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغضها وهذا القسم أيضا ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من ينطق بالمحسوب ويناسبه ولو من بعد فمن أحب إنسانا حبا شديدا أحب عب ذلك الإنسان وأحب محبوه وأحب من يخدمه وأحب من يثنى عليه محبوه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوه حتى قال بقية بن الوليد إن للؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث بشر بن أبي أرطاة نحوه بسند جيد .

الأكله والأكلتان  
والتمرة والتمرتان  
ولكن للكين الذي  
لا يسأل الناس ولا  
يظن بمكانه فيعطى  
هذا هو حال الفقير  
الصادق والتصوف  
الحق لا يسأل الناس  
شيئا ومنهم من يلزم  
الأدب حتى يؤديه إلى  
حال يستحي من  
الله تعالى أن يسأله  
شيئا من أمر الدنيا  
حتى إذا همت النفس  
بالسؤال رده الهية  
ويرى الإقدام على  
السؤال جراءة فيعطيه  
الله تعالى عند ذلك  
من غير سؤال كما قل  
عن إبراهيم الخليل  
عليه السلام : أنه جاءه  
جبريل وهو في الهواء  
قبل أن يصل إلى النار  
فقال هل لك من حاجة  
فقال أما إليك فلا  
فقال له فقل ربك  
فقال حسبي من سؤالي  
عليه بحالي وقد يضمنف  
عن مثل هذا فيسأل  
الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإذن للشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفى فيه ويكون اتساع الحب في تمديه من المبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستنثار فيتمدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنعة وخطه وجميع أفعاله وقد لك كان <sup>عليه السلام</sup> إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب المهدي ربنا (١) وحب الله تعالى تارة يكون لصديق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أباديه وصنوف نعمته وتارة قداته لا لأمر آخر وهو أصدق ضرور المحبة وأعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربيع اللججيات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تمدى إلى كل متعلق به ضربا من التعلق حتى يتمدى إلى ماهو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يصف الإحساس بالألم والفرح بفعل المبوب وقصده إياه بالإيلايم بنمر إدراك الألم وذلك كالفرح بضرب من المبوب أو فرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحنا بنمر إدراك الأمل فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من أقوالنا خرج إلا بما في مرضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمصيبة الله وقال ممنون : وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللقصود أن حب الله إذا قوى أمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشرع وامن مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلا إلى العالم العابد ثم يصف ذلك الليل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وقته من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه محب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل على اللوالة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت للناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المبوب في الحال أو اللآل لما تصور حب للوق من العلماء والمباد ومن الصحابة والتابعين بل ومن الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بنضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكا أو شخصا جيلا أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتمتعن الحب بالمقابلة بحفظ النفس وقد يظلم بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيا هو حظ المبوب وعنه عبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الراسيل والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى إليه القسم من غير سؤال مخلوق. بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول : إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فتنبه النفس له قد تطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنوب وجد منه فإذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبح الوضوء ويصل ركعتين ويقول : يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته لي فسل وصوله إلى فإن الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه ولا تطلبه المطالبة عن باطنه

وقول من قال \* وما لجرح إذا أَرْضَاكم أَمْ \* وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أوفى ثلثه أوفى عشرة فقادير الأموال موازين المحبة إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فلم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فأقره من الله السلام وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في قهرك هذا أم ساخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عني في قهرك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال أهل ربي أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض (١) . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عبدا أو أحب شخصا راغبا في علم أوفى عبادة أوفى خيرا فإنما أحبه في الله والله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن نزيد يانا .

( بيان البغض في الله )

اعلم أن كل من يحب في الله لابد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله ومحقوت عند الله ومن أحب بسبب الضرورة يبغض لضده وهذا من متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرود في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والبغضيين في المقاربة والمباعدة وفي المخالطة والمواقفة فإذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاودة ولذلك قال الله تعالى : هل واليت فيّ ولما وهل عاديّ في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعته قد رط على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجفوره وأخلاقه السيئة فقد رط على أن تبغضه وإنما الشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض نمرتهما من المواقفة والمخالطة والموالاة والمعاودة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد عاقق والآخر بليد بار أو ذكي عاقق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض والاقبال والصحبة والقطعة وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام . فأقول تحبه لإسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لو قسمتها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب الإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله

(١) حديث ابن عمر بيننا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن جبان والمقبلي في الضعفاء قال الذهبي في الميزان هو كذب .

فصان الفقير أن ينزل حوائجه بالحق فاما أن يرزقه الله أو الصبر أو يلذّب ذلك عن قلبه لله سبحانه وتعالى أجواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة ولا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الله بخرق العامة كما كان يأتي مريم عليها السلام - كما دخل عليها زكريا الخراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله - حكى عن بعض الفقهاء قال جئت ذات يوم وكان حالي أن لأسأل فدخلت بعض المجال يفتاد مجازا متعرضا لعل الله تعالى يفتح لي على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فنتت جائعا فأتى آت في منامي فقال لي اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع ثم خرقة زرقاء



والطاعة له كالجنابة على حثك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الاتقياض والاسترسال وبين الأقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تباليغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تباليغ في إهاتته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة وتارة إلى طرف المجاملة والأكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى وبصيه ويتعرض لرضاه مرة ولخطئه أخرى . فان قلت فبماذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاتخفاف والتخليط في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إهاتته مرة وبالسعي في إسمائه وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمصيبة العاصدة منه . أما ما يجرى مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها ولا يصبر عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان بمن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر وضيائي وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تتأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتخليط القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المصيبة وخفتها وكذلك في الفعل أيضا ربتان إحداها قطع للمونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المصيبة أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مضبوطا بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بئس وعريض عليه فإذا قدرت على إهاتته لئتم له غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الإغماض فلوتركتها إظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلطف بأعاتته وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك ويقبل نصحتك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنوع بل هو الأحسن إن كانت مصيبته بالجنابة على حثك أو حق من يتلق بكوفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - إذنكم مسطح بن أثانة في واقعة الإفك (١) خلف أبوبكر أن يقطع عنه رقه وقد كان يواسيه بالمال فزلت الآية لمع عظم مصيبة مسطح وأية مصيبة تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والنفو عن ظلم والاحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الاحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان إليه لأن في الاحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حثك العفو والصفح . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمتدعة وكل من عصى الله بمصيبة متعدية منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه ففهم من نظر بعين الرحمة إلى العاصاة كلهم . ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكارف في أدنى كلفه حتى هجر يحيى بن معين لقوله إني لأسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته ، وهجر الحرث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجهما في مصالحك فمن تجرد عن المخلوقين وتفرّد بالله قصد تفرد بنى قادر لا يعجزه شيء يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدرة كيف شاء وأولى من سأل نفسه يألها الصبر الجليل فان الصادق تبيحه نفسه . وعكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقال له أريد جبة قال قلت له ما فعلت بالجبة فذكر شهوة يشتريها بالجبة ثم قال عن ذلك اذهب واستقرض الجبة قال قلت نعم استقرضها من قسك فهي أولى من أقرض . وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

إن شئت أن تستقرض المال متفقا على شهوات النفس في زمن السر فصل قسك لا تخاف من كثر صبرها

الحاسي في تصديقه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد أن تورث أولادهم وتعمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته (١) » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلا في العادة والبغض وله وجه ولكن قد تلبس به الداهية فأكثر البواعث على الاغضاء عن المعاصي للداهية ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بعين الرحمة وعك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يفعل وقد كتب عليه فشل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان ينشأ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكاييد الشيطان فليتبمله . فإن قلت فأقل الدرجات في إظهار البغض المهجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يصي العبد بتركه . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والایجاب فانا نعلم أن الدين شربوا الخمر وتعاطوا القواحي في زمان رسول الله ﷺ والصعابة ما كانوا يهجون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم : إلى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يرض عنه ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والایجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المبوب إلى غيره وإنما التمدى إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

( بيان مراتب الدين يفيضون في الله وكيفية معاملتهم )

فإن قلت إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفاسق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فأعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما دافع إلى بدعته أو ساكت والساكت إما بسجوه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بمدعذين إهانة وأما الذي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقيره بالاضطرار إلى أضييق الطرق وترك للفاقة بالسلام فإذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترس إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشائرهم - الآية ، وقال ﷺ « السلم والشرك لا ترا آى نارها (٢) » وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني المبتدع الذي يدعو إلى بدعته فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يجر مجزية ويسامح بقدر ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى  
زمن اليسر  
فإن قلت كنت الغنى  
وإن أبت  
فكل ممنوع بعدها  
واسع العذر  
فاذا استفند الفقير  
الجهل من نفسه  
وأشرف على الضعف  
وتحققت الضرورة  
وسأل مولاه ولم يقدر  
له شيء ووقته يضيق  
عن الكسب من شغله  
بحاله فعند ذلك يقرع  
باب السب ويسأل  
قد كان الصالحون  
يفعلون ذلك عند  
فاقهم . نقل عن أبي  
سعيد الخزاز أنه كان  
يعد يده عند الفاقة  
ويقول : ثم شيء لله .  
ونقل عن أبي جعفر  
الحمداد وكان أستاذًا  
للجنيد أنه كان يخرج  
بين العشائين ويسأل  
من باب أو باين  
ويكون ذلك معلومه  
على قدر الحاجة بعد  
يوم أو يومين . ونقل  
عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث المؤمن والشرك لا ترا آى نارها أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا برى من كل مسلم يقيم بين أظهر الشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا ترا آى نارها ورواه النسائي مرسلًا وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متحد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما البدع الذي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فلاستحباب في إظهار فضله ومعاداته والاقطاع عنه وتخثيره والتشجيع عليه يدعته وتغيير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علمت أن الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقع في نفسه بدعته ويؤثر في زجره ترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض في مصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجرهم من هذه الأعراض وإن كان في ملأ ترك الجواب أولى تغييرا للناس عنه وتغييرا لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاهانة له لاسيا فيها يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ومن أهان صاحب بدعة أمته الله يوم الفزع الأكبر ومن آلان له وأكرمه أولقيه يبشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ (١) » . الثالث : للبدع العاصي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يبايع بالتغليظ والاهانة بل يتلف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصي بطله وعمله لا باعتقاده فلا يغلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والتضريب بين الناس والنهي بالنيمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء وبهي أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي ضرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر فهذه التفتيات تحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبضها أشد من بعض ولان تلك بالكل مسلكا واحدا . القسم الأول : وهو أشدها ما يضر به الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والنيمة فهؤلاء الأولى الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والابتعاض عن معاملتهم لأن للعصية شديدة فما يرجع إلى إبداء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في السماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبعضها أشد من بعض فلاستحباب في إهانتهم والاعراض عنهم مؤكدا جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم أولغيرهم كان الأمر فيه أكد وأشد . الثاني : صاحب الماخور الذي بهي أسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يختلس بطله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فان للعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى الغزو أقرب ولكن من حيث إنه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعا من الزجر له أو لغيره . الثالث : الذي يغش في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان التهي عن السكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه بمنعه عن العود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ، الحديث أبو نعيم في الحلية والمروى في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان متصفا بجامع البصرة مدة وكان يخطر في كل ثلاث ليال ليلة إفطاره يطلب من الأبواب وتقل عن سفبان الثوري أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثا في الضيافة فيقدم على الطعام فأتناول حاجتي وأترك مايق . وقد ورد من جاع ولم يسأل فأت دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم وبالحكمة عن السؤال بالعلم . وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصرا على المعاصي ثم اتقه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لأسأل أحدا عينا وأكتفي بعلم الله بحالي قال فبقيت ألبما في

الطريق ففتح الله على  
بالماء والزاد في وقت  
الحاجة ثم وقف الأمر  
ولم يفتح الله على بشي  
فجعت وعطشت حتى  
لم يبق لي طاقة فصغفت  
عن الشيء وبقيت أنا آخر  
عن القافلة قليلا قليلا  
حتى مرت القافلة فقلت  
في نفسي هذا الآن  
من إلقاء النفس إلى  
التهلكة وقد منع الله  
من ذلك وهذه مسألة  
الاضطرار أسأل فلما  
هممت بالسؤال انبعث  
من باطني إنكار لهذه  
الحال وقات عزيمة  
عقدتها مع الله لأتقصها  
وهان على الموت دون  
نقض عزمي فقصت  
شجرة وقعت في  
ظلمها وطرحت رأسي  
استطرحا للمسوت  
وذهبت القافلة فبينما  
أنا كذلك إذ جاءني  
شاب متقلد بسيف  
وحركني فقممت وفي  
يده إداوة فيها ماء  
فقال لي اشرب فشربت  
ثم قدم لي طعاما وقال

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من  
يخالل (٢) » ولابد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في محبته وتشرط تلك الخصال بحسب الفوائد  
المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط  
ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالاستغناء بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس  
بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة  
من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها  
استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستعانة في اللزمات فيكون  
عدة في المصائب وقوة في الأحوال ومنها الثبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال  
بعض السلف استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك وروى  
في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات - يزيدهم من فضله - قال  
يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك حث جماعة  
من السلف على الصحة والآلفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً  
لا تحصل إلا بها ونحن فصلها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبته خمس خصال أن يكون  
عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو  
الأصل فلا خير في محبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طال قال على رضي الله عنه :  
فلا تصحب أحماً للجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه  
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه ولشيء من الشيء مقاييس وأشباه  
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تسكن عونا للشيطان طى أخيك البخارى من حديث أبي هريرة (٢) حديث الرء طى دين خليله الحديث أ. داود والترمذى وحسنه والحاكم من حديث أى هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

كيف والأحق قد يضررك وهو يريد تفعلك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خيلا يتره جنون

فالقمل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فنون

ولذلك قيل مقاطعة الأحق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور هي منى عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لجزءه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق المصير على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن غائلته ولا يوثق بصداقه بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يصدرك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبيل من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما المبتدع في محبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحديث على طلب الدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السيب قال : عليك بأخوان الصدق تعش في أكنافهم فاتهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يفلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولأمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطامع على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة الطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاحبب من إذا خدمته صانك وإن محبته زانك وإن قدمت بك مؤنة مانك ، احبب من إذا مددت يدك بغير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، احبب من إذا سأله أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واساك احبب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آترك فكانه جمع بهذا جميع حقوق الصفة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال المأمون فأين هذا فليله أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكرمك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسناتك ويطوى سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال على رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك شئت فيه فمهله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئا من أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحق فانك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخل فانه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة ، والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو أقل منها قليل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد لأن يصحبنى فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبنى قارى .

كل فأكلت ثم قال لي  
أريد القافلة فقلت من  
لي بالقافلة وقد عبرت  
فقال لي قم وأخذ  
يسدى ومشي معي  
خطوات ثم قال لي  
اجلس فالقافلة إليك  
تجئ فجلست ساعة  
فاذا أنا بالقافلة ورائي  
متوجهة إلى ، هذا شأن  
من يعامل مولاة  
بالصدق وذكر  
الشيخ أبو طالب السكي  
رحمه الله أن بعض  
الصوفية أول قول  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم « أحل ما أكل  
المؤمن من كسب يده »  
بأنه للسألة عند القافة  
وأسكر الشيخ  
أبو طالب هذا التأويل  
من هذا الصوفي وذكر  
أن جفرا الخلدی كان  
يحكي هذا التأويل عن  
شيخ من شيوخ  
الصوفية ووقع لي والله  
أعلم أن الشيخ الصوفي  
لم يرد بكسب اليد  
ما أنكر الشيخ  
أبو طالب منه وإنما

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أستاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلاً ترتفع به في أمر دينك أو رجلاً يزيد معه وتنفع به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حق كبير .  
وقال سهل بن عبد الله : اجتنب محبة ثلاثة من أصناف الناس الجبارة العافلين والقراء الدهانين والتسوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحة في مقاصد الدنيا مشروطاً للصحة في الآخرة والأخوة كما قاله بشر . الإخوان ثلاثة : أخ لأخرك وأخ لدينك وأخ لأنفسه . وقلنا تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تفرق على جمع فتفرق الشروط فهم لاجتماع ، وقد قال للأمون الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قد يتلبس به وهو الذي لأنس فيه ولا تقع ، وقد قيل مثل جملة الناس كمثل الشجر والنبات فمنها ماله ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن وقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثمر وظل جميعاً ومنها ما ليس له واحد منهما كأن غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعرب كما قال تعالى - يدعو لمن ضره أقرب من نعمة لبئس للولى ولبئس العشير - وقال الشاعر :

الناس شتى إذا ما أنت ذقهم لا يستوون كالأشجار  
هذا له ثمر حلو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا لم يجد رفيقاً يؤاخي ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو بكر رضي الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة ويروى مرفوعاً . وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع ميل من أناب إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفساق نهون أمر العصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتجسط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامه في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً - أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه إنا سلمنا من إفسادكم وأنتم سلمتم من شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وفوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بمقضاها ، وأما المريض على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فبجاسة المريض على الدنيا تحرك الحرس وبجاسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تذكره محبة طلاب الدنيا ويستحب محبة الراغبين في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات ببجاسة من يستحبها منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أوقعني في بلية إلا محبة من لأحتشمه . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن القلوب لتحبها بالحكمة كما تحب الأرض اللينة بوابل القطر .

( الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة )

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإتفاقي النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها قياماً بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذلك عقد الأخوة . فلا تخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بجميعه ثمانية حقوق :

( الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة )

أراد بكسب الدرر فيها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أهل ماياً كله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام - رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير - قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قاله ذلك وإن خضرة البقل تراءى في بطنه من المزال . وقال محمد الباقر رحمه الله قالوا وإنه محتاج إلى شق تمرة وروى عن مطرف أنه قال : أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي عن النصرا بآذى أنه قال في قوله - إني لما أنزلت إلي من خير فقير - لم يسأل الكريم الخلق وإنما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غداً النفس إنما أراد

## ( الحق الأول في المال )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل الدين تسفل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبههما بالدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان وإنما تم أخوتهما إذا تراقبا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئمت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تجوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التخصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بشايطرته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثر على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإثارة بالنفس أيضا كما روى أنه سمي بمجموعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النورى فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قيل له في ذلك فقال أحببت أن أوتر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويمة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينقصد بعد في الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الأفضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد أخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة يبنى أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلاتعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصف الله تعالى للمؤمنين بها في قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أى كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعل لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح الموصلى إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضى الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أندرى ما حق الإخاء قال عرفنى قال أن لاتكون أحق بدينارك ودرهمك منى قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال على بن الحسين رضى الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضى الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق بلغنى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشيتك منك قال لا قال أمجنى صدقك . قال فكان إبراهيم بن آدم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافق ، وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك قال ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة قال اصمغ بسمك لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل الدين الحديث تقدم في الباب قبله .

مكون القلب . وقال أبو سعيد الخزاز الخلق مترددون بين ملهم وبين ما إليهم من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الحياء والفخر ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال : أرني أنظر إليك . ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال : إني لما أنزلت إلى من خير فقير . وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية غشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه في جميع أحواله لافتقار سؤال وطلب . وقال الحسين : فقير لما خصصنى من علم اليقين أن ترقينى إلى عين اليقين وحقه ووقع واقفه أعلم في قوله لما أنزلت

وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أحوج مني إليه فبعت به إليه فبعت ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة . وروى أن سروقا ادان دينا تقبلا وكان على أخيه خيصة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيصة وهو لا يعلم وذهب خيصة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما (١) فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداءة إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سلمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي لجمعتها في قم أخ من إخواني لاستقلتها له وقال أيضا إنني لأقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقى . ولما كان الإتفاق على الاخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لعشرون درهما أعطيتها أخى في الله أحب إلى من أن أنصق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكبن أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه (٢) » فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأمى يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه (٤) » وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غالبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يحمى صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا نعشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صديقكم - وقال - أو ماملكم مفاتيحه - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتعرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الاخوان والاصدقاء .

( الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة )

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخاري من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكبن أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضا (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرققهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بلفظ أشدهما حبا لصاحبه .

إلى من خير قدير . أن  
الانزال مشعر يبعد  
رتبته عن حقيقة القرب  
فيكون الانزال عين  
الفقر لما تقع بالمنزل  
وأراد قرب المنزل ومن  
صح فقره فققره في  
أمر آخرته كفقره في  
أمر دينه ورجوعه  
إليه في الدارين وإياه  
يسأل حوائج المنزلين  
وتساوى عنده  
الحاجتان فماله مع غير  
الله شغل في الدارين .  
[ الباب العشرون في  
ذكر من يأكل من  
الفتوح ]

إذا كمل شغل الصوفى بالله  
وكل زهده لكمال تقواه  
بحكم الوقت عليه يترك  
التسبب وينكشف  
له صريح التوحيد  
وحصة الكفالة من الله  
الكريم فيزول عن  
باطنه الاهتمام بالأقسام  
ويكون مقدمة هذا  
أن يفتح الله له بابا من  
التعريف بطريق  
المقابلة على كل فعل  
يصدر منه حتى لو جزى



وهذه أيضا درجات كمالها واساها بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول اللذة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلمه أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه واقرأ هذه الآية - واللّٰوِي يَعْصِمُ اللّٰهُ - وتضى ابن شبرمة حاجة بعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ماهذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يعهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللّٰوِي قال جعفر بن محمد إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردم فيستغفوا عني هنا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السالف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يخوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويعونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم « ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفأها وأصلبها وأرقها أصفأها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان (١) » وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تفعل عن أحوال نفسك وتقنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ولا تبرى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتفقد منه بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيتار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول لإخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر ما زار رجل أخا في الله شوقا إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة (٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغل فاعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى « أن ابن عمر كان يلتفت عينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته (٣) » وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يحالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكي . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسي وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إلى فطمت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسي طي ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والأكرام ومن تمام الشفقة أن لا تفرد بطعام لغيره

(١) حديث إن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله أصفأها وأصلبها الطبراني من حديث أبي عتبة الحولاني إلا أنه قال ألبها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث ما زار رجل أخا في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحدا فأسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نعمة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعمة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منهي عنه في الشرع يجد غيب ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنى لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي وقيل إن بعض الصوفية قرض الفأرخفه فلما رآه تألم وقال :

لو كنت من مازن لم تستبح إلي

بنو اللقيطة من ذهل ابن شيانا

إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شيء استوجب به ذلك فلا يزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الإلهية حق يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله وتتمحى عنه أفعال غير الله فيرى المعطى والمائع هو الله سبحانه ذوقا وحالا

أو بحضور في مسرة دونه بل يتنص لقراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه .

### (الحق الثالث)

(في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يشككم به ولا يجاريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يخاطبه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخيث الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلفك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه <sup>(١)</sup> » والتأذي يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل نعم لا ينبغي أن يخفى ما يسمع من التناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للقدح ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالى بكرهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوى أهله فهو من النية وذلك حرام في حق كل مسلم وبزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو على نفسك مآثره من أخيك وقد رآه حاجز عن قهر نفسه في تلك الحصة الواحدة كما أنك حاجز عما أنت مبتلى به ولا تستغله بحصة واحدة مذمومة فأى الرجال المذهب وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حَقك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فاذ غلبت المحاسن الساوي فهو الغاية والنتهى فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبث من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المناق في اللثم فإنه أبدا يلاحظ للساوي واليوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب العاذير والمناق يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الغو عن زلات الأخوان وقدك قال عليه السلام « استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره <sup>(٢)</sup> » وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بحصال فيه ويمكن تقيحه أيضا روى « أن رجلا أتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه فقال عليه السلام : أنت بالأمس ثنى عليه واليوم تنذه فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا <sup>(٣)</sup> » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر وقدك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة بسند ضعيف (٢) حديث استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : تمودوا بالله من جار السوء في دار اللقام (٣) حديث أن رجلا أتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه الحديث وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكره إلا أنه ذكر للصح والقدم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

لاعلما وإيمانا ثم يتدراكه الحق تعالى بالمعونة وبوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى بعض الصحاري فرأى قبرة عمياء عرجاء ضئيفة فوقفت متمجبا منها متفكر فيها تأكل مع هجرها عن الطيران والشيء والرؤية فيينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجتان في إحداها مسم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا اللقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

« البذاء والبيان شعبتان من النفاق <sup>(١)</sup> » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصيه ولا أحد يصي الله ولا يطيعه فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبأن تراء عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضا وحده أن لا تحمل ضله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمل على وجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى غرضا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقاده فيه حتى يصدر منه ضله وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأرذل من غير علامة تخص به وذلك جنابة عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذا قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث <sup>(٣)</sup> » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال عليه السلام « لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تباطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا <sup>(٤)</sup> » والتجسس في تطالع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالمعين فستر العيوب والتجاهل والتعاطل عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيهها على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الهداء قبيح يأمن أظهر الجليل وستر القبيح والرضى عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لا تتجاوز أنت عن من هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا حقوقك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الرمح ثوبه عنه قلوا نستره ونغطي له قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يماثل أخاه بما يجب أن يماثل به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر له منه قبيح ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبعد إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسررون - وكل من يلتمس من الأنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقوق المحسود بلاء باطنه بالحب ولكن يحبه في باطنه ويخفيه ولا يديه مهما

(١) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله تحت إلا أن أباطي النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر وسلم من حديث أبي هريرة كل للسلم على للسلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تباطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله .

العوام ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع إلى الأغيار ناظرا إلى فعل الله تعالى منتظرا لأمر الله ففساق إليه الأقسام ويضع عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته لفعل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالى مكشفا له تجليات من الله تعالى بطريق الأفضال والتجلى بطريق الأفضال رتبة من القرب ومنه يرقى إلى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يرقى إلى تجلى الذات والاشارة في هذه التجليات إلى رتب في اليقين ومقامات في التوحيد شيء فوق شيء و شيء أسفى من شيء فالتجلى بطريق الأفضال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهية والأنس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بحبته الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فلا تقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فأيمانته ضيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة يقدم على اليهودي من سفر قحلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعته ونعت أمته في التوراة إنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه السلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزله ولها كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مزايا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كفرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة <sup>(١)</sup> » وفي خبر آخر « فكأنما أحيا مودة <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة <sup>(٣)</sup> » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله <sup>(٤)</sup> » وقال <sup>(٥)</sup> « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره <sup>(٥)</sup> » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أناقبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه في يديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوق عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجدد الخبر وأحاف للستخبر . وقد قال آخر أستره وأسترني أستره وعبرته ابن العز قال :  
ومستودعي سرا تبوات كتمه فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدرى كشوا قبره لأنى أرى القبور ينتظر النشرا  
ولكننى أنساء حق ككأننى بما كان منه لم أحط ساعة خبرا  
ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا مودة من قبرها أبوداود والنسائي والحاكم من حديث عتبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة أبوداود والترمذي من حديث جابر . وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبوداود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرصلا والحاكم ومصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء ينعون به فناء الارادة والهوى والارادة ألقب أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلى الذات وهو أكل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المراج ومنع عنه موسى بلن تراني فليعلم أن قولنا في التجلى إشارة إلى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل المبدأ إلى مبادئ أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتوح . روى عن رسول الله صلى الله

وأثنى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قل خيرا وكنتم شرك فاحسبه وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذواتون لا خير في محبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما ومن أثنى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال لذلك قيل:

ورى الكريم إذا تصرم وصله يخفى القبيح ويظهر الاحسانا

ورى اللئيم إذا تقضى وصله يخفى الجميل ويظهر البهانا

وقال العباس لابنه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضى الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خما لا تفشين له سرا ولا تقتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن الماراة والدافعة في كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربهض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة (١)» هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الماراة والمنافسة فانها عين التدار والتقاطع فان التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يجرمه ولا يأخذله بحسب الرء من أكثر أن يحقر أخاه المسلم (٢)» وأشد الاحتقار الماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحقق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإغفار للصدر وإعياش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال: ذروا المراء قلقة خيرة وذروا المراء فإن نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان (٣)» وقال بعض السلف من لاسى الإخوان وما رام قلت مروءته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومماراة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة الماراة توجب التضيق والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجملة فلا باعث على الماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحق والجهل ولا معنى للمعادة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربهض الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال ذروا المراء قلقة خيرة فان نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء وواثلة وأنس دون ما بعد قوله قلقة خيرة ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .

عليه وسلم أنه قال ومن وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم إذا أخذ ففهم من يخرججه إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قال لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تتمد موعدا فتخلفه <sup>(١)</sup> وقد قال عليه السلام «إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط وجه وحسن خلق <sup>(٢)</sup>» والمأثرة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المأثرة والحسن على الساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم فقال إلى أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيسه فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من قلبي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الخيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

### (الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن اللكارة تقتضي أيضا النطق بالحجاب بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت محب أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذام والسكوت معناه كنف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالتسوال عن عارض إن عارض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجملة أحواله التي يسرها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الأخوة للسامية في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره <sup>(٣)</sup>» وإنما أمر بالأخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال «تهادوا تحابوا <sup>(٤)</sup>» ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لكود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيت أولًا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعه وفعله حتى على عقله وخلقه وهيبته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يخرج به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك أن تبخله ثناء من أثنى عليه مع إظهار القرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال على رضي الله عنه من لم يحمدا أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة التدب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لضره بكلام صريح أو تعرض لخلق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيك التعت وتغليظ القول عليه

(١) حديث ابن عباس لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تتمد موعدا فتخلفه الترمذي وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث لث بن أبي سليم وضمه الجمهور (٢) حديث «إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يعنى اللوصلى والطبراني في مكارم الأخلاق وابن عدى في الكامل وضمه والحاكم ومحمه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن معدي كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقبر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خنة فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا للسأل وأنت غير متشرف ولا سائل خفته وما لا فلا تتبعه نفسك» قال سالم بن أبل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تفضل إحداها الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه<sup>(١)</sup> وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو المسلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يئله»<sup>(٢)</sup> وهذا من الاتلام والخذلان فإن إهماله لتزيق عرضه كما هاله لتزيق لجه فأخس بأخ يراك والكلاب تفرسك وتمزق لحومك وهو ما كنت لا تحركه الشفقة والحلمية للدفع عنك وتمزق الأعراض أشد على النفوس من تمزق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال - أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - وللملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يضرب الناس لأن ذلك الملك في تمثيله يراعى المشاركة والنسبة بين الشيء وبين مثاله المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لافي ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعت للعتين واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران أحدهما أن تقدر أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل التعرض لمرضه به والثاني أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من النصرة له يسمع منه ويراى فينبغي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخى بغيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخى إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحترقان في فدان فوق أحدهما يحك جسمه فوق الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن محاسنا في إخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والحلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك محاذقة في لؤدة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فلا تقطع والعزلة أولى به من الواخاة والصاحبة فإن حق الصعبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أباهر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا»<sup>(٣)</sup> فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصعبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصعبة فإن الصعبة تقتضي حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقا قارية في أوقات متباعدة لاندوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبيهه على عيوبه وتبجح التبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث السلم أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذي مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاعي في مسند الشهاب بلفظ المصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى . سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فإمما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا الصمد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما يخشى عليه إنما يخشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجهم إلى الغير إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد فما كان على اللاّ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة المؤمن <sup>(١)</sup> » أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد للزم بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسر أحب من مخبرك بعيوبك فقال إن نصحتني فيما بيني وبينه فعم وإن قرأتني بين اللاّ فلا وقد صدق فإن النصيح على اللاّ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللائكة الذين يحفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقراه وأما أهل المقت فينادون على ردوس الأَشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا واقتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والاعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداينة بالفرض الباعث على الأغضاء فان أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالاغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداينة وقال ذوالنون لا تصحب مع الله إلا بالمواقفة ولا مع الخلق إلا بالمناجحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة . فان قلت فإذا كان في النصيح ذكر العيوب فيه إيماش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإيماش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استئالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يلتفت إليهم فان من ينهك على فعل مذموم تعاطيته أوصفة مذمومة اتصفت بها تركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حبة أو عقر ب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فان كنت تكره ذلك فما أشد حملك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والأرواح وألها أشد ما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسانا وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالتهار والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان قد كفيتهما فهل بلغك غيرها فقال لا وكتب حذيفة الرعشي إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بتت دينك عجبين وقتت على صاحب لبن ققلت بكم هذا فقال بسدس ققلت له لا شمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين واتقه عن رذلة اللوث واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين يفضهم للناسحين إذ قال - ولكن لا تحبون الناسحين - وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فأما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصيح بالتعريض مرة وبالتصریح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيماش فان علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالكسوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد عنه والتعرض لذلك ليس من النصيح في شيء ، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والسكينة خير من الشافهة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به

يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر تقدم العلم لتتمام محبته مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدم العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن يرقى شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكبر شرب هذا بتغير مهبود النعمة وهذا حال

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة بأسناد حسن .



والاسترقاق منه قال أبو بكر السكتاني صمبي رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له يوما شيئا طي أن يزول ما في ألبي فلم يزل فأخذت يده يوما إلى البيت وقتلته وضع رجلك على خدي فأبى ققلت لا بد ففعل فزال ذلك من قلبي ، وقال أبو طي الرباطي صمبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا ققلت بل أنت فقال وعليك الطاعة ققلت نعم فأخذ محلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطني قال ألتست قلت أنت الأمير فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر فكنت أقول مع نفسى ليتنى مت ولم أبل أنت الأمير .

### (الحق الخامس الغفوة عن الزلات والمفوات)

وهفوة الصديق لا تغلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أوفى حثك بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويبعد إلى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فنذهب أبو ذر رضى الله عنه إلى الاتقطاع وهل إذا اقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فان أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضا لا تحذثوا الناس بزلّة العالم فان الزلة ثم يتركها وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته (١) » وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان أخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الحفر قال إذا أردت الخروج فأذنى فكذب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتلتت فان شئت أن لا تعقد على صمبتي لله فافعل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدا ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواء فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواء فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يلف هزالا وضربا . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن يأخذ يده وأتلف له في العاتية وأدعوه بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشمها واحتجبها إلى خلوة وواقفها ثم أقام عندها ثلاثا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنائته قال فافتقده أخوه واهتم بشأنه فقتل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحياائه منه فقال قم يا أخى قد عدلت شأنك

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته البغوى في المعجم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف الزنى وضعفاء .

ضعيف بالإضافة إلى  
الحالين الأولين لأنه  
علة في المحبة ووليبة  
في الصدق عند  
الصديقين وقد ينتظر  
صاحب الفتوح العلم  
في الإخراج أيضا كما  
ينتظر في الأخذ لأن  
النفس تظهر في  
الإخراج كما تظهر في  
الأخذ وأنهم من هذا  
من يكون في إخراج  
عناز أو في أخذه عننازا  
بعد تحققة بصحة  
التصرف فان انتظار  
المعلم إنما كان لموضع  
إتهام النفس وهوييية  
هوى موجود فاذا زال  
التهام بوجود صريح  
المعلم يأخذ غير محتاج  
إلى علم متجدد ويخرج  
كذلك وهذه حال من  
تحقق بقول رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حاكيا  
عن ربه « فإذا أحببته  
كنت له سمعا وبصرا  
ففي اسمع وبى يصروى  
ينطق » الحديث فلما  
صح تعرفه صح تصرفه  
وهذا أعز في الأحوال

وفستك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأقرب من طريقة أبي ذر رضي الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا ألطف وأقرب من مقارفة هذه العصية لأن يجوز مؤاخاته ابتداء فحجب مقاطته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بطلان القياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة العصية . فأقول أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستئالة والتعطف للنفس إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبغة ومهما قوطع واتقطع طمعه عن الصبغة أصر واستمر وأما كونه أقرب فمن حيث إن الأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وقره وقره الدين أشد من قهر اللال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة اقتصر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتطلب به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التي ألمت به فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب والفاجر إذا صاحب نفاقا وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيسرع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما قرت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاط في العبادة وفارقى الكسل وعملت عليه أسبوعا وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحة كلحمة النسب والقرب لا يجوز أن يهجر بالعصية ولذلك قال الله تعالى لئيبه صلى الله عليه وسلم في عشرته - فان عصوك قتل إني بريء مما تعملون - ولم يقل إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة ولذلك قيل للحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديقا لي وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلعبه أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة واللودة تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعها الله فاذا نزل الوفاء بقدر الأخوة إذ أسبق انقضاها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي أن يقطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصبغة ابتداء ليس مذموما ولا مكروها بل قال قائلون الانفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فنهى عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله المشاءون بالنيمة للفرقون بين الأحبة »<sup>(١)</sup> وقال بعض السلف في ستر زلات الاخوان ود الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فإذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزبه وقال « لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك »<sup>(٢)</sup> فهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفاسق محدورة ومفارقة الأحباب والاخوان أيضا محدورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلة في دينه أما زلته في حقه بما يوجب إعاشته فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تمهيد

من الكبريت الأحمر وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله يحكي عن الشيخ حماد الهباس أنه كان يقول أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في المنام أن يعمل إليه شيئا وقد كان بينه وبينه في المنام أن يحمل إلى حماد كذا وكذا وقيل إنه بقي زمانا يرى هو في واقعه أو منامه إنك أحلت على فلان بكذا وكذا، وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء ومعنى بطعام الفضل ما شهد له محبة الحال من قروح الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله . قال الواسطي الافتقار إلى الله أعلى درجة الريدين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين وقال أبو سعيد الخراساني

- (١) حديث شرار عباد الله المشاءون بالنيمة للفرقون بين الأحبة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف  
(٢) حديث لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيك . البخاري من حديث أبي هريرة . وتقدم في الباب قبله .

عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت العيب لأخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تختمل منه ثلاثا ظلم الغضب وظلم العدالة وظلم المفوعة وقال آخر ما شتمت أحدا قط لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفرها له أولئك فلا أجعل عرضي له عرضا ثم تمل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل : خذ من خليلك ماصفا ودع الذي فيه الصكر

فالممر أقصر من معا تبة الخليل على التبر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إلي أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب الكس<sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا<sup>(٢)</sup> » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والانتقام والكفأة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر :

ولست بمستبق أخا لائمه على شتم أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان النخعي لأحمد بن أبي الخوارى إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال تجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضر الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما<sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك .

( الحق السادس )

( الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه نفسه ولأهله وكل متعلق به فتدعوه كما تدعوا لنفسك )

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في للراسل من حديث جودان واختلف في محبته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا ولا ترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شق الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النفي فذلك بتلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد في رفته .

العارف تديره في  
في تدبير الحق فالواقف  
مع الفتوح واقف مع  
الله ناظر إلى الله  
وأحسن ما حكى في هذا  
أن بعضهم رأى  
النورى يمد يده  
ويسأل الناس قال  
فاستظمت ذلك منه  
واستجبته له فأنتيت  
الجديد وأخبرته  
فقال لي لا يعظم هذا  
عليك فان النورى لم  
يسأل الناس إلا لعظيم  
سؤلهم في الآخرة  
فيؤجرون من حيث  
لا يضره وقول الجديد  
ليعطيهم كقول بعضهم  
اليد العليا يد الآخذ  
لأنه يعطى الثواب قال  
ثم قال الجديد هات  
الميزان فوزن مائة درهم  
ثم قبض قبضة فألقاها  
على المائة ثم قال احملها  
إليه فقلت في نفسي إنما  
يزن لي عرف مقدارها  
فكيف خلط المجهول  
بالموزون وهو رجل  
حكيم واستحييت أن  
أسأله فنهبت بالصرعة

ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدي » (٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد » (٤) وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أميهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتقسمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهم بما قدمت وماصرت إليه يدعوك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الترى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات الصديق قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم » (٥) يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الطريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب » (٦) وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

### ( الحق السابع الوفاء والإخلاص )

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب إنما يراد للآخرة فان انقطع قبل الموت جبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » (٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عجزوا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٨) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحايين

(١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء (٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ عبدي لم أجدها اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات الصديق قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل الطريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولد أو والد الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في الليزان إنه خبر منكر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لعجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

إلى النوري فقال هات لليزان فوزن مائة درهم وقال ردوها وقل له أنا لا أقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تسجي فسالته على ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن فله تأخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكي وقال أخذت ما ورد مالنا . ومن لطائف ما سمعت من أصحابنا أن قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون إلى شيء من العلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم اتوني به فعملوا ثم جاءهم من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطاخي ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذي فتح

فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما دل الله تعالى - وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال عبرا عن يوسف - من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لأن الاخوان مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الله الأشياء مجالسة الاخوان والانتقال إلى كفاية واللودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات اللودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل مذهول أخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال - ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في التزل الحسن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك وإن استفتيت عنه لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك وقال بعض الحكماء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلا ينفداد ثم إن أخاه ولي السيين فغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبدا وليس طلاق ذات البين

فإن أروعيت فانها تطلقه ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيزين

وإذا التلات أتك مني بنة لم تغن عنك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فسدته فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من تجلس بهك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليوم . إليه فقال الشافعي سبحان الله أشك في هذا أبو يعقوب البويطي فأنكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك الداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد ابن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله أبو آثر البويطي الزهد والحوار ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والمقصود أن الوفاء بالحببة من تمامها النصيحة قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولأمن أخيك التقصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة تفور الطبع عن أسبابها كاقيل :

الله لي في واقعي فأخذ  
الشيخ الكاغد فلم  
يكن إلا ساعة فإذا  
بشخص دخل ومعه  
ذهب قدمه بين يدي  
الشيخ ففتح القرطاس  
وإذا هو ثلاثون  
صحيفة فترك كل  
صحيفة على دائرة وقال  
هذا فتوح الشيخ  
اسماعيل أو كلاما هذا  
معناه . ومعت أن  
الشيخ عبد القادر  
رحمه الله بحث إلى  
شخص وقال قلآن  
طعام وذهب اتقى من  
ذلك بكذا ذهابا  
وكذا طعاما فقال الرجل  
كيف تصرف في ودية  
عندي ولو استفتيتك  
ما أفتيتي بالتصرف  
فألزمه الشيخ بذلك  
فأحسن الظن بالشيخ  
وجاء إليه بالذي طلب  
فلما وقع التصرف  
منه جاءه مكتوب من  
صاحب الوديعة وهو  
غائب في بعض نواحي  
العراق أن احمِل إلى  
الشيخ عبد القادر

وجدت مصيبت الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب.

وأعند ابن عينة هذا البيت وقال لقد عهدت أقواما فارقهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه عيب لصديقه كيلا يهتم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا فقلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تغالفي في أمر ولا توطئي عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك .  
( الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف )

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل بروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستند منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمعجته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلفظه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤثته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه مالا يقتضونه قد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه قد أتهمهم ومن لم يقتض فهو للفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتهمهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا ونعمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يفتنه ولا يعتصمه وقال الجنيد صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا الماسي وطبقته وحسنا للسوحي وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكريبي وطبقته فما تواخى اثنان من الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أهمل إخواني على من يتكلف لي وأعف عنك مؤنة وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس إلا من لا يزيد عنده ير ولا تنقص عنده يأمم يكون ذلك لك وعليك وإن كنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يعمل على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويعمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخى كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخفى في الله فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤثته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن

كذا وكذا هو القدر  
الذي عنه الشيخ  
عبد القادر فتابه  
الشيخ بعد ذلك على  
توقفه وقال ظننت  
بالفقراء أن إشاراتهم  
تكون على غير صفة  
وعلم فالعبد إذا صح  
مع الله تعالى وأفنى هواه  
متطلبا رضا الله تعالى  
يرفع الله عن باطنه  
هموم الدنيا ويجعل  
التي في قلبه ويفتح  
عليها بواب الرفق وكل  
الهموم للسلطة على  
بعض الفقراء لكون  
قلوبهم ما استكملت  
الاحتشام بالله والاهتمام  
برعاية حقائق العبودية  
فصل قدر ما خلت من  
الهمم بالله ابتليت بهم  
الدنيا ولو امتلأت من  
همم الله ما عذبت بهموم  
الدنيا وقعت وارتقت.  
روى أن عوف بن  
عبد الله السعدي كان  
له ثلاثة وستون  
صديقا وكان يكون  
عدد كل واحد يوما  
وآخر كان له ثلاثون

لا تنتفع به ورجل لا يتقدر أيضا على أن تنفعه وتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه فأما الثاني فلا تتجنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبشوايك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أعطيتي لما أكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فاني كنت معهم على تقى ومن كانت هذه شيمته أكثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترس في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التمار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الشهر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة إن الله لمن التكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف »<sup>(١)</sup> وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به <sup>(٢)</sup> إذا أكل عنده ودخل الحلاء وصلى ونام فذكر ذلك لبعض الشايخ فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويحاميها لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمس وإلا فالمساجد أرواح لقنوب للتعبدين فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السمة في القلب واللسان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماتري له »<sup>(٣)</sup> فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك ياشتر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والمعجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان أبيات :

تذلل لمن إن تذلل له يرى ذاك للفضل لا للبه  
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له  
وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أخطى من الصديق العتيق  
ورفيق رأيت له في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم »<sup>(٤)</sup> ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمتي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إني برىء من التكلف وصالحو أمتي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماتري له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم والمعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنيئة . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك ولكني قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فإن الحق يصفي لنا وضعه نرى فكل ما يقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يعقوب بن أخى معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف وكان مواخيا له فقال إن بشر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحى أن يشافئك بذلك وقد أرسلى إليك يسألك أن تعفله فيما بينك وبينه أخوة محتسبا ويستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يحب أن يشتر بها ذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتة لئلا ولا تنهارا ولزرتة في كل وقت وآثرته على نفسه في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاسمه في البدن (٢) وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته (٣) وأنا أشهدك أنى قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك وللسانته على أن لا يزورنى إن كره ذلك ولكنى أزوره متى أحببت ومره أن يلقانى في مواضع تلتقى بها ومره أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعنى على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به فهذا جامع حقوق الصبة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للاخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنتظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنتظر إلى محاسنهم وتتعمى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم مملك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسأله وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث لاتدابوا في هذا الباب (١) حديث أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم النساء في الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب الحديث وفيه فايكم يابى على أن يكون أخى وصاحي ووارثي فلم يبق إليه أحد فقامت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يده وله وللعاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنى لأخوه ووليّه ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذى من حديث ابن عمر وأنت أخى في الدنيا والآخرة وللعاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن جبان لأصله وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذى من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب (٢) حديث مقاسمته عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فنخر ماعبر وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنكح عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور في الصحيحين من حديث على لما أردت أن أبقي بفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللعاكم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة يافاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذى في الشمائل من حديث على في أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلوسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يردده إلا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه وللترمذى من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نرله مباركا ولا نراه شؤما. أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنبأنا أبو بكر ابن أحمد بن خلف الشيرازي بإجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا بكر بن شاذان قال سمعت أبا بكر السكتاني قال كنت أنا وعمرو للكي وعياش ابن المهدي نسطب ثلاثين سنة نصلى القعدة على طهر العصر وكنا نقودا بمكة على التجريد ما لنا على الأرض ما يساوى فلسا وربما كان يصحبنا الجوع يوما ويومين وثلاثة وأربعة وخمسة ولا نسأل أحدا فان ظهر لنا شيء وعرفنا وجهه من غير سؤال ولا تعريض قبلناه وأكلناه وإلا طوينا فاذا اشتد بنا الأمر وخفنا على أنفسنا نقصان في الفرائض قصدنا أباسعيد الحراز فيتخذنا ألوانا من الطعام ولا نقصد غيره



وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا مما يحدوثونه به وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .  
وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصداقا به ومظهرا لاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فان أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتغرس سمعك عن سماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون . وأما اليدان فأن لا يقبضهما عن معاوئتهم في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فأن يمشى بهما وراءهم مشى الأتباع لا مشى التبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهما تم الاتحاد خف حملهم من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصعبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحلب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها أعلى أنواع الخدمة فلهذا لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة .  
[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن العشرة فالحق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكل طرف في قصد الأمور ذميم ولا تنظر في عطفك ولا تنكر الالتفات ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشييك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتحليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقتك وتحكمك وتردد اللباب من وجهك وكثرة التخطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضع إلى السلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن المضحك والحكايات ولا تعدث عن إعجابك بولده ولا جارتك ولا شمرتك ولا تصنيفك وسائر ما يحسك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا تبدل تبدل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك وإذا خاضعت فتوقروا تحفظ من جهلك وتجنب مجلتك وتفكر في حجتك ولا تنكر الإشارة بيدك ولا تنكر الالتفات إلى من وراءك ولا تبحث على ركبتك وإذا هدا غيظك فتكلم وإن قريك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فان استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارق به رفقا بالصبي وكله بما يشتهي ما لم يكن معصية ولا يعملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطته الداخل بين الملك وبين أهله سقط لا تمنع وزلة لا تنال وإياك وصديق العافية فانه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تعي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فان جلست فأدبه غص البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تبسط إلا إليه لما  
تعرف من تقواه  
وورعه . وقيل لأبي  
يزيد ما نراك تشتغل  
بكسب فن أبن معاشك  
فقال مولاي يرزق  
الكلب والخنزير تراه  
لا يرزق أبا يزيد .  
قال السلي سمعت أبا  
عبد الله الرازي يقول  
سمعت مظفرا القرميضي  
يقول الفقير الذي  
لا يكون له إلى الله  
حاجة . وقيل لبعضهم  
ما الفقر قال وقوف  
الحاجة على القلب  
ومحوها من كل أحد  
سوى الرب . وقال  
بعضهم أخذ الفقير  
الصدقة ممن يعطيه  
لا يمن تصل إليه على  
يده ومن قبل من  
الوسائط فهو الترس  
بالفقر مع دناءة همته .  
أبنا ناسيخا نساء الدين  
أبو النجيب السهروردي  
قال أنا عصام الدين أبو  
حفص عمر بن أحمد  
ابن منصور الصفار قال  
أنا أبو بكر أحمد بن

يمكنك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فإن فعلت فأدبه ترك القيسة ومجانبة الكذب وصيانة السروقة والحوائح وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك المودة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفساء السروا والقدح في الملك والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتفافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تنازع لبيبا أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجري السفيه ويسقط للزلة عند الحكيم ويعتقه التتقون وهو يمت القلب ويساعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث القلة وبه تظلم السرائر وتعمت الحواطر وبه تنكسر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس عزم أولعظ فلينكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » (١) لا يغفر له ما كان في مجلسه ذلك (٢) .

( الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية العاشرة مع من بدلى بهذه الأسباب )  
اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعدد عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة أدب والآداب على قدر حقه وحقه على قدر رابطة التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما محبة السفر والكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلدي في بلاد القرية يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق للعلماء كدنيا كد العرفه وللعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسمع بل آكد منه والعرفه بعد وقوعها تآكد بالاختلاط وكذلك الصحة تتفاوت درجاتها كحق الصحة في الدرس والكتب آكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها إذا قويت صارت أخوة فان ازدادت صارت حبة فان ازدادت صارت خلة والخلة أقرب من الحبيب فالهبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا ينبغي بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فعناء أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرف من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذ خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله » (٣) إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزائه قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منعه الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال « على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة » (٤)

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

( الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح )

(٢) حديث لو كنت متخذ خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث على مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أحمد ابن طي بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام التوكلين . روى أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتيني رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد أن يتلف فقال يارب إن أحببتي فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك

فعدل بلى عن النبوة كما عدل بآبي بكر عن الخلة فشارك أبو بكر عليا رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه عليه بقوله لا اتخذت أبا بكر خليلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روى أنه صعد النبريوما مستبشرا فرحا فقال «إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) «فاذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصعبة والأخوة ويدخل فيهما ماوراءهما من المحبة والخلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الايثار بالنفس والمال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة يدينه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك أعني ملك المؤمنين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح .

### (حقوق المسلم)

(١) هي أن تسلم عليه إذا لقيت وتحييه إذا دعاك وتحمته إذا عطس وتعوذه إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات (٢) وتبرقعه إذا أقسم عليك وتصح له إذا استصحبك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك (٣) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق للمسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمذنبهم وأن تحب تأنيبهم» (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحماء بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك له من الخير وثبتته عليه وانقضا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائر أركانه» (٥) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٦) ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال ﷺ «السلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده» (٧)

(١) حديث إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

### (الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا لقته فقد ذكر عشر خصال الشيخان من حديث أبي هريرة حق السلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لمسلم حق السلم على المسلم ست إذا لقته تسلم عليه وزاد وإذا استصحبك فانصح له وللترمذي وابن ماجه من حديث علي السلم على السلم ست قد ذكر منها ما يجب له ما يجب لنفسه وقال يوصح له إذا غاب وأشهد ولأحمد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ بسبع قد ذكر منها وإبرار القسم ونصر الظلوم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمذنبهم وأن تحب تأنيبهم ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسنادا (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى للمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٦) حديث السلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بذهلك في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمد ابن اليسرى يقول سمعت محمدا الإسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فدع الناس من الصر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك» (٢) وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه» (٤) وقال رجل يارسل الله ما الاسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الحرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحد منهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين» (٥) وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسل الله علمي شيئا أتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يحل لمسلم أن يهجم على أخيه بنظرة تؤذيه» وقال «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين» (٩) وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذيه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل محتال غفور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» (١٠) ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته» (١١)

(١) حديث فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أتدرون من المسلم قالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم ومصححه من حديث فضالة بن عبيد ألا أخبركم بالمؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصر على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عتبة قال رجل يارسل الله ما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسل الله علمي شيئا أتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب الله بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسل بسند ضعيف وفي البر الوصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي ميمى وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسل بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمزة ورجاله رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته النسائي بإسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين .  
قال بعض اللطاعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد منى تركها فحاك في صدرى من أين هاشم فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع إلى وتنهى في رزقك على أن أخدمك وليا من أوليائى أو أسخر لك مناقا من أعدائى فلما صبح حال الصوفى وانقطعت أطعماعه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضيا بخدمة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جنابة وذنبا . روى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك اللوم من عمله فوافى أيوب الحال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذ نهله اتفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » (١) وقال الحليل بن أحمد من نمت لك نمة عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في المهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » (٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة » (٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله » (٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما من أحد تواضع لله إلا راضاه الله » (٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ، روى طي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فان أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » (٦) وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » (٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركة جلسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه » (٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون » (٩) ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فانه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمر بالفقه والعلم بالبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بافظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف إلى أهله فان لم تصب أهله فأنت من أهله ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مراسلاً بسند ضعيف (٧) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبيين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التحجب . (٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فيزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فان أذن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبروا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فراه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضعما ثم صبر قليلاً ثم قال خذهما فالحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذته قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطياه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس قبيل هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والسكب بشرط العلم فأما السائل

يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا »<sup>(١)</sup> قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشية السلم »<sup>(٢)</sup> ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير »<sup>(٣)</sup> وفي الخبر « ما وقر شاب شيخا إلا قبض الله في سنه من يوقره »<sup>(٤)</sup> وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض القمام فيضا وتفيض الكرام غيضا ويجترى الصغير على الكبير والثلثم على الكريم »<sup>(٥)</sup> « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام »<sup>(٦)</sup> . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم »<sup>(٧)</sup> « فربما تفاخر الصبيان بذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت ورائه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك ورائهم » وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه ثلاثا يروا أنه تأذى يوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده »<sup>(٨)</sup> ومنها أن يكون

مستكرا فوق الحاجة لافي وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء . مع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقبل لك عش السائل فقال قد عشته فنظر عمر فإذا تحت إبطه حلاوة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم ثر حلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالقدرة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن الله تعالى في خلقه مثوبات وقرعوبات قهر فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على قهره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويبغى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فعال الصوفية حسن الأدب

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشية السلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قبض الله في سنه من يوقره الترمذي من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البراز من حديث أنس كان من أفكاه الناس مع صبي وقد تقدم في النكاح وفي الصحيحين يا أبا عمير ما فعل النضر وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فتلتقاء الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فيلقى بي وبالحسن وقال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فحملني بين يديه ثم جاء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر فأتنا أعلم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحسبهم فأتى صبي فقال عليه فدعا بقاء فأتبعه بوله ولم ينسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد فيدعولهم وفيه صبا عليه الماء صبا ولقد أرقطى بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا غنيا الحديث وفيه الحاجب بن أرقطة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلعب صبيًا إذ بال قمامت لتأخذه ونضربه فقال دعاه اتوني بكور

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين الهين السهل القريب <sup>(١)</sup> » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه <sup>(٢)</sup> » وقال بعضهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة . فقال « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام <sup>(٣)</sup> » وقال عبد الله بن عمر إن البرة شيء هين وجهه طلق وكلام لين وقال <sup>(٤)</sup> « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكرة طيبة <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لفرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها : قال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام <sup>(٦)</sup> » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح <sup>(٧)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك فجلست إلى الباحة فقتت حاجتها <sup>(٨)</sup> » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يضوي الشيطان الناس فلما طالع عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبى بيني وبين ربى لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فتنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالدباب فقال أي رب من ينجو من هذا قال الورع الذين . ومنها أن لا يمد مسلما بوعده إلا ويوفي به قال <sup>(٩)</sup> « المدة عطية <sup>(١٠)</sup> » وقال « ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان <sup>(١١)</sup> » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى <sup>(١٢)</sup> » وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح <sup>(١)</sup> حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الهين الذين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل الذين وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقب عن أمه قال الترمذي حسن غريب <sup>(٢)</sup> حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موريق العجلي مرسل <sup>(٣)</sup> حديث إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانيء بن يزيد بأسناد جيد <sup>(٤)</sup> حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقديم الزكاة <sup>(٥)</sup> حديث إن في الجنة فرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث على وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف <sup>(٦)</sup> حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف <sup>(٧)</sup> حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك الحديث رواه مسلم <sup>(٨)</sup> حديث المدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قبات بن أشيم بسند ضعيف <sup>(٩)</sup> حديث المدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في الراشدين <sup>(١٠)</sup> حديث ثلاث في المنافق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه <sup>(١١)</sup> حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تغلب [ الساب الحادي والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم ]

الصوفي يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يصلح أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجлож للصوفي ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستجمله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انفصلت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطوعة بحجة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتأهده بما يروق له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة فقد جاءت إلى أمر الله وتصلت عن مشاحة

ومن هذا أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم  
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه  
 وبذل السلام <sup>(١)</sup> » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته  
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه <sup>(٢)</sup> » وقال  
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما عيب نفسك  
 تكن مسلماً <sup>(٣)</sup> » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فيهن :  
 جماع الأمر لك ولولدك واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة بينك وبين الخلق  
 فأما التى لى تمبذنى ولا تشرك بى شيئا وأما التى لك فصملك أجزيك به أقفر ما تكون إليه وأما التى  
 بينى وبينك ففليك الدعاء وعلى الإجابة وأما التى بينك وبين الناس فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك  
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أى رب أى عبادك أعدل قال من أنصف من نفسه .  
 ومنها أن يزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روى أن عائشة  
 رضى الله عنها كانت فى سفر فزلت منزلاً فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين  
 قرصاً ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا النقي  
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا بد لنا من أن نزلهم تلك المنازل هذا المسكين رضى بقرص  
 وقبيح بنا أن نعطي هذا النقي على هذه الهيئة قرصاً وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت  
 فدخل عليه أصحابه حتى غصّ المجلس وامتلاً فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكاناً فقعده على  
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذ جرير ووضع  
 على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على  
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتنى فنظر النبي صلى الله عليه وسلم بينا وشمالاً ثم قال « إذا أتاكم كريم  
 قوم فأكرموا <sup>(٤)</sup> » وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه ، روى « أن ظر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أتى أرضه فجاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبى ثم أجلسها على الرداء  
 ثم قال لها اشعنى تشعنى وسلى تعطى فقالت قومي فقال أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل  
 ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سمانه بخين <sup>(٥)</sup> » فبيع ذلك  
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة

وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس فى البخارى (١) حديث  
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه  
 وبذل السلام الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقف البخارى عليه  
 (٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً  
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص  
 نحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظه (٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن  
 مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف  
 والمعروف أنه قاله لأبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا وفى أوله قصة  
 فى قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وتقدم فى الزكاة مختصراً  
 (٥) حديث إن ظر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أرضه فجاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث  
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصراً فى بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما  
 بالعدل وينظر فى أمرهما  
 بالقسط ومن صبر من  
 الصوفية على العزوبة  
 هذا الصبر إلى حين  
 بلوغ الكتاب أجله  
 ينتخب له الزوجة انتخاباً  
 ويهيء الله له أعواناً  
 وأسباباً وينم برفيق  
 يدخل عليه ورزق  
 يساق إليه متى استعجل  
 للريد واستغفره الطبع  
 وخامره الجهل بثوران  
 دخان الشهوة المطفئة  
 لشعاع العلم وأنخط من  
 أوج العزيمة الذى هو  
 قضية حاله وموجب  
 إرادته وشريطة صدق  
 طلبه إلى حضيض  
 الرخصة التى هى رحمة  
 من الله تعالى لعامة خلقه  
 يحكم عليه بالنقصان  
 ويشهد له بالحسرة  
 ومثل هذا الاستعجال  
 هو حضيض الرجال  
 قال سهل بن عبد الله  
 التستري إذا كان للمديد  
 مال يتوقع به زيادة  
 فدخل عليه الابتلاء  
 فرجوعه فى الابتلاء



جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أبي عزم عليه حق فعل (١) . ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الخاتمة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين (٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بأني أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا قال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته فقال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء قال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكلفة بالؤلؤ لأى نبي هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا (٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها (٦) » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (٧) » وقال « لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة (٨) »

(١) حديث نزهه صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمرو أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فألقى إليه وسادة من آدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فألقاه إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللباز هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الخاتمة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ضعفه الجمهور (٤) حديث أنس بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأني وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي الله عز وجل قال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق والحاكم وصححه الإسناد وكذا أبو يعلى الوصلى خرج به بطول وضعفه البخاري وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين قال خيرا أو نعى خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولم يسم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وصحت بعض الفقهاء وقد قيل لهم لا تزوج فقال المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نازتوقانه برد وسلام لكامل تقواه وقهره هوام وإلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير النائق فالصوفي إذا صار متأهلا يتعين على الإخوان معاوته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما أعز لما أخبره «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذا نحل للمسلم أن يستر عورة نفسه لحق إسلامه واجب عليه حتى إسلام غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسر بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إمام فقال على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا أقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ماشاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقاتلهم الأولى فقال على رضي الله عنه مثل مقاتله الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الوالي هل له أن يغض بطنه في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التقدير لافي معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أغشها الزنا وقد نيط بأربعة من الدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود في المسككة وهذا قاطل ينفق وإن عله القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نحرّم هذا السكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمّه فلما دنونا منه إذا باب مخلق على قوم لهم أصوات ولنط فأخذ عمر يدي وقال أتدرى بيت من هذا؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف فها نرى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما هنا قال الله عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب السر وترك التبصير وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية «إنك إن تبصرت عورات الناس أفسدتهم أوكدت تفسدهم» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع عورة الله عورته ومن يتبع عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

بالإيثار ومساعدته في الاستكثار إذا رأى ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد ابن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في قسمه في يومه فأعطى المتأهل حظين والمزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والضعيف والخرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لوسترته بثوبك كان خيرا لك أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الاسناد ونعيم مختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث على من أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وغفا عنه فآله أكرم من أن يرجع في شيء قد غفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فغوب عليه فآله أعدل من أن يثنى العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت تفسدهم قاله لمعاوية أبو داود باسناد صحيح من حديث معاوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه.

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكوهوا فاستنكوهوه فوجده نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فسكر ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلبده وعليه قباء أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسن الأدب ولا سرت الحرمة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيه وإن الله غفور يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا - ثم قال « إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ آتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يمنعني لا تكونوا عوناً للشياطين على أخيك فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيه إن الله غفور يحب العفو وقرأ - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم - (١) وفي رواية فكأنما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تقيده وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسى بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتخى فتصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال ياعدواؤه أظننت أن الله يسترك وأنت على محبته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تسجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة قد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست وقال الله تعالى - وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي غير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لأعود إلى مثلها أبدا ففأعنه وخرج وتركه وقال لرجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول « إن الله ليدينني منه للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يارب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبدى إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسنة وأما الكافرون وللناقصون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كل أمي معافي إلا المجاهرين (٣) » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم « من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة (٤) » ومنها أن يتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولأستتهم عن الغيبة فانهم إذا عصوا الله بذكركم وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم « كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوى غيره فيسبون أبويه (٥) » وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم آتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرايطي في مكارم الأخلاق فكأنما سقى في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدينني منه للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمي معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من سب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار وددنا يا رسول الله لو قد أكثرنا من هذا فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمة وأتق ليشه ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل في الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النفس وتقيد

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم <sup>(١)</sup> » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وكنا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفية <sup>(٢)</sup> » الحديث وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام النهم فلا يلومن من أساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسمى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيه ما أحب <sup>(٣)</sup> » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إلى فتؤجروا [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها النعمة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر <sup>(٤)</sup> » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآني أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجعتي فائه أبووليك فقالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل فقال لا إنما أنا شافع <sup>(٥)</sup> » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام وبصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام <sup>(٦)</sup> » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قعل السلام عليكم وادخل <sup>(٧)</sup> » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته <sup>(٨)</sup> » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعا فقال يا فلان هذه زوجتي صفية وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا وقال علي رسلكما إنها صفية متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأنتم عندي فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث سمرة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث كآني أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري .

(٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال ﷺ ارجع قعل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[٩] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كافي الشارح اهـ .

بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة. قال أبو سليمان الداراني ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج ثبت على مرتبته . أخبرنا الشيخ طاهر قال أنا والدي أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل القمري قال أنا أحمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسي قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزاري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما تركت بدي فتنة أضر على

من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصالحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم (٢) » وقال أيضا « إذا سلم على السلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه (٤) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم (٥) » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو سلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يعني إلا أنني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة والصالحة أيضا سنة مع السلام « وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون (٦) » وكان أنس رضى الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأولمأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية (٨) » فقال عليه السلام « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه (٩) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين حجيج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الحرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وإسناده ضيف للترمذي وصححه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على السلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولله في المسند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على السلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسل ولأبي داود من حديث علي بن عيسى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وسيأتي في بقية الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعته متفق عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأولمأ بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء « وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « ابتلينا بالضراء فصرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن وأتبعن الغنى وكلفن الفقير ما لا يجد » وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الإنسان ضعيفا - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - الغلة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر يحسن المعاملة في معالجة

« لاتصاغوا أهل الذمة ولا تبدهم بالسلام فإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق »  
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها فقات بل عليكم السلام والمنة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم (١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائق والسائق على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود والنصارى بالأيصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأفكار » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة (٣) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشراً (٤) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للهادي وتسعون للمصافح عشرة (٥) » وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم بينكم المصافحة (٦) » وقال عليه السلام « قبله السلم أخاه المصافحة (٧) » ولا بأس بقبلة يد العظمى في الدين تبركاً به وتوقيراً له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم (٨) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (٩) وروى أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال فأذن له فقبل (١٠) ولقي أبو عبيدة

النفس وصبر عنهن  
 فقد حاز الفضل  
 واستعمل العقل  
 واهتدى إلى الأمر  
 السهل قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 « خيركم بعد الاثنين  
 رجل خفيف الحاذق  
 يا رسول الله وما خفيف  
 الحاذق؟ قال الذي لأهل  
 له ولأولاده وقال بعض  
 الفقهاء لما قيل له تزوج  
 أنا إلى أن أطلق نفسي  
 أحوج مني إلى الزوج  
 وقيل لبشر بن الحرث  
 إن الناس يتكلمون  
 فيك فقال ما يقولون  
 قيل يقولون إنه تارك  
 للسنة يعني النكاح فقال  
 قولوا لهم أنا مشغول  
 بالقرض عن السنة .  
 وكان يقول لو كنت  
 أعول دجاجة خفت  
 أن أكون جلاداً على  
 الجسر والصوف مبتلى  
 بالنفس ومطالبها وهو  
 في شغل شاغل عن  
 نفسه فإذا انضاف إلى  
 مطالبات نفسه  
 مطالبات زوجته

(١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث يسلم الراكب على السائق والسائق على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالإصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأفكار الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث أنس إذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة الحديث الخرائطي بسند ضعيف وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعون لأحسنهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٦) حديث عمر بن الخطاب إذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار في مسنده والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر (٧) حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه (٨) حديث قبله السلم أخاه المصافحة الخرائطي وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (٩) حديث ابن عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١٠) حديث كعب ابن مالك لما نزلت توبى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القرى في كتاب الرخصة في قبيل اليد بسند ضعيف (١١) حديث أن أعرايا قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له فقبل الخ الحكم من حديث بريدة إلا أنه قال رجلك موضع يدك وقال صحيح الاسناد.

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصاحه وقبل يده وتنجيا يكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للتسليمين إذا التقيا قصاصاً تحاتت ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال «إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) » والأحناء عند السلام منهي عنه قال أنس رضي الله عنه «قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض ؟ قال لا قال فيقبل بعضنا بعضاً ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضاً ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضي الله عنه ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صاغني وطلبني يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود (٥) والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) وأخذ عمر بن زید حتى رفعه وقال هكذا فاضلوا زيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يلمون من كراهيته لذلك (٧) وروى أنه عليه السلام قال مرة «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام «من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا (١٠) » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النبي وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فأنما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الحرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصراً مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب من حديث أبي اسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب الحرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعاً وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أينحن بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صاغني الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وصماه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتنبهوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضعف طلبه وتكل إرادته وتفر عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت قنعت فيستعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بادامة الصوم فإن للصوم أثراً ظاهراً في قمع النفس وفهرها وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجماعة من الشبان وهم يرفضون الحجارة فقال «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء » أصل الوجاء رض الحصىتين كانت العرب تحب الفحل من الغنم لتذهب لحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجهين وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فإذا أدام الشاب للريد العمل وأذاب نفسه في

فان لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه <sup>(١)</sup>» وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب <sup>(٢)</sup> فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فانه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية الموتى قالها ثلاثا» ثم قال : إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله <sup>(٣)</sup>» ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلسا أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه <sup>(٤)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا <sup>(٥)</sup>» . وسلمت أم هانيء على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له أم هانيء فقال عليه السلام مرحبا بأم هانيء <sup>(٦)</sup>» . ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فان ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء «أن رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار <sup>(٧)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة <sup>(٨)</sup>» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة <sup>(٩)</sup>»

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فيجلس فانه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شيبة ورجاله ثقات وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى الدين في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخصر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له حجة (٢) حديث أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بلفظ فلم يرد عليه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية آليت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد اللائي (٥) حديث ممن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سلمت أم هانيء عليه فقال مرحبا بأم هانيء مسلم من حديث أم هانيء (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا .

العبادة تقبل عليه خواطر النفس وأيضا شغله بالعبادة يميز له خلوة العامة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة واليسر في العمل فيغار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينمكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن إنابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المضمومة للسودية إلى الدل والموان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع



وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » (١) وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته » (٢) . ومنها تسميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمكم الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم » (٣) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم » (٤) . وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشمت آخر فساءله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت » (٥) وقال ﷺ « يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام » (٦) . وروى أنه شمت عاتسا ثلاثا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم » (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستر بثوبه أويده » (٨) . وروى خر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله » (٩) . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها » (١٠) .

في الصمت مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلاف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمكم الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشمت آخر فساءله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكام أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاتسا فعطس أخرى فقال إنك مزكوم مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غص صوته وستر بثوبه أويده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خر وجهه وفاه (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب التفات الحاضر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفخاذ النساء لا يفلح ولا شك أن للمرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر وعجة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد اللاتين أبيضت العزوبة لأمتي » فإن توالى على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستمن بآفة أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته (١) » وقال عليه السلام « العطاس من الله والثاؤب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه فإذا قالهاها فإن الشيطان يضحك من جوفه (٢) » وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس - بأن يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناذك قال أناجليس من ذكرني فقال فأنناكون على حال نجلك أن تذكرك عليها كالجناية والغائط فقال اذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمنين مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إننا لبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرون بالحسنة السيئة - أي الفحش والأذى بالسلم والمداراة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فضه (٣) » وفي الخبر « ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة (٤) » وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزابلوهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة المساكين (٥) » وقال كعب الأبحار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل السجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأبحار ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا المساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوتى ، قيل ومن اللوتى يا رسول الله ؟ قال الأغنياء (٦) » وقال موسى إلهي أين أبغيك قال عند المنكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله له في حسن الاختيار ويطوف على الأحياء والأموات وللساجد والشاهد ويستعظم الأمر ولا يدخل فيه بقلة الاكتراث فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر السكاء بين يديه في الحلوات ويكرر الاستخارة وإن رزق القوة والصبر حتى يستعين به من فضل الله الخيرة في ذلك فهو السكال والتمام قد يكشف الله تعالى للصادق ذلك منأ أو إطلاقا في منامه أو يقظته أو على لسان من يثق إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لا يشير إلا على بصيرة وإذا حكم لا يحكم إلا بحق فند

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بنسند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والثاؤب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره الثاؤب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضمفه (٥) حديث اللهم أحني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوتى قيل وما اللوتى قال الأغنياء الترمذي وضمفه والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لا تضبطن فاجرا. نعمة فانك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا<sup>(١)</sup>» وأما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة<sup>(٢)</sup>» وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعه<sup>(٣)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة<sup>(٤)</sup>» وقال عليه السلام «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه<sup>(٥)</sup>». ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «الؤمن يحب المؤمن كما يحب لنفسه<sup>(٦)</sup>» وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليحطه عنه<sup>(٧)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره<sup>(٨)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة [١]» وقال صلى الله عليه وسلم «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين<sup>(٩)</sup>» وقال عليه السلام «من فرج عن مؤمن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة<sup>(١٠)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قيل كيف ينصره ظالما قال يمنع من الظلم<sup>(١١)</sup>» وقال عليه السلام

(١) حديث لا تضبطن فاجرا نعمة الحديث البخارى في التاريخ والطبرانى في الأوسط والبيهقى في الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترحما ولا بن جبان في الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب المؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى في التاريخ والطبرانى والحرائطى كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسلا (٩) حديث من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف في مسجدى هذا شهرين والطبرانى في الأوسط من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أمان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحرائطى في مكارم الأخلاق وابن جبان في الضعفاء وابن عسدى من حديث أنس بلفظ من أغاث ملهوفا (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تخريجا في نسختنا ووجدنا الشارح نقل عن المراقى أنه رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسلا .

ذلك يكون تزوجه مدبرا معاناه فيه . ومعنا أن الشيخ عبد القادر الجيلى قال له بعض الصالحين لم تزوجت ؟ فقال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتر إلى واستخاره فيكشفه الله بتنبيه إياه في منامه وأمره هذا لا يصحكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب العزبة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لى ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غما أو يقضى عنه ديناً أو يطعمه من جوع»<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمناً من منافق يفتنه بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحمى لحيته من نار جهنم» [١] وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم»<sup>(٣)</sup> وقال معروف السرخسي من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبته الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبته الله من الأبدال . وبكى على بن الفضل يوماً فقيل له ما يبكيك ؟ قال أبكي على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة والاسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو ونعماً تحياتكم المصافحة» وقال عليه السلام «من عاد مريضاً قعد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل»<sup>(٤)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً في الجنة»<sup>(٦)</sup> وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعوادته فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعنا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى طي إن توفيته أن أدخلك الجنة وإن أنا شفيتك أن أبدل لك لما خيرا من الجمود ما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته»<sup>(٧)</sup> وقال رسول الله صلى الله

الزوجة مدة من الزمان ولا أجترى على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج - ومن يتقى الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه واردمن الله تعالى ياذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الاذن واستغفد جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حفظه من الله تعالى ويمن عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لعباد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث طي ولم يسنده ولده في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضاً قعد في مخارف الجنة الحديث أمهات السنن والحاكم من حديث طي من آتى أخاه السلم عائداً مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه ومحمده الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال انعمس فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها للطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قعد عنده غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنفع فيها (٦) حديث إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً في الجنة الترمذى وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذى غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي ضعفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حمى مؤمناً قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

عليه وسلم « من رد الله به خيرا يصب منه <sup>(١)</sup> » وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فصادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا <sup>(٢)</sup> » ودخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطى إحداهن <sup>(٣)</sup> » ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شكأ أحدكم بطنه فليسل امرأته شيئا من صدقها ويشتري به عسلا ويشربه بماء السماء فيجتمع له المني والري والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرتني لتقبض روحي في مرضي هذا فأجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى <sup>(٤)</sup> » وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة <sup>(٥)</sup> » وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة للمريض مرة سنة لما ازدادت فنافقه ، وقال بعضهم عيادة للمريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العيادة وأربعوا فيها <sup>(٦)</sup> » وحمله أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازته قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان <sup>(٧)</sup> » وفي الخبر « القيراط مثل أحد <sup>(٨)</sup> » ولما روى أبو هريرة هذا الحديث ومعه ابن عمر ملكين فقال انظرا ما يقوله لعمري أنه الحديث مالك في الوطأ مرسل من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير التقي ضعيف الحديث والبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدك المؤمن فله شكى إلى عواده أطلته من إسارى ثم أبدله لما خيرا من لحمه وما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل وإسناده جيد <sup>(٩)</sup> حديث من رد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة <sup>(١٠)</sup> حديث عثمان مرضت فصادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . <sup>(١١)</sup> حديث دخل على علي وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشكى ولم يسم عليا وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات <sup>(١٢)</sup> حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات <sup>(١٣)</sup> حديث عيادة المريض فواق ناقة ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة <sup>(١٤)</sup> حديث أغبوا في العيادة وأربعوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف <sup>(١٥)</sup> حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة <sup>(١٦)</sup> حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

تقل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وتقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر الزواج حتى لم يكن يغلو عن زوجتين أو ثلاث فتوبت في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نقذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء

قال لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة والقصد من التشيع قضاء حق المسلمين والاعتبار وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإناراعون موعظة بليغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخرا لعقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو سكي ويقول والله لا تتر عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم ما صنعت حيا . وقال الأعمش كنا شهد الجنازة فلاندرى لمن نغزى لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لوترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجما من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قدرأى ومهارة الموت قد ذاق وخوف الحاتمة قد آمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع لليت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله (١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصد من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال عليه السلام « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفزع منه (٢) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكي وبكى فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمينة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذنلى واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة (٣) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكي حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجما منه صاحبه لما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد (٤) » وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرة تقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لى ؟ وقال أبو ذر الأخرى يوم قبرى يوم أوضع فى قبرى ، وكان أبو الدرداء يعد إلى القبور فيقول له فى ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكروننى معادى وإن قتلت عنهم لم يشتابونى وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « مامن ليلة إلا وينادى مناد بأهل القبور من تبطون قالوا تبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره (٥) » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدده حفرة من حفر النار وكان الريح بن خيثم قد حفر فى داره قبرا فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب ارجعنى لملى أعمل صالحا فيما تركت - ثم يقول ياربى قد رجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال يميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى قداهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنعم من صار إلى هذه القبور وقد أمن عذاب الله . وآداب العزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم . وآداب تشييم الجنازة لزوم الحشوع وترك الحديث وملاحظة الميت والتفكير فى الموت والاستعداد له

الراسخين فى العلم أحوال فى دخولهم فى النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والراقبات والرياضات تطمئن قوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب إقبال وإدبار يقول بعضهم : إن للقلوب إقبالا وإقبالا فإذا أدبرت روح بالارفاق وإذا أقبلت ردت إلى الشياق فتبقى قلوبهم دأمة الإقبال إلا اليسير ولا يدوم إقبالها إلا لطمانية النفوس وكفها عن المنازعة وترك التثبت فى القلوب فإذا اطمأنت النفوس واستقرت عن طيشها وغورها وشراسها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن فى أداء الحق إقناعا وفى أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يسمون بالنيكاح اللباح إيصالا إلى النفس حظوظها لأنها مازالت

(١) حديث يتبع لليت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبر أفزع منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر الحديث فى زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبى هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قمام عمر فقدها بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث مامن ليلة إلا ينادى مناد بأهل القبور من تبطون فيقولون تبط أهل المساجد الحديث لم أجده أصلا .

وأن يمشى أمام الجنائز بقرعها والاسراع بالجنائز سنة (١) فهذه جمل آداب تنبه على آداب العاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدري لعله خير منك فانه وإن كان فاسقا فلعله يغتم لك بمثل حاله ويغتم له بالصلاح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله ولا تبدل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في العداوة ويذهب دينك ودينك فيهم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فمادى أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لعقوبة الله وعقوبته بصيائهم فحسبهم جهنم يصلونها فمالك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثناهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في القرب والسركا في العلانية فذلك طمع كاذب وآتى تظفر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال القرض ولا تمل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أبا منهم حاجة قضها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعابه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه غايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تعيين على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعد بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يبرؤوك فكل أمرهم إلى الله واستعد بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موصفا في قلوبهم فافقه المحب والبغض إلى القلوب وكن فيهم جميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فانهم لا يقبلون عثرة ولا ينفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على القير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والقيان ولا يعفون يغفرون الاخوان على الاخوان على النيمة والبهتان فضيحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهرهم اللق وإن سخطوا فباطنهم الحق لا يؤمنون في حقهم ولا يرجون في ملقهم فظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب اللون يحسون عليك العثرات في محبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعمل على مودة من لم تجربه حق التجربة بأن تصبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فإن رضيت في هذه الأحوال فاتخذته أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العاشرة مع أصناف الخلق .

### (حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنائز متفق عليه من حديث أبي هريرة اسرعوا بالجنائز الحديث .

تخالف هو اها حتى صار  
داؤها واءها وصارت  
الشهوات الباحة  
واللذات الشرعة  
لا تضرها ولا تفرعها  
عزائمها بل كذا وصات  
النفوس الزكية إلى  
حظوظها ازداد القلب  
انشراحا وانفسا  
ويصير بين القلب  
والنفس موقاة يطف  
أحدهما على الآخر  
يزداد كل واحد منهما  
عما يدخل على الآخر  
من الحظ كلا أخذ  
القلب حظه من الله  
خلع على النفس خلع  
الطمأنينة فيكون  
مزيد السكينة للقلب  
مزيد الطمأنينة للنفس  
وينشد :  
إن السماء إذا اكتست  
كست الثرى  
حلا يدبجها القمام  
الرام  
وكما أخذت النفس  
حظها تروح القلب  
تروح الجار للشفق  
براحة الجار . سمعت  
بعض الفقهاء يقول :  
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أحسن مجاورة من جاورك تسكن مسلماً » (٢) وقال النبي ﷺ « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « أول خصمين يوم القيامة جاران » (٦) وقال عليه الصلاة والسلام « إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت » (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ فله اذهب فإن هو عصي الله فيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار » (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرع متاعك في الطريق قال فجعل الناس يعمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال لمرء متاعك فوالله لأعود » (٩) وروى الزهري « أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعين داراً جار (١٠) » قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأوماً إلى أربع جهات وقال عليه السلام « الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها ويسمى نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها وعين السكن سعة وحسن جوار أهلها وشؤمها ضيقه وسوء جوار أهلها وعين الفرس ذلة وحسن خلقه وشؤمها صعبته وسوء خلقه » (١١) .

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبخاري في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدى من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تسكن مسلماً تقدم (٣) حديث مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عامر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرع متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعين داراً جار أبو داود في اللراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث الجن والشؤم في المرأة والسكن والفرس فيمن للمرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في الفرس والمرأة والسكن وللترمذي من حديث حكيم ابن معاوية لشؤم وقد يكون الجن في الدار والمرأة والفرس ورواه ابن ماجه فجاه محمد بن معاوية للطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ماسوء الدار قال ضيق ساحتها وخبت جيرانها .

معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لا تصلح إلا لعالم رباني وكم من مدع يهلك بتوهمه هذا في نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولا ينقص والعبد إذا كمل علمه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجليل يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وجمع بعض العلماء بعض الناس يظمن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كلون كثيراً فقال وأنت أيضاً لو جمعت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأى شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما



واعلم أنه ليس حق الجوار كنف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كنف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكتفى احتمال الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بحجابه التي يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لمعنى معروفه وسد باباه دوني وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركه وكان يجلس في ظل داره فقال مالئت إذا بحرمة ظل داره إن باعها بعدما قد دفع إليه عن الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له لو اتقنت هرا فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسي ، وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويمزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجنع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فثائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يعمله إلى داره ويستمر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرخته إذا نابه نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمة ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعنته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عدته وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزته ولا تستعمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بأذنه ولا تؤذنه وإذا اشتريت فأكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله (١) » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعظامه يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضعيتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على يابه والآخر ناء

قيل فما سوء الدابة ؟ قال منعها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلاهما ضعيف وروينا في كتاب الحيل للديلماسي من رواية سالم بن عبد الله مرسلا إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعنته وإن استقرضك أقرضته الحديث الحرائطي في مكالم الأخلاق وابن عدى في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلامه يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر الرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون . وكان سفيان ابن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء وقد ذكر في أخبار الأنبياء أن عابدات ابتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لنبي ذلك الزمان فقال نعم الرجل لو لأنه تارك لشيء من السنة فمضى ذلك إلى العابد فأفهمه فقال ما تنفعني عبادتي وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم إنك تارك التزوج فقال ما تركته لأنني أحرمه وما منعني منه إلا أنني فقير لشيء لي وأنا عيال على الناس يطعمني هذامرة وهذا مرة فأكره أن تزوج

يباه عنى وربما كان الذى عندى لا يسمعهما فأيهما أعظم حقا قال القبل عليك يباه (١) ورأى الصديق ولله عبد الرحمن وهو يباهى جارا له فقال لا تناس جارك فان هذا يبق والناس ينهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابورى : سألت عبد الله بن المبارك قلت الرجل المجاور بأئني فيشكو غلامى أنه أتى إليه أمرا واللام ينكره فأكره أن أضربه ولله برى وأكره أن أدعه فيجد على جارى فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فإذا شكك جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أدرضيت جارك وأدبت على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجمع بين الحقين . وقالت عائشة رضى الله عنها خلال للكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أياه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل وللصانع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتذم للجار والتذم للمصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من سعادة المرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء » (٣) وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله « كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعهم يقولون قد أسأت قد أسأت » (٤) وقال جابر رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه » (٥) وقال أبو هريرة رضى الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى » (٦) وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يضمن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره » وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عسله قبل وماعسله قال يعجبه إلى جيرانه » (٧) .

(١) حديث عائشة قلت يا رسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخارى (٢) حديث أبي هريرة يانساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى (٣) حديث إن من سعادة المرء السلم للسكن الواسع والجار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أحمد والطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الحرائطى في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف وابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبي هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الحرائطى في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يضمن أحدكم جاره أن يفرز خشبه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله به خيرا عسله أحمد من حديث أبي عتبة الحولاني ورواه الحرائطى في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحلق زاد الحرائطى قبل وماعسله قال حبيه إلى جيرانه وقال البيهقي يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .

بأمرأة أعرضها أو أرفقها جهدا قال له النبي عليه الصلاة والسلام وما عتقك إلا هذا قال نعم قال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبد الله بن مسعود يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا وما ذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء إلا التاهلين . وقيل إن يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها وقيل إن عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له . وقيل إن ركة من متأهل خير من سبعين ركة من عزب أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم القومى القزويني قال أنا أبو طلحة القاسم

( حقوق الأقارب والرحم )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شقق لها اسمي من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بقتة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه (٢) » وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتيق الله وليصل رحمه » وقيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أنعام لله وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر (٣) » وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها (٥) » وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون جفارا فنعمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم (٦) » وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج فقال عليه السلام « إن الله قد منحنى من بني مدلج بصلتهم الرحم (٧) » وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم (٨) » وفي رواية أفأصلها قال نعم صليها وقال عليه السلام « الصدقة على الساكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان (٩) » ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمحاط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتالوا البرحق تنفقوا مما تحبون - (١٠) قال يا رسول الله هو في سبيل الله وللفقراء وللساكين فقال عليه السلام « وجب أجره على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح (١١) »

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتيق الله وليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليتيق الله وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بن اسناد جيد (٣) حديث أي الناس أفضل فقال أنعام لله وأوصلهم لرحمهم أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان ومحمد (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكر والحرايط في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج فقال إن الله منحنى من بني مدلج بصلتهم الرحم الحرايط في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في لباب الإبل وهو مرسل صحيح الاسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صليها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على الساكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمحاط كان له يسجبه عملا بقوله تعالى - لن تتالوا البرحق تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب قال ثنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن سلمة القطان قال ثنا أبو عبد الله بن محمد يزيد بن ماجه قال ثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النكاح سقن لمن لم يعمل بسقن فليس مني فتزوجوا فإني مكاره بكم الأم ومن كان ذا طول فليتكح ومن لم يجد فليته بالصيام فإن الصوم له وجاء » ومما ينبغي للتأهل أن يحذر من الافراط في المخالطة والمعاشره مع الزوجه إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته فإن الافراط في ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة . وللتأهل بسبب الزوجه فتنان فتنه لموم حاله وقتنه

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصنع عن ظلمك»<sup>(١)</sup> وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

### (حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم «لن يجزى ولد والله حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه»<sup>(٢)</sup> وقد قال صلى الله عليه وسلم «برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله»<sup>(٣)</sup> وقد قال ﷺ «من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما»<sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم»<sup>(٥)</sup> وقال ﷺ «برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك»<sup>(٦)</sup> وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعق كنيته بارا ومن برى وعق والديه كنيته عاقا ، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يرق له فأوحى الله إليه أتعظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم «ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء»<sup>(٧)</sup> وقال مالك بن ربيعة بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أرملة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف للطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والدك أحد ، قال أمي قال قابل الله في رها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتبر ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسناده ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك النساء من حديث طارق الحارثي وأحمد والحاكم من حديث أبي رزمة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منفعة عن جده وله والترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أحق الناس بمحسن الصلابة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك لفظ مسلم (٧) حديث ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين .

لخصوص حاله فقتنة عموم حاله الإفراط في الاهتمام بأسباب اللبشة . كان الحسن يقول : والله ما أصبح اليوم رجل بطبع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه في النار . وفي الخبر «يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يسيرون بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل في الدخائل التي يذهب فيها دينه فيهلك» . وروى أن قوما دخلوا على يوس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ماكت فصجوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فإني سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقبي به في الآخرة ففجله لي في الدنيا فقال إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بدو عاتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإفاد عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه بعد أن يولى الأب <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الولد ضعفان <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط <sup>(٤)</sup> » . « وسألهم رجل فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والدك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره <sup>(٦)</sup> » أي لم يجعله على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم في العطية » وقد قيل ولذكر عمتك تشمها سبما وخادمك سبما ثم هو عدوك أو شريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزله فراغه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأبكتك أعوذ بأقمن فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة <sup>(٧)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه <sup>(٨)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة بقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه <sup>(٩)</sup> » وقال قتادة إذا ذبحت المقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأدجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الحيط ثم يفسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي على من بر أبوي شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل وده أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث بر الوالدة على الولد ضعفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث لم أقفله على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والدك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فكما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر التوقاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكما أن لوالدك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطني في الملل إن الأصح وقفه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث على بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه التوقاني من رواية الشعبي مرسل (٧) حديث أنس الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزله فراغه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأبكتك أعوذ بالله من فتنك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة بقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه أصحاب السنن من حديث سمرة قال الترمذي حسن صحيح .

فترى جيت بهلوانا صابر  
على ماترون فاذا أفرط  
الفقير في الداراة ربة  
تعدي حد الاعتدال  
في وجوه اللبشة متطلبا  
رضا الزوجة فهذا فتنة  
عموم حاله . وقتنة  
خصوص حاله الافراط  
في المجالسة والمخالطة  
فتنطلق النفس عن  
قيد الاعتدال  
وتسرق الفرض بطول  
الاسترسال فيستولي  
على القلب بسبب  
ذلك السهو والفتنة  
ويستجلس مقار للهلة  
فيقل الوارد لقلة  
الأوراد ويتكدر الحال  
لاهمال شروط  
الأعمال وألطف من  
هذين الفتنتين فتنة  
أخرى تختص بأهل  
القرب والحضور وذلك  
أن للنفس امتزاجا  
وبرابطة الامتزاج  
تتمتد وتمتد  
وتتطرى . طبيعتها  
الجامدة وتلتهم نارها  
الحامدة فدواء هذه  
الفتنة أن يكون للتأهل

أنسده ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢) ونثر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره قزل حمله وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أهمله حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداها التقرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتطمين لأمته . وقال ﷺ « ربح الولد من ربح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال : يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين مमार قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لم أرض ذليلة ومما ظلية وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم بمنحوك ودم وبجوك جهدم ولا تكن عليهم قلا قتيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ققاصه إياها على الشطر فهذه الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقوقهما تعرف مما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنصان بافترادك عنهما بالطعام فليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورعا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا باذنها والمباداة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام قل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم قل إلا إذا حكنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فليسه الهجرة ولا يتقيد بحق

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال من لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية له أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسه ويقول لو كان أسامة جارية لحيتها ولكسوتها حتى أفقها وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره ﷺ قزل حمله وقرأ قوله تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معا عشيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النساء من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربح الولد من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن على ضعيف .

عند المجالسة عينا  
باطنان ينظر بهما إلى  
مولاموعيانا ظاهرا  
يستعملهما في طريق  
هواه . وقد قالت رابعة  
في معنى هذا نظما :  
إن جلتك في القواد  
محدثي  
وأبحت جسمي من  
أراد جلوس  
فالجسم من المجلس  
مؤانس  
وحبيب قلبي في القواد  
أنيس .  
والطف من هذا فتنة  
أخرى يخشاها المتأهل  
وهو أن يصير للروح  
استرواح إلى لطف  
الجمال ويكون ذلك  
الاسترواح موقوفا  
على الروح ويصير  
ذلك وليجة في حب  
الروح الخصوص  
بالخلق بالحضرة الالهية  
فتلبك الروح وينسد  
باب الزيد من الفتوح  
وهذه البلادة في الروح  
بما الشعور بها فلتحذر  
ومن هذا القيل  
دخلت الفتنة على طائفة

الوالدين قال أبو سعيد الخدري «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبواك قال نعم قال هل أذنالك؟ قال لا فقال عليه السلام فارجع إلى أبويك فاستأذنهما فإن ضلّا فجاهدوا وإلا فبرهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد<sup>(١)</sup>». «وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشير في الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال فإز مها فإن الجنة عند رجلها<sup>(٢)</sup>». «وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ماجئتك حتى أبكيك والديّ فقال ارجع إليها فأضحكهما كما أبكيتهما<sup>(٣)</sup>» وقال عليه السلام «حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده<sup>(٤)</sup>» وقال عليه السلام «إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه<sup>(٥)</sup>»

## (حقوق المملوك)

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح فأما ملك العيّن فهو أيضا يقتضى حقوقا في العاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء للمكهم إياكم<sup>(٦)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق<sup>(٧)</sup>» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة<sup>(٨)</sup>» وقال

(١) حديث أبي سعيد الخدري هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم باليمن أبواك؟ قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ (٢) حديث جاء آخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستشير في الغزو فقال ألك والدة فقال نعم قال فإز مها فإن الجنة تحت قدمها النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جهمّة أن جهمّة أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ماجئتك حتى أبكيك والديّ فقال ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد (٤) حديث حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في الراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلًا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث عليّ كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبي ذر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يظلمهم فإن كلفتموهم فأعينوهم لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لا يملك من مملوككم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لا يلبسكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى وإسناده صحيح (٧) حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة أحمد مجموعا والترمذي مفرقا وابن ماجه مقتصرًا على سيء الملكة من حديث أبي بكر وليس

قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال وليجة في الحب يتولد منها بِلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الإلهية لما ظنك فيمن يدعى ذلك في باب غير مشروع يفره مكنون النفس فيظن أنه لو كان من قبيل الهوى ما سكنت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دائماً بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على آتى استبحنت عما يتلى به المفتونون بالمشاهدة فوجدت الحمى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا المعنى قال الأطباء الجماع يسكن هيجان العشق وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة (١) » وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيعه وضع عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك فانما هو أخوك روحه مثل روحك فحملة ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه . وقالت جارية لأبي الدرداء إني مميتك منذ سنة لما عمل فيك شيئا فقال لم فصمت ذلك فقالت أردت الراحة منك فقال أذهبني عنى فأنت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخراك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس بمن تطلعت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل لما بلغ من حلمه ؟ قال بينا هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فقمره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها أنت حرة لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولائك مولائك يصحى مولاه وأنت تصحى مولائك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستجبل على جاريته بالعشاء فبجأت مسرعة ومعهما قصعة مملوءة فمشرت وأراقها على رأس سيدها ميمون فقال يا جارية أحرقتني قالت يا معلم الحير ومؤدب الناس أرجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاذمين النيط - قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس - قال قد عفوت عنك قالت زد فإن الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حرة لوجه الله تعالى . وقال ابن النكدر « إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم ينفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك بوجه الله فلم تنفقه فلما رأيته أمسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لولم تفعل اسفعت وجهك النار (٢) » وقال مالك « العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين (٣) » ولما عتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مملوك وذو ثروة لا يعطى حق الله وفقير فخور (٤) » وعن أبي

للمشوق فليعلم أن مستند الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه قن للتأهل وقتة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا سنع الخاطر يمحوه بحسن الانابة واللباذ بالحر بومق سامر الفكر كشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر حساس العضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما أقبح مثل هذا بالصالح للتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة الحال وقد قيل مرور الفاحشة بقلب الصارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم . [الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولا وإثارا] قال الله تعالى - فبشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والمان وهو ضيف وحسن الترمذي أحد طريقه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن النكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد الحديث ابن المبارك في الزهد مرسل وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لولم تفعل للفتحت النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين متفق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأتوا ثلاثة يدخلون الجنة والشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده



مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب غلاماً لي إذ سمعت صوتاً من خافي أعلم يا أبا مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقيمت السوط من يدي فقال : والله لله أقدر عليك منك على هذا <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه <sup>(٢)</sup> » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله لقمة <sup>(٣)</sup> » وفي رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليتناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليلق كل هذه . » ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه عمليين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران <sup>(٤)</sup> » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته <sup>(٥)</sup> » فجعلت حق المملوك أن يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقديره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يسئل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصيا فلا يسأل عنهما وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفها مؤنة الدنيا فترجعت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينزع الله رداؤه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله <sup>(٦)</sup> » ثم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلقة .

### ( كتاب آداب العزلة )

( وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحق في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزله كل من طوبى الحبيب عن مجارى فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاماً لي سمعت صوتاً من خلفي أعلم يا أبا مسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق إسناد ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل كل معه فإن أتى فليتناوله وفي رواية إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكارم الأخلاق للخرائطي باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخاري (٤) حديث من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

( كتاب العزلة )

( الباب الأول في نقل المذاهب والحجج فيها )

عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب - قيل أحسنه أى أهده وأرشدته وقال عز وجل - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - هذا السماع هو السماع الحق الذى لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين تفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار وتارة يثير شوقاً والشوق حار وتارة يثير دماً والندم حار فإذا آثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء يرد اليقين أبكى وأدمع لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصر إماماً فإذا ألم السماع بالقلب تارة تخف إمامه فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل أحدهما على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصحة من فضيلة المخالطة وللؤاخاة وللؤلفة يكاد يناقض ما مال إليه أكثرهم من اختيار الاستيعاش والحلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم باين . الباب الأول : في تقل للذاهب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

( الباب الأول في تقل للذاهب والأقاول وذكر حجج الفريقين في ذلك )

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الحواري ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاوناً على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، ولما توارى عن العامة من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الليل فانتقل الآن لمطالقات تلك الكلمات لتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التمرس للغوائل والفوائد فنقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وباللوت واعظا وقيل اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً . وقال أبو الريح الزاهد لداود الطائي عظمي قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأمد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشق في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شارب من العلوية فكسب معنا سبعا لاسمع له كلاما قلناله يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا تترك مخالطتنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول :

قليل المم لا وله يموت ولا أمر يحاذره يموت

قضى وطر الصبا وأفاد علما قضايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وكذا قال الريح بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويهود الرضى ويصطلي الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتبأ للمرء أن يغرب كل عذره وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم على وإذا مرضت أن لا يودني وقال أبو سليمان الداراني بينا الريح بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فركبته فشججه فجعل يسبح الدم ويقول لقد وعظمت ياربع فقام ودخل داره فأجلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا بآتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة

أثره في الجسد وتقشعر منه الجلد قال الله تعالى - تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - وتارة بسظم وقسه ويتصوب أثره إلى فوق نحو الدماغ كالخبر للعقل فيعظم وقع للتجدد والحادث فتندفق منه العين بالسمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتعوج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطق القلب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال . روى أن عمر رضي الله عنه كان ربما مر بآية في ورده فتخففه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مرضا فالسمع يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن ضيعة كان من معرفتك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني وقال رجل لسهل أريد أن أصحبك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحه الآن وقيل للفضيل إن عاليا ابنك يقول لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني فبكي الفضيل وقال يابويع على أفلا آتئها فقال لأراهم ولا يروني وقال الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل السائلين إلى العزلة .

( ذكر حجج السائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها )

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية وبقوله تعالى - فألف بين قلوبكم - أمئن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والمراد بالألفة نزع القوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة لافتقار الحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف <sup>(١)</sup> » وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمتنع بسببه المؤلف ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وآلف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلباً للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شبرا خلع ربة الاسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميته جاهلية <sup>(٢)</sup> » وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام من عنقه <sup>(٣)</sup> » وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغير ذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لا اضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالحالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن المهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار <sup>(٤)</sup> » وقال عليه السلام « لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة <sup>(٥)</sup> » وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه <sup>(٦)</sup> » قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللبجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن المهجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين الخصوصيين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذا الحجة

(١) حديث للمؤمن ألف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصعبة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصلح زاد فيه الطبراني والذي يبدأ بالصلح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حدرود بن أبي حدرود وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتصموا الدماء عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتصر جلد العبد من خشية الله تحات عنه القنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها » وورد أيضا « إذا اقتصر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأشعار بالألحان وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منعك بلحقه بالقسق ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاذبان في طرفي الافراط والتفريط . قيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيدي وسري

والهرم وبعض صفر<sup>(١)</sup>» وروى عن عمر «أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين<sup>(٢)</sup>» وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا عمل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه<sup>(٣)</sup>» فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحق قرينة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا للمبار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يجعل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى «أن رجلا أتى الجبل ليتبع فيه فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الاسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما<sup>(٤)</sup>» والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة<sup>(٥)</sup>» واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال «إن الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد<sup>(٦)</sup>» وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة .

( ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة )

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعوا ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك يبركه العزلة وهذا ضعف لأن مخالطة الكفار لافائدة فيها لإدعوتهم إلى الدين وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يعمل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائقه ابن عدي وقال غريب اللين والاسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتبع فيه فجىء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عسعين بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديثه مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فررنا بشعب فيه عينة طيبة الماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سبعين عاما (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

السقطى وذو النون يسمعون فقال كيف أنكر السماع وقد أجازهم وصمعه من هو خير مني فقد كان جعفر الطيار يسمع وإنما النكر اللهو واللعب في السماع وهذا قول صحيح . أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ للقدس قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الخوافي قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال ثنا أبو بكر بن واثب وقال ثنا عمرو بن الحرث قال ثنا الأزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها «أن أبا بكر دخل عليها وعندها جريتان قضيتان وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بشوبه فاتهرها أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يأبأ بكر فاتهما أيام عيد»

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمسا لبركة أيدي المسلمين <sup>(١)</sup> » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد منعه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قد منعت وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس الخمس بركة أيدي المسلمين فشرب منه <sup>(٢)</sup> » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزلون - وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته - أمرهم بالعزلة « وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة <sup>(٣)</sup> » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أهل الله كلمته وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال « يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وأبك على خطيئتك <sup>(٤)</sup> » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي التقي الخفي <sup>(٦)</sup> » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمس الطهارة الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا التمر منقع في حياض الأدم قد منعه الناس بأيديهم الحديث وفيه فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسل ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام مرسل أيضا واصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيبهم ومغازي موسى بن عقبة أصبح المغازي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نطلق إلى أرض النجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا بيلاده الحديث (٤) حديث سأل عقبة بن عامر يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسعك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسولا صلى الله عليه وسلم يستتر بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسام » قد ذكر الشيخ أبو طالب للسكي رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب السكي يعتبر لو فور علمه وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتجربه الأصواب والأولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فتهو حرام ومن سمعه بمقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللغو فيؤمن سمعه بقلب يشاهد معاني قله على الدليل ويشهد طرفات الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذىهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم »<sup>(١)</sup> وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل بعيد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شرب طبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الخفي » إشارة إلى إثار الخمول وتوقي الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكأن من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكمن يخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض الأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل آخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس »<sup>(٢)</sup> فاذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقاساة بعضها ببعض ليتبين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ماضئنا من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودينية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلف من ارتكاب المنهى التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء . وأما الدينية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمه في الناس وطعم الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس في مرآته أو سوء ظنه أو نيمته أو محاسناته والتأذى بثقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوته السموات والأرض فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيرة إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن أحد من الخلوة إلا بالتسك بكتاب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل آخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو الشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه بالعملة وللترمذي والنسائي نحوه مختصراً من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء للترهدين البالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض المشتهرين به المهملين شروطه وآدابه للقيمين على الإصرار ونفصل الأمر فيه تفصيلاً ونوضح الماهية فيه تحريماً وتعليلاً فأما الدف والشابة وإن كان فيها في مذهب الشافعي فحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القيل قصائد الغزاة

تعالى والتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذي كرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالمزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوى فيه نور النبوة (١) فكان الخلق لا يحبونه عن الله فكان يدينه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليفه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن استغراق همه بالله فقال «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله» (٢) ولئن بسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهرا والاقبال على الله سرا إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يفتر كل ضيف بنفسه فيقطع في ذلك ولا يمد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه ، فقد نقل عن الجنيد أنه قال أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقا لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي الشهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدينه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه لم يشوش عليه أمرا من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالمزلة ، ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار المزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويدوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا وحدي أنا جالس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم ابن آدم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تهأت بالعيش إلا ههنا أفر بدني من شاحق إلى شاحق فمن يراني يقول موسوس أو حمر أو ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لاتضحك فما يمنعك من مجلسة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في مجلسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال له يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجلسة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن فقال له الحسن والحسن وما ذاك الشغل يرحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينا أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء بك قال جئت لأنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو ربّي وإذا رأيت الصبح أذكركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربّي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويمجوره في الآخرة وقال ذوالنون المصري سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقتل في جبل حراء وينعزل إليه متفق عليه من حديث عائشة نحوه فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج في وصف  
الغزو والحج مما يثير  
كامن العزم من الغاوى  
وساكن الشوق من  
الحاج وأما ما كان من  
ذكر القدود والحدود  
ووصف النساء فلا يلبق  
بأهل الديانات الاجتماع  
لكل ذلك وأما ما كان  
من ذكر المعجزات والوصل  
والقطعية والصد مما  
يقرب حمله على أمور  
الحق سبحانه وتعالى  
من تلون أحوال  
الريدين ودخول  
الآفات على الطالبين  
فمن سمع ذلك وحدث  
عنده ندم على ما فات  
أو تجدد عنده عزم  
لما هو آت فكيف  
يكون سماعه وقد قيل  
إن بعض الواجدين  
يقتات بالسباع ويتقوى  
به على الطير والوصال  
ويثير عنده من الشوق  
ما يذهب عنه لهب  
الجوع فإذا استمع  
العبد إلى بيت من  
الشعر وقلبه حاضره  
كان يسمع الحادى

فقد دل علمه وعمى قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى و يروى عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بباد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل على النظر إليك فقال يا هذا إنى أقت في هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفى فيه عمرى فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظى من أيامى في مجاهدة قلبى فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والافتراق فلما نظرت إليك خفت أن أتع في الأمر الأول فإليك عنى فإنى أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماء من طول اللبس في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نقض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لغيرى فترضى وأهلك فصرى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألقى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسن وجمع مهمهم في ذكره فلا شئ الله عندهم من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفى مثل ذلك قيل :

وإنى لأستنشئ وما بى غشوة لعل خيالا منك يلقى خياليا

وأخرج من بين الجلوس لعلنى أحدث عنك النفس بالسرخاليا

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ لملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن فى حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الله كذا الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات وعمرة للعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط فى كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

#### ( الفائدة الثانية )

التخلص بالزلة عن المعاصي التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى أربعة الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومشاركة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا . أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات وجوهها عرفت أن لا تتحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمن بأعراض الناس والتفكك بها والتنقل بمحلاتها وهى ظمئهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشهم فى الخلوة فإن خالطتهم وواققتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكا وللمستمع أحد القتاتين وإن أنكرت أبضوك وتركوا ذلك الغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة واتهوا إلى الاستخفاف والشم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه فى آخر هذا الرابع ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يحرمه طلب الخلاص منها إلى معاصى أكبر مما نهى عنه ابتداء وفى الزلة خلاص من هذا فإن الأمر فى إهماله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا وقال لا يها الناس إنكم تفرءون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم تفعلونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس للنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن أنى  
أسأت وقد تضاعفت  
الذنوب

فأما من هوى لىلى وحى  
زيارتها فإنى لأتوب  
فطاب قلبه لما يجده  
من قوة عزمه على  
الثبات فى أمر الحق  
إلى الممات يكون فى  
مماه هذا ذا كرا لله  
تعالى . قال بعض  
أصحابنا كنا نعرف  
مواجيد أصحابنا فى  
ثلاثة أشياء عند  
المسائل وعند الغضب  
وعند السماع . وقال  
الجيد تزل الرحمة  
على هذه الطائفة فى  
ثلاثة مواضع عند  
الأكل لأنهم يأكلون  
عن ذلة وعند المذاكرة  
لأنهم يتجاوزون فى  
مقامات الصديقين  
وأحوال النبيين وعند  
السماع لأنهم يسمعون  
بوجد ويشهدون حقا  
وسئل رويم عن وجد  
الصوفية عند السماع  
فقال يتنبهون للمعانى  
التي تعزب عن غيرهم



أوشك أن يعمهم الله بقباب (١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم » إن الله ليسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره فإذا لقن الله العبد حجة قال يارب رجوتك وخفت الناس (٢) وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إثارة للخصومات وتحريك لقوائل الصدور كاقيل :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البخضة للتصحيح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته ما لالنم لو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يصسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراً منهم ومن دارهم راءهم ومن راءهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فأنك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهم ما بوجه بواقعه صرت بغيفاً إليهما جميعاً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال عليه السلام « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٣) » وقال عليه السلام « إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٤) » وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يغفل ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سري لودخل على أخ لي فسويت لحقي يدي لدخوله لحشيت أن أكتب في جريدة الناققين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له ماجاء بك قال للؤانة يا أبا علي قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض الطغام ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاووس على الخليفة هشام فقال كيف أنت يا هشام فغضب عليه وقال لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك غشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض بانبثاب اسمه في جريدة الناققين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤا لهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللخاف كيف أنت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتها بعمل والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني وكان الريح بن خنيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا وقيل لأويس القرني كيف

(١) حديث أبي بكر إنكم تقرأون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم لتضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى إلى  
فيتنعمون بذلك من  
الفرح ويقع الحجاب  
لوقت فيعود ذلك  
الفرح بكاء فمنهم من  
يعزق ثيابه ومنهم من  
يسكي ومنهم من يصيح .  
أخبرنا أبو زرعة إجازة  
عن ابن خلف إجازة  
عن السلي قال سمعت  
أبا سهل محمد بن سليمان  
يقول للسمع بين  
استتار ونجل فالاستتار  
يورث التلهب والتجلى  
يورث الزيف فالاستتار  
يتولد منه حركات  
للريدين وهو محل  
الضعف والعجز والتجلى  
يتولد منه السكون  
للواصلين وهو محل  
الاستقامة والتحكين  
وكذلك محل الحضرة  
ليس فيه إلا الدبول  
تحت موارد الهيبة قال  
الشيخ أبو عبد الرحمن  
السلي سمعت جدي  
يقول المستمع ينبغي  
أن يستمع بقلب ونفس  
ميتة ومن كان قلبه  
ميتاً ونفسه حية لا يحل

أصبحت قال كيف أصبح رجل إذا أمسى لا يدرى أنه أصبح وإذا أصبح لا يدرى أنه أمسى . وقيل لمالك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضى حياتي لمعاني ولا تقضى لربي . وقيل للحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللغاف كيف أصبحت قال أصبحت أشتى عافية يوم إلى الليل قليل له ألت في عافية في كل الأيام فقال العافية يوم لأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبراً موحشاً بلامؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبي سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يموت ثم يموت بحاسب . وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم ديناً وهو ميعل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعا إليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحداً عن حاله أبداً وإنما فعل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مراثياً مناققا فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوا عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إنى لأعرف أقواماً كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وأرى الآن أقواماً يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عافاك الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاءوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت فما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت القدير كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس بخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي الزلة الخلاص من ذلك فإن من لقي الخلق ولم يخالفهم بأخلاقهم مقتوه واستقلوه واغتابوه وتشعروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستنقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيستقط وقعه واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغراً بطول المشاهدة أو شك أن تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غير استحقاق الصفات من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغروا عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتبع له من النعم وكذلك النظر إلى الطيعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتميز عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار ومادام يرى نفسه

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - الصوت الحسن وقال عليه السلام «فه أشد أذناً بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته» تقل عن الجنيد قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال منهم شيئاً فقال إنه يعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئاً إلا في وقتين قلت أي وقت قال وقت السماع وعند النظر فاني أسترق منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤاى لبعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحمق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أنزج أنت عليه شيئاً أو تظفر بشيء منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت «كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تفسير الطبع مجرد سماع الخير والشرف فلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو ابتعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكفاف عما هو ملائمه من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والفهم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالفهم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر للمعاصي واللعة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو للمعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على المحظوظ المأجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للشرع ومبدأ للمعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ أسقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشره علق بك من ريحه (٢) » فكما أن الريح يعلق بالتوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب للسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايته لثنتين : إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايته تهون على السامعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك اللصية فانه معها وقع فيها فاستكثر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حق العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام فكمن شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهاك على حب الرياسة وتزينها ويهون على نفسه قبورها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو أزمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالنزول على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - وضرب ﷺ لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال له يراعى اجرر لى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣) » وكل من يقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا وما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضى إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل أتى راعيا فقال يراعى اجرر لى شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسمعني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ما يسمع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمعتهم وذكر الشيخ أبو طالب السكي قال كان لعطاء جاريان تلحان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين أعدهن للصوفة وهذا القول ثقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلط إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقصها بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرر أو خاتما من ذهب أو شرب من إثناء فضة استبعدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اختياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة صماع النية ومشاهدة للفتاين أسقط وقصها عن القلوب وهون على النفس أمرها فظن لهذه الدقائق وفر من الناس فرارك من الأمد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك العصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تخارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالمرلة أو التقرب إليه بالخلاطة وإياك أن تحكم مطلقا على المرلة أو على الخلاطة بأن إحداها أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أو نم خلف من القول محض ولا حق في الفصل إلا التفصيل .

### ( الفائدة الثالثة )

(الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)  
وقلنا تغلوا البلاد عن تمصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبدالله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فأتأمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تصرف ودع ما تنكر عليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة (١) » وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاق إلى شاق (٢) » وروى عبدالله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق ومن جحر إلى جحر كالتلب الذي يروغ قبله ومضى ذلك يارسول الله قال إذا لم تنل للعيشة إلا بما صاى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال يبرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة (٣) » وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالمرلة مفهومة منه إذ لا يستغنى التاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى ولست

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخاري .  
(٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاق إلى شاق تقدم في النكاح .

— يعلم خاتمة الأعين وما تخفى الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للسك إلا مستغرب عجيب والتزهد عن مثل ذلك هو الصحيح .  
وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه كان حسن الصوت بالياحة على نفسه وبتلوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسامع صوته وكان يعمل من عمله آلاف من الجنائز . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مزارا من مزامير آل داود » .  
وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشرر لحكمة »  
« ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم يمشدون الشعر فقال يارسول الله قرآن وشعر فقال من

أقول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفه عينا بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على حجة يضاء فيبنهم كذلك يسرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فاسفروا فاعتزل سعد وجاعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم ويعتهم فقال لا تنتظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال إني أحدثك حديثا إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وغيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها أحد منكم أبدا وما صرفها عنكم إلا للذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتل أو أسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف لما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزمتم القصر وتركتم مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيها نكاح عما أنتم فيه عافية فإذن الحذر من الخصومات ومشاراة الفتن إحدى فوائد العزلة .

#### ( الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس )

فانهم يؤذونك مرة بالنية ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراء والأطباع الكاذبة التي يصر الوفاء بها وتارة بالنيحة أو الكذب وربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشرف إذا اعتزلتهم استغثت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والفت بالتأثر قبل المقال

ليس للقول رجمة حين يبدو بقبیح يكون أو بحمال

ولاشك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسى الظن به ويتوهم أنه يستعمل أعادته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه الحديث أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مقتصر على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بتحوه وإسنادهما حسن .

هذامرة ومن هذامرة  
وأشد النابغة عند  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم آياته التي فيها :  
ولا خير في حلم إذا لم يكن له  
بواد تحمي صفوه  
أن يكدر  
ولا خير في أمر إذا لم  
يكن له  
حكيم إذا ما ورد الأمر  
أصدرا

فقال له رسول الله صلى  
الله عليه وسلم  
« أحسن يا أبا ليلى  
لا يفضض الله فاك »  
فماش أكثر من مائة  
سنة وكان أحسن الناس  
ثمرا وكان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يضع لسان منبرا في  
المسجد فيقوم على المنبر  
قائما يهجو الذين كانوا  
يهجون رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ويقول  
النبي صلى الله عليه  
وسلم « إن روح القدس  
مع حسان مادام ينافع  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم » ورأى  
بعض الصالحين أبا

صيحة عليهم العدو واحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معايشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وعن يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء أخبر تفلح يروي مرفوعاً وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم ييلهم ثم بلاهم ذم من يحمدهم

وصار بالوحدة مستأنساً يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرن السوء . وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة فقال ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرج بقعة . وقال ابن السكيت كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجراً ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال إن سمع مني لم ينم علي وإن تفلت في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه لم ينضب فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء ، وكان بعضهم قد لزم الدفاتر وللقابر قيل له في ذلك فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضاً من أولياء الله فقال بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتماسك بستر الله علينا إني أخاف أن نصطبج فيرى بضنا من بعض ما تآقت عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء السر على الدين والروء والأخلاق والفقرو سائر العورات وقد مدح الله سبحانه التسترين فقال - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عار أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودينه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا يتبقى السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا عن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعزل الناس قال خشيت أن أسأب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرن السوء وقال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ماركبو اظهر بعير إلا أدبروه ولا ظهروا جواد إلا أعقروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه ، وقال بعضهم أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسهو الحقوق عنك لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

( الفائدة الخامسة )

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور الولائم والأملات وفيها تضييع الأوقات وتعرض لآفات ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعتذار فيقولون له فمت بحق .

المباس الحضر قال قلت له ما تقول في السماع الذي يختلف فيه أصحابنا ؟ فقال هو الصفا التزال لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء . وقل عن محمد الدينوري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً ؟ فقال ما أنكره ولكن قل لهم يفتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن قلت يا رسول الله إنهم يؤذون وينسبون فقال احتملهم يا أبا علي هم أصحابك فكان محمد يشتخر ويقول كنان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما وجه الانكار فيه فهو أن يرى جماعة من المريدين دخولاً في مبادئ الإرادة ونفوسهم ما عرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا وبصر ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد مريضا في وقت الميادة انتهى موته خيفة من تحجيلة إذا صح على تقصيره ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه التجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب  
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المروء إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طعمه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم <sup>(١)</sup> » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحمت . وحكى أن اللزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكب فبهره مارأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى - وجعلنا بضعكم لبعض فتنة أتصبرون - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يتلى بمثل هذه الثمن فإن من شاهد زينة الدنيا فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبث رغبته فيحتاج في طلب الدنيا فملك هلاكاً مؤكدا أما في الدنيا فالطمع الذي يحجب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له وأما في الآخرة فليأثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي : إذا كان باب الدل من جانب النقي سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

#### ( الفائدة السادسة )

الخلاص من مشاهدة القلاء والحق ومقاساة حقمهم وأخلاقهم فإن رؤية الثقل هي العمى الأصغر قيل للأعمش م عمشت عينك قال من النظر إلى القلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كريمته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما <sup>(٢)</sup> » فما الذي عوضك فقال في معرض اللطافة عوضني الله عنهما أنه كفاني رؤية القلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقل مرة فغشي على وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى القلاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل علي من الجانب الآخر . وهذه الفوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقل لم يأمن أن يقتابه وأن يستنكر ما هو صنع الله فإذا تأذى من غيره بغية أو سوء ظن أو محاسدة أو نغمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفيهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كريمته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب كريمته عوضه الله عنهما الجنة ولهوا لحمد نحموه من حديث أبي أمامة بسند حسن وللبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيتي ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عينيه .

صفات النفس وأحوال  
القلب حتى تنضبط  
حركاتهم بقانون  
العلم ويعلمون ما لهم  
وعليهم مشتغلين به  
حكى أن ذا النون لما  
دخل بغداد دخل عليه  
جماعة ومعهم قوال  
فاستأذنوه أن يقول  
شيئا فأذن له فأشدد  
القول :

صغير هواك عذبي  
فكيف به إذا احتسكا  
وأنت جمعت من قلبي  
هوى قد كان مشتركا  
ما ترني لمكتتب  
إذا ضحك الخلق بكى  
فطاب قلبه وقام وتواجد  
وسقط على جبهته والهم  
يقطر من جبهته ولا يقع  
على الأرض ثم قام  
واحد منهم فنظر إليه  
ذو النون فقال اتق  
الذي يراك حين تقوم  
فجلس الرجل وكان  
جالوسه لموضع صدقه  
وعلمه أنه غير كامل  
الحال غير صالح للقيام  
متواجدا فيقوم أحدهم  
من غير تدبر وعلم في

## (آفات العزلة)

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعى إليها ماهى وهى التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والابتناس ونيل الثواب وإثباته فى القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد المخالطة وهى سبع :

## (الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضلها فى كتاب العلم وهما أعظم العبادات فى الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضرورى فى الدنيا فالحاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة وإن تعلم القرض وكان لا يتأتى منه الخوض فى العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعزل وإن كان يقدر على التبرز فى علوم الشرع والعقل فالعزلة فى حقه قبل التعلم غاية الحسran ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعزل ومن اعزل قبل التعلم فهو فى الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر فى هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا ينفك فى أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من القصور يغيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا ينفك اعتقاده فى الله وصفاته عن أوهاهم يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون فى أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير فى عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العباداة فى الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لامحالة مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعليم فقيه ثواب عظيم مهما سمحت نية العلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك فى كتاب العلم وحكم العالم فى هذا الزمان أن يعزل إن أراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا الكلام مزخرف يستعمل به العوام فى معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إغلام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل فى معرض المناصاة واللباهاة وأقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهو لاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتان العلم منه وهذا لا يصادف فى بلدة كبيرة أ كثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم أن يكون إلا لله فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأ كثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمعاينة . واعلم أن العلم الذى أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فان فيها التخوف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فان لم يؤثر فى الحال أثر فى المال ، وأما الكلام والفقهاء المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متباديا فى حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه للتعلم رغبة فى الدنيا فيجوز أن يرخس فيه إذ يرجى أن ينزجر به فى آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب فى الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف فى الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف فى كلام ولا فى خلاف ولا فى مذهب فلا ينبغي أن يخادع الانسان نفسه فان القصر العالم

قيامه وذلك إذا سمع إيقاعا موزونا بسمع يؤدى ماسمعه إلى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع للوزون وينسب حجاب نفسه للنسب بابساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط النبض من الطبع فيقوم برقص موزوناً ممزوجاً بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ومحسب ذلك طية للقلب وما رأى وجه القلب وطيبته لله تعالى ولعمري هو طية القلب ولكن قلب ملون بلون النفس مبال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلى حسن النية فى الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ومثل هذا الراقص قيل الرقص نقص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسباب إذا انضاف



بقصره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل النبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجلاء وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء (١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتى أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحديث ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فاعلم يقول أوسعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيهاذا رغبت ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قد دركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما يمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليحه فالصواب له إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان الغلانية أعداء السر إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أذاك منهم كان عليك رقبيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل تقاق ونميمة وغلّ وخديعة فلا تفتربا اجتماعهم عليك فمأغرضهم العلم بل الجلاء والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحمارافي حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريهم وخادهم ووليم وتنهض لهم سفيا وقد كنت قريبا وتكون لهم تابعا خيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعترال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدي تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف إليهم ما يكفل برزق له على الإدرار ثم إن المدرس السكين قديمجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي الدل والشدائد مقاساة الدليل المهن حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويعتبه ويستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقتنه الميزون ونسبوه إلى الحق وقلة التميز والقصور عن درك مصارقات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن قاوت بينهم سلقه السفهاء بالأسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذهم ويفرقه عليهم في العقبي والعجب انه مع هذا البلاء كله يعنى نفسه بالأباطيل ويدلها بحبل القرور ويقول لها لا تفتري عن صنيحك فانما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لأمالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فهم يظهر الدين ويتقوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سببه إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم أعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء آثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد اللوك وما فسدت اللوك إلا بفساد العلماء فعوذ بالله من القرور والعصى فانه الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركاته  
بصرح التفاف بالتودد  
والقرب إلى بعض  
الحاضرين من غير  
نية بل بدلالة نشاط  
النفس من اللعاقبة  
وتقيل اليد والقدم  
وغير ذلك من الحركات  
التي لا يعتمد عليها من  
التصوفة إلا من ليس  
له من التصوف إلا  
مجرد زى وصورة أو  
يكون القوال أمرد  
تنجذب النفوس إلى  
النظر إليه وتستلذ ذلك  
وتضمخ خواطر السوء  
أو يكون للنساء إشراف  
على الجمع وتراسل  
البواطن للملوءة من  
الهوى بسفارة الحركات  
والرقص وإظهار  
التواجد فيكون ذلك  
عين الفسق المجمع على  
تخرجه فأهل المواخير  
حينئذ أرجى حالا ممن  
يكون هذا ضميره  
وحركاته لأنهم يرون  
فسقهم وهذا لا يراه  
ويريه عبادة لمن لا يعلم  
ذلك أفترى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخيلاء المعروف مارواه مطين في مسنده من حديث على بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء .

## ( الفائدة الثانية النفع والانتفاع )

أما الانتفاع بالناس في الكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كاذكرناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قائما لأقنعه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق الكسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لاعتناء أهوام وخيالات فاسدة . وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو يبيدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن افتتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فسر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

## ( الفائدة الثالثة التأديب والتأديب )

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذى كسرا للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدع عن حدود الشرع شهواته ولهذا اتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرعونة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو البدأ في الأغصار الحالية والآل قد خالطته الأعراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالا سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها أن تتخذ مركبا يقع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمعت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البيعة الميتة وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت ولا ينبغي أن يقتنع به كالراهب الذي قيل له ياراهب فقال ما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يسقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يعقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل لئلا هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فأنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يحايل طلب الدنيا من المريدین الطالبین للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبه العلم كثرة فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلو بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وإقبال أحدهما بالآخر داؤم ذلك يدرى بدق

أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكمن من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار النكر على المريد الطالب ينفعه عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من اللغو وتصير حركاته ورقصه من قبيل الباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات .

#### ( الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس )

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع العاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايع للمازجين لسمت التقوى وقد يتعاق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب تهيج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس بروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعل حق تعلموا (١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها للمازجة داعية للفترة وهذا على بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيضال فيه برفق دأب للتبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا محافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغنى العزلة إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشيد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول باصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعا فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتنفد أحوال القلب وأحوال الجاليس أو لا ثم ليجالس .

#### ( الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنالته )

أما النيل فبحضور الجنائز وعبادة الرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنالته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في المصائب أو يهنوه على النعم فاتهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بأقاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجع العزلة وقد ترجع المخالطة . فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة الرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

#### ( الفائدة السادسة )

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقا وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يملأ حتى تعلموا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصلوة .

والمداعبة وملاعبة  
الأهل والولد ويدخل  
ذلك في باب الترويح  
للقلب وربطها بذلك  
عبادة بحسن النية إذا  
نوى به استجمام النفس  
كما نقل عن أبي الدرداء  
أنه قال إني لأستجم  
نفسى بشي من الباطل  
ليكون ذلك عونا لى  
على الحق ولموضع  
الترويح كرهت الصلاة  
في أوقات ليستريح  
عمال الله وترفق  
النفوس ببعض مآربها  
من ترك العمل  
وتستطيب أوطان الليل  
والآدمى بتركه  
المختلف وترتيب خلقه  
المتنوع بتنوع أصول  
خلقته وقد سبق شرحه  
في غير هذا الباب لانتفى  
قواه بالصبر على الحق  
الصرف فيكون  
التفصح في أمثال  
ما ذكرناه من الباح  
الذى ينزع إلى هو ما  
باطلا يستعان به على  
الحق فان الباح وإن لم  
يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق تخالط الناس وتصبر على أذامهم فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكم من معزل في بيته وباعثه الكبر وامانه عن الحافل أت لا يوقر أولاً يقدم أو يرى الترفع عن مخالطهم أرفع لعله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس وقد بمنزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يستغفبه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والساطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لفيض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني إلا أنزين لك وتزين لى . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمر الذى زاره حاجي أن لا أراك ولا ترائى فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سيئه شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرم إليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعله أودينه إذ كان على رضى الله عنه يحمل الثمر والمخ في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص الكامل من كاله . ماجر من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الخطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو إلى المدينة والخطب على رأسه طرّقوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطنى أحمله فيقول صاحب الشيء أحق بحمله (١) » وكان الحسن بن على رضى الله عنهما يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثانى أن الذى شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئاً وأن ضرره وتعبه بيد الله ولا نافع ولا ضارّ سواء وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتال رضا الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غمًا . وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا لشيء أمر به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه وإن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرويه . وقال الشافعى رحمه الله ليس من أحد إلا وحب وعيب ومبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قومًا يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تنسج سقطات كلامك وتعنتيك بالسؤال فتبسم وقال للقائل هون على نفسك فإن حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الشيء ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطنى أحمله فيقول صاحب المتاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذى اشتراه .

الشرع لأن حدّ الباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون جهله مزيداً لعله وباطله مزيداً لحقه ودينه مزيداً لآخرته ولهذا المعنى جيب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ نفسه الشريفة للوهوب لها حظوظها الموفّر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقديسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من اللباحات المقبولة برخصة الشرع الرودة بعزيمة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متساوية بسمه العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ومن ذلك

علت أن خالطهم ورازقهم ومحيرهم ومخيرهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه سلم : يارب احبس عني ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسى فكيف أفصح بك وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزيز إن لم تطب نفسا بأن أجعلك علما في أفواء الماضين لم أكتبك عندي من للتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلمًا بحيث لو خالطه الناس لصاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقى فانها مهلكات في صور منجيات .

(الفائدة السابعة التجارب)

فانها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والعقل التريزى ليس كافيا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه للتجارب فالصبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدّر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الحلاء يسهو وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إسالتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يهركها فتال القلب للشجون بهذه الحباث مثال دمل يمتلى بالصديد والدة وقد لا يحس صاحبه بألمه مالم يتحرك أو يسه غيره فان لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يهركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقدته ولكن لو حركه عحرك أو أصابه مشرط حجام لا تهرب منه الصديد وفار فوران الشيء المتهنق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب للشجون بالحقود والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الدنيمة إنما تتفجر منه خباثاته إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم فن كان يستشعر في نفسه كبرا صمى في إماطته حتى كان بعضهم يحمل قرعة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ، ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصلها في الصف الأول ولكن تخلفت يوما بصدّر فها وجدت موضعاً في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سبقت إلى الصف الأول فقلت أن جميع صلواتى التى كنت أصلها كانت مشوبة بالرياء محزوجة بلغة نظر الناس إلى ورؤيتهم إياى في زمرة السابقين إلى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحباث وإظهارها ولذلك قيل السفسيفساء من الأخلاق فانه نوع من المخالطة الدائمة وستأتى غوائل هذه الامانى ودقائقها في ربيع الماسكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما مضى العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فاننا نعلم أن ما يراد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى (١) » فعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاث أوجه : أحدها ما ذكرناه والثانى عموم النفع لعمدى فائدته والعمل لا تمضى فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتبصير

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى تقدم في العلم .

من طريق القياس  
استماله على المصالح  
الدينية والدينية على  
ما أطلب في شرحه  
الفقهاء في مسألة  
التخلي لنوافل المبادات  
فاذا يخرج هذا  
الراقص بهذه النية  
التبرى من دعوى  
الحال في ذلك من  
إنكار النكر فيكون  
رقصه لاهله ولا له  
وربما كان بحسن  
النية في الترويح بصير  
عبادة سيما إن أضمر  
في نفسه فرحا بربه  
ونظر إلى شمول رحمته  
وعطفه ولكن لا يليق  
الرقص بالشيوخ  
ومن يقتدى به لما فيه  
من مشاهدة اللهو  
واللهو لا يليق بمنصبهم  
وبين حال التمكن  
مثل ذلك وأما وجه  
منع الإنكار في السماع  
فهو أن النكر للسمع  
على الإطلاق من غير  
تفصيل لا يخلو من  
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبه فالعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية المريد  
والعمل كالشرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم  
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرفع له إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرفع وهذا  
كلام معتز لا يليق بهذا الكلام . فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها  
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالفضل نجا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى  
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائق بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة ويقاس  
الفائق بالحاصل فمقد ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطأ  
إذ قال يونس الاتقياء عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكأن بين  
النقبض والنبسط فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد  
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل  
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره الخائف له في الحال والفرق بين العالم  
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا يجزم بتختلف أجوبتهم  
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك  
بما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن  
الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق  
في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد سئل عن الفقر فقال اضرب  
بكفيك الحائط وقل ربني الله فهو الفقر . وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يعارض وإن  
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان  
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر  
البلى والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله  
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم ثبت أحدهما  
لصاحبه قدما في التصوف أو ينفي عليه بل كل واحد منهم يدعى أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه  
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى  
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظره هؤلاء ما رأيت  
من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكى عن آخر أنه  
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد  
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يولد  
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطيطه صاحبه إذ ظن أن العالم كله ببلده أو هو مثل ببلده كما أن الصوفي  
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه  
بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها  
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورآها أفضل له  
وأسلم فما آدابها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة  
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي لأعمزل أن ينوي بعزله كفض شرفه عن الناس أولا ثم طلب  
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد  
بكنه المهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر

جاهل بالسنن والآثار  
وإما معتز بما أتبع  
له من أعمال الأخبار  
وإما جامد الطبع  
لا ذوق له فيصير على  
الإنكار وكل واحد  
من هؤلاء الثلاثة  
يقابل بما سوف يقبل ،  
أما الجاهل بالسنن  
والآثار فيعرف بما  
أسلفناه من حديث  
عائشة رضي الله عنها  
وبالأخبار والآثار  
الواردة في ذلك وفي  
حركة بعض المتحررين  
تعرف رخصة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
لحجبة في الرقص  
ونظر عائشة رضي الله  
عنها إليهم مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
هذا إذا سلمت الحركة  
من السكره التي  
ذكرناها وقد روى  
أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال لعلى  
رضي الله عنه أنت  
منى وأنا منك فحبل  
وقال لبعضه أشبهت

ليجنى ثمرة العزلة ولينج الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينغرس في القلب حتى يذبت في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات المأتمن قطع الوسواس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينايع الوسواس وأصولها وليقع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد صممه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملسكوت صواته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفئدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعى الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جلس صالح لتسريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة فيه عون على قية الساعات ولا يثم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهم من يكون فيه ولا يقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخى الأجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ولتتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم للموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وأنسه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولانحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد منها أدركه الموت مقبلاً غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه <sup>(١)</sup> » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يضنون جهاد النفس .

ثم كتاب العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

### ﴿ كتاب آداب السفر ﴾

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي فتح بصر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص مهمهم لمشاهدة عجائب منعمه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسع في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه المقتنين لأناره في الأخلاق والسير وسلم كثيراً .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصلوة .

( كتاب آداب السفر )

خلق وخلق فجعل وقال  
لزيد أنت أخونا ومولانا  
فجعل « وكان جعل  
جعفر في قصة ابنه حمزة  
لما اختصم فيها على  
وجعفر وزيد . وأما  
النكر الفرور بما  
أتيح له من أعمال  
الأخبار فيقال تفريك  
إلى الله بالعبادة لشغل  
جوارحك بها ولولانية  
قلبك ما كان لعل  
جوارحك قدر فاعلم  
الأعمال بالنيات ولكل  
أمرى مانوى والنية  
لنظرك إلى ربك خوفاً  
أو رجاء فالسامع من  
الشعر بيتاً يأخذ منه  
معنى يذكره ربه إما  
فرحاً أو حزناً أو انكساراً  
أو افتقاراً كيف يقلب  
قلبه في أنواع ذلك  
ذاكراً لربه ولو سمع  
صوت طائر غاب له ذلك  
الصوت وتفكر في قدرة  
الله تعالى وتوحيته  
حجرة الطائر وتسخير  
خلقهم ومنشأ الصوت  
وتأديته إلى الأصماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والفولت وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفيرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عيب الولادة الجامد على ما ناقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النفس ومبتدل بمتسع فضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتهمة في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخير فاتقضى غموض السبيل وقصد الحفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فاقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متزهات الأنفس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وعلى التعمود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لتكرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متزها في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه الناهل والوارد ولا يضر فيه التزامم والتوارد بل تزيد بكرة السافرين غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فضاءه دائرة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر قرة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاع الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكمهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنيا بها تجارة الدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أهمها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن اطلب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بمآل الآخرة ونعمن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول :

في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان . الباب الثاني :

فيما لا بد للسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

( الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان :  
النصل الأول في فوائد السفر وفضله ونيته )

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كذا ذكرناه في كتاب الصحة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والهروب عنه إما أمر له نكابة في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يله أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء ومر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكابة في الدين كمن ابتلى في بلدة بجاه ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والحول ويحتمل السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا أهل مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق

كان في جميع ذلك  
الفكر مصباحاً مقدماً  
فإذا سمع صوت آدمي  
وحضره مثل ذلك  
الفكر وامتلأ باطنه  
ذكراً وفكراً كيف  
ينحصر ذلك . حكى  
بعض الصالحين قال  
كنت معتكفاً في جامع  
جدة على البحر فرأيت  
يوماً طائفة يقولون في  
جانب منه شيئاً  
فأنكرت ذلك بقلبي  
وقلت في بيت من بيوت  
الله تعالى يقولون  
الشعر فرأيت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
في المنام تلك الليلة وهو  
جالس في تلك الناحية  
وإلى جنبه أبو بكر  
وإذا أبو بكر يقول  
شيئاً من القول والنبي  
صلى الله عليه وسلم  
يستمع إليه ويضع يده  
على صدره كالوآجد  
بذلك فقلت في نفسي  
ما كان ينبغي لي أن  
أنكر على أولئك  
الذين كانوا يسمعون  
وهذا رسول الله

( الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع )



نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإمّا علم بآيات الأرض ومجائبها كسفر ذى القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد قصد بها مكان كسكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قرينة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما تقيّد وذلك بحسب كون العلم واجبا أو تقيّلا وذلك العلم إما علم بأمر دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حق يرجع <sup>(١)</sup> » وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة <sup>(٢)</sup> » وكان سعيد بن المسيّب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بانهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يعموه <sup>(٣)</sup> وكل مذكور في العلم حصله من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما ممي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل محبة في السفر الذي يستدل به على مكارم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يامعشر القراء سيحوا تطيؤوا فإن البناء إذا ساح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع موادة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتنحت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاجئها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخاطلة والسفر مخاطلة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والمافلون والمفترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فإن الذين أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله ابن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن ولأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر

صلى الله عليه وسلم  
يسمع وأبو بكر إلى  
جنبه يقول فالتفت  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وهو يقول هذا  
حق بحق أو حق من  
حق بل إذا كان  
ذلك الصوت من أمرد  
يغشى بالنظر إليه  
الفتنة أو من امرأة غير  
محرم وإن وجد من  
الأذكى والأفكار  
ما ذكرنا يحرم صماعه  
لخوف الفتنة لا لجرد  
الصوت ولكن يجعل  
صماع الصوت حريم  
الفتنة ولكل حرام  
حريم ينسحب عليه  
حكم للنفع لوجه الصلحة  
كأقبة للشاب الصائم  
حيث جلت حريم  
حرام الوقاع وكالحلوة  
بالأجنبية وغير ذلك  
فصل هذا قد تمت  
للصلحة النفع من السماع  
إذا علم حال السامع  
وما يؤديه إليه صماعه  
فيجعل للنفع حريم  
الحرام هكذا وقد  
ينكر السماع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق اللسان يشبه قول القائل حكاية لكلام الوجد والحائط قال الجدار للوجد لم تشقني فقال - من يدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسبيحها - ولكن لا يفقهون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن زكاة لسان اللسان إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بهم منطلق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسمع كلام الله تعالى الذي يجب تهديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقر في هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويخرج قلبه ليمتع بجماع نعمات التسيحات من آحاد الذرات فماله ولتتردد في الغلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دالة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد من أمريت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام للسافر مفتقرا إلى أن يصير طام الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائرين إلى الله والسافرين إلى حضرته وكأنه متكف على باب الوطن لم يغض به للسير إلى متسع الفضاء ولا سبب لطول اللقاع في هذا المنزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس يقولون اقتحوا أعينكم حتى تبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خير عن المنزل الأول القريب من الوطن والثاني خير عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا غاطر بنفسه والمجاور إليها بما يتيه فيها سنيين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالك كون في آتية هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك القيم وهم الله بن مقتطع من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الله فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلبة ومهما عظم المطلوب قل للمساعد الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا يتعدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول الصب:

وإذا كانت النفوس كبارا      ثبتت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

تري الجبناء أن الجبن حزم      وتلك خديعة الطبع اللثيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلنرجع إلى الفرض الذي كنا قصده ولنبين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الفرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى (٩) لأن ذلك في المساجد فاتها متباعدة بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

أتى سلمة بن هلال وهو أمير مصر في حديث آخر وكلامها منقطع (١) حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج .

الطبع عديم الذوق  
فيقال له : العين لا يعلم  
لذة الوقوع والكشفوف  
ليس له بالجمال البارع  
استمتاع وغير المصاب  
لا يتكلم بالاسترجاع  
فماذا ينكره من محب  
ربي باطنه بالشوق  
والهبة ويرى انحباس  
روحه الطيارة في  
مضيق قصص النفس  
الأمارة بمر بروحه  
نسيم أنس الأوطان  
وتلوح له طالع جنود  
العرقان وهو بوجود  
النفس في دار العربة  
يتجرع كأس المجران  
يقن تحت أعباء المجاهدة  
ولا تحمل عنه سواح  
الشاهدة وكلما قطع  
منازل النفس بكثرة  
الأعمال لا يقرب من  
كعبة الوصول  
ولا يكشف له للسبل  
من الحجاب فيتروح  
بنفس الصعداء ويرتاح  
بالأنف من شدة البرحاء  
ويقول مخاطبا للنفس  
والشيطان وهما المانعان :  
أياجلي نمان باقه خلياً

من أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه أيضاً حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد الطيبة المستفادة من أنفاسهم وأفهامهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصعبة وفي التوراة : سر أربعة أميال زر أخاً في الله . وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى الساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحدث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضاً له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعاً من القدس إلى المدينة وقد سأله سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يئمه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام متقياً فيه حتى يخرج منه أن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضاً حسن فالفرار عما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين . ومما يجب الهرب عنه الولاية والجماع وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجح المحققون وهلك المتقنون والمحدث الذي لم يسلق النجاة بالفراغ الطالق عن جميع الأوزار والأعباء بل قبل الخف بفضله وشمله بسعة رحمة والخف هو الذي ليست الدنيا أكبره وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالفرية والحول وقطع العلائق التي لا بد منها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم ربما عده الله بموته فينم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عند الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصد شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك عملياً ووجوده جداً بل الغالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع للخلق والحائق وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كثافات القوة الظاهرة في الأعضاء قرب رجل قوى ذي مرة عنوى شديد الأعصاب بحكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بعمارة الجمل والتدريج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ولكن المارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وإن كان ذلك لا يسلطه درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على المشتهرين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره قلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقم بها قلت له وتفضل هذا قال نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لديك وأقل لحماً وهذا هرب من غلاء السعر وكان سرى السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء قد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم بيلاً أكثر من أربعين يوماً وكان من التوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحاً في التوكل وسيأتي أسرار الاعتماد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هرباً عما يهدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسب الصبا يخلص إلى

نسيمها

فإن الصبا ربح إذا

ماتت

على قلب محزون تجلت

همومها

أجد بردها أوتشف

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صميمها

ألا إن أدوائى بلى

قدية

وأقتل داء العاشقين

قديمها

ولعل النكر يقول هل

الهبة إلا امثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويشكر الهبة

الخاصة التي تختص

بالعلماء الراسخين

والأبدال للقريين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الهبة تستدعي

مثلاً وخيلاً وأجناساً

وأشكالاً أنكر محبة

القوم ولم يعلم أن القوم

يلقوا في رتب الإيمان

إلى آثم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض الواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستجابه ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن يفر منه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوباء أو السقم جرح عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقي بعد في الأرض فليذهب الوباء ويأتى الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يمد من عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه (١) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمتي بالطعن والطاعون قتل هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كعدة البعير نأخذهم في مراتهم للسلم لليت منه شهيد والقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والقار منه كالقار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرق وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هلك فخرج منه ولا تحرك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وإياك والحرق فانهما فتح كل ثروا ياك والمصيبة فانها تسخط الله ولا تهر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فانتب فيهم أنتق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله (٣) » فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مدموم وإلى محمود وإلى مباح والمدموم ينقسم إلى حرام كابق العبد وسفر العاق وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهد من هذه الأسباب تبين النية في السفر فإن النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ولتسكن نية الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب والندوب ومحال في المكروه والمحذور . وأما المباح فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب المال مثلا التخفف عن السؤال ورعاية ستر الروء على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعته الرياء والسمة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والندوبات والباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها من المحظورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أضاعه وفرق عليه همه وكثر الحرص والرغبة شغل ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له لللائكة واستغفرت له . وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليهم هذا منه فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوباء جرح عذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمتي بالطعن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن حرق وأطع والديك وفيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

الكشف والبيان  
بالأرواح والنفوس .  
روى أبو هريرة رضي  
الله عنه عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « أنه  
ذكر غلاما كان في بني  
إسرائيل على جبل فقال  
لأمه من خلق السماء  
قالت الله قال من خلق  
الأرض قالت الله قال  
من خلق الجبال قالت  
الله قال من خلق النجم  
قالت الله فقال إني أسمع الله  
شأنا ورمى نفسه من  
الجبل فتقطع » فالجبال  
الأزلى الإلهي منكشف  
للأرواح غير مكيف  
للعقل ولا مفسر لفهم  
لأن العقل موكل بحالم  
الشهادة لا يهتدى من  
الله سبحانه إلا إلى  
مجرد الوجود ولا يتطرق  
إلى حريم الشهود  
التجلى في طي القيب  
المنكشف للأرواح  
بلاربيب وهذه رتبة  
من مطالعة الجمال رتبة  
خاصة وأعم منها من  
رتب المحبة الخالصة

وتحصل الأنس بذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء وأما السياحة في الأرض على الهواء فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء فان السافر وماله لعل قلق الإماوى الله فلا يزال السافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما آله واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالخطو والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر الريد إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطلالين غير محترفين ولا مشغولين قد آلهوا البطالة واستغفلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلناوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات البنية لهم في البلاد واستسخرروا الحدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستغفروا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعالا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الخاتقات حكم نافذ ولا تأديب للريدين نافع ولا حرج عليهم قاهر فلبسوا للرقعات واتخذوا في الخاتقات منزعات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ويستقدون أن كل سوداء ثمرة ويتوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب للساهمة في الحقائق وهيئات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بضاء الله فان الله تعالى يفيض الشارب الفارغ ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد دخلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعت إلا التصوف فانه قد انحرق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء فانما فساد في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للفتاء من حيث إنه إتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة مشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسية فنفسو التحركين لهذه الحظوظ أيضا خسية ولا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو التأذى والتلذذ والفتوى تقتضي تشتيت العوام في الباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل للحض التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفى عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلمهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبار فلا تبق معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفى فاسق لتصور صوفى كافر وفقه يهودى وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفى عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذى يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة مطالعة  
جمال الكمال من  
الكبرياء والجلال  
والاستقلال بالنع  
والنوال والصفات  
للنقمة إلى ما ظهر  
منها في الآباد ولازم  
الذات في الأزال فللكمال  
جمال لا يدرك بالحواس  
ولا يستنبط بالقياس  
وفي مطالعة ذلك الجمال  
أخذ طائفة من المحبين  
خصوصا بتجلى الصفات  
ولهم بحسب ذلك ذوق  
وشوق ووجد وسماع  
والأولون منحوا قسطا  
من تجلى الذات فكان  
وجدتهم على قدر الوجود  
وسماعهم على حد  
الشهود . وحكى بعض  
الشايع قال رأينا جماعة  
من عشي على اللاء  
والهواء يسمعون  
السماع ويعبدون به  
ويتولهون عنده .  
وقال بعضهم كنا على  
الساحل فسمع بعض  
إخواننا فجعل يقلب  
على الماء يمر ويحيى  
حتى رجع إلى مكانه .

وأعظم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأغنى به إذا كان المعطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال بظاهر التصوف من غير انصاف بحقيقته كأخذه بظاهر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولوعلم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتراز المحتالون عن الأكل بالدين فإن البالغ في الاحتياط لديه لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشف للراغب في مواساته لفترت رغبته عن الواساة فلا جرم كانوا لا يشترطون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكون من يشتري لهم ويشرطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري فهم إنما يعمل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم المعطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا في رأيه فيه والعامل النصف يعلم من نفسه أن ذلك محتج أو عزيز والقرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لامحالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الفائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم ينم عنه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطى لما تقتضيه في من الدين فليست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سري لم ترني بعين التوفير بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الحصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتنظن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقاقهم لها ونظرهم إليها بعين القبح والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القبح والازدراء وباطنه وروحه هوعين اللذخ والاطراء ، فكم من ذام نفسه وهو لها مباح بعين ذمه قدم النفس في الخلوة مع النفس هو الممود وأما اللذخ في اللذخ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعتز بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته .

( الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا )

الأول أن يبدأ بردالظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبردالودائع إن كانت عنده ولا يأخذ راحته إلا الحلال الطيب وليأخذ قدر ما يوسع به على رفاقته . قال ابن عمر رضى الله عنهم من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ولا بد فى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معاملة فى الحضر ورقاؤه فى السفر فلا تشكو فى صلاحه والسفر من أسباب الضرر ومن أحسن خلقه فى الضرر فهو الحسن الخلق ولا فئدة مساعدة الأور على وفق القرض فلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضرر : الصائم والمريض والمسافر . وتعام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المسكاري ومعاونة الرقعة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعام ذلك مع الرقاء بمزاج ومطانية فى بعض الأوقات من غير غش ولا مصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها .  
وقيل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها فى عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرايت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض فى الهواء أذرعاً ويمر بجوى فيه . وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله فى كتابه إن أنكرنا السماع جهلا مطلقا غير مقيد بمفصل يكون إنكارا على سبعين صديقا وإن كنا نعلم أن الانكار أقرب إلى قلوب القراء والتعبدين إلا أنا لا نفعل ذلك لأننا نعلم ما لا يعلمون وصمنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليسكن رفيقه ممن يمينه على الدين فيذكره إذا نسي وبعينه ويساعده إذا ذكر فإن الرافق على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحداكم (٣) وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الأثر وطلب الواقعة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير وإذا كثرت المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأشير فلهذا وجب التأشير ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله المزني أنه صعبه أبو على الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يعمل الزاد لنفسه ولأبي على على ظهره فأمرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكما قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل إن الإمارة مسلمة لي فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة (٥) » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان للتردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بالرفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فإذا نـ مادون الأربعة لا يني بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينفق بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف المهمة إليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرقعة فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفقة الخاصة للرفقة العامة وكمن رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستثناء عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم بحب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك (٦) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسناد لو يعلم الناس ما في الوحدة ماسار راكب بديل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويناه من حديث علي في وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذي وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحداكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا عليكم أحداً أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

علمه الوافر بالسكن والآثار مع اجتهاده ونحره الصواب ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين صماع يؤثر وبين صماع ينكروا سمع الشبلي قال يقول :

أسألك عن سلسي فهل من غبر  
يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلي وقال لا والله ما في الدارين عنه من غبر . وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات يقوم رجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيها يسمعون وقوم رجعون فيها يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة (١) » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت (٢) » فهذا دعاء القيم للودع وقال موسى بن وردان أنبت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع قلت بلى قال قل « أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه (٣) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت (٤) » شك فيه الراوي . ويبنى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخص فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحذثك عن يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروأمة حامل به قالت تخرج وتدعى على هذه الحالة قلت أستودع الله ما في بطنك غربت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها قلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة قلت والله إنها كانت لصوامدة قوامة فأخذت المولى حتى اتينا إلى القبر فغفرنا فاذا سراج وإذا هذا النبلام يدب قيل لي إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب . الرابع : أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أذهبها إلى ابن أمي أم أبي قال النبي ﷺ ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين في بيته إذا شد عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بآخرة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فأخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفة في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله (٥) » الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل على فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجاى فأكفنى ما أهنى وما لأهت به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهي للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

استودع شيئا حفظه وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك الناس في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله جاعل له في دعائهم البركة الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا قال زدك الله التقوى الخرائطي في مكارم الأخلاق والمامل في الدعاء وفيه ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٤) حديث أنس في حفظ الله وفي كفه زدك الله التقوى الحديث تقدم في الحج في الباب الثاني (٥) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أذهبها إلى أبي أمي أم أخي أم امرأتى فقال ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

مرتبون بالصلح ومطالبون بالصدق فيما يشيرون فيه من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا الملائق ولم تتلوث قلوبهم بحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيفات قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحبة الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف في السماع فقال هو على ضربين : تكلف في السمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكي المندوب إليه وقول القائل إن هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له إنما البدعة المهدورة المنوع منها



والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السنان على الأمور . السادس : أن يرجل عن المنزل بكرة . روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رجل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها »<sup>(١)</sup> » ويستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس<sup>(٢)</sup> . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت » وكان ﷺ إذا بشت سرية بشتها أول النهار<sup>(٣)</sup> . وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها »<sup>(٤)</sup> وقال عبد الله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »<sup>(٥)</sup> » ولا ينبغي أن يسافر بمطلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روضة أحب إلى من الدنيا وما فيها »<sup>(٦)</sup> . السابع : أن لا ينزل حتى يحصى النهار فهي السنة ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ « عليكم بالجلعة فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار »<sup>(٧)</sup> » ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه أصرف عني شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم يقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا أرض رب وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أمد وأسود حية وعقرب ومن شر ما كفى البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبعا ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه للكل القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالتهار فليأمن

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رجل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها رواه الحرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والحرائطي مقتصر على يوم السبت وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بشت سرية بشتها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روضة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس (٧) حديث عليكم بالجلعة الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج .

بدعة تزامم سنة  
مأمور بها وما لم يكن  
هكذا فلا بأس به وهذا  
كالقيام للداخل لم يكن  
فكان في عادة العرب  
ترك ذلك حتى نقل أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان يدخل  
ولا يقام له وفي البلاد  
التي فيها هذا القيام لهم  
عادة إذا اعتمد ذلك  
لتطبيب القلوب  
والندارة فلا بأس به لأن  
تركه يوحش القلوب  
ويوغر الصدور فيكون  
ذلك من قبيل العثرة  
وحسن الصحبة  
ويكون بدعة لا بأس  
بها لأنها لم تزامم سنة  
مأثورة .

الباب الثالث  
والعشرون في القول  
في السماع ردا وإنكارا  
قد ذكرنا وجه صحة  
السمع وما يليق منه  
بأهل الصدق وحيث  
كثرت الفتنة بطريقه  
وزالت الصفة فيه  
وتصدى للحرص عليه  
أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأمر بما يقتل أو يقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترن ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه<sup>(١)</sup> والغرض من ذلك أن لا يستقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والمستحب بالليل أن يتنابذ الرقعة في الحراسة فإذا نام واحد حرص آخر<sup>(٢)</sup> فهذه السنة ومهما قصد عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص والعوذتين وليقل باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لايأتى بالخيرات إلا الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى مع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحق القيوم الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينাম عليها فإنه يثقل بالنوم وتؤدي به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي<sup>(٣)</sup> » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك<sup>(٤)</sup> فهو سنة وفي آثار عن السلف وكان بعض السلف يكثر بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات السكاري ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبدة حراء أجر . قال أبو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت : أيها البعير لا تخافني إلى ربك فاني لم أك أجعلك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان : إحداهما ترويح الدابة والثانية إدخال السرور على قلب السكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع السكاري ما يحمله عليها شيئا شيئا ويهرسه عليه ويستأجر الدابة بقدر صحيح لئلا يشور بينهما نزاع يؤذى القلب ويعمل على الزيادة في الكلام فإي يلفظ العبد من قول إلا لله رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع السكاري فلا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئا وإن خف فإن القليل يجزى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل على هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستأذن السكاري فاني لم أشرطه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ « إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرأة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط<sup>(٥)</sup> » وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : المرأة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرأة والمكحلة<sup>(٦)</sup> وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفسدت أحوالهم  
وأكثرُوا الاجتماع  
للسماع ولزعموا يتخذ  
للإجتماع طعامٌ تطلب  
النفوس الاجتماع لذلك  
لارغبة للقلوب في  
السمع كما كان من  
صبر الصادقين فيصبر  
السمع معلولا تركن  
إليه النفوس طلبا  
للشهوات واستحلاء  
لمواطن اللهو والغلات  
ويقطع ذلك على المرید  
طلب المزيد ويكون  
بطريقه تضييع  
الأوقات وقلة الحظ من  
العبادات وتكون  
الرغبة في الاجتماع طلبا  
لتناول الشهوة  
واسترواحا لأولى  
الطرب واللهو والعشرة  
ولا يخفى أن هذا الاجتماع  
مردود عند أهل  
الصدق . وكان يقال  
لا يصح السماع  
إلا لعارف مكين ولا  
يباح لمرید مبتدى .

(۱) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحج (۲) حديث تناوب الرقاء في الحراسة تقدم في الحج في الباب الثاني (۳) حديث لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي تقدم في الباب الثالث من الحج (۴) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (۵) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمة أنثاء المرأة والمكحلة والندري والسواك والمشط وفي رواية سنة أشياء الطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة (۶) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يفارقه في السفر المرأة والمكحلة رواه الحرائطي وإسناده ضعيف

وقال الجنيـد رحمه الله  
تعالى إذا رأيت المريد  
يطلب السماع فاعلم أن

«عليكم بالأئمة عند مضجعتكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر»<sup>(١)</sup> وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا وفي رواية أنه اكتحل لليمن ثلاثا ولليسرى ثنتين<sup>(٢)</sup> وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما رده هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للغسل ولزج الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون باليتم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الضران ومن المياه كلها ما لم يتقنوا نجاستها حتى توضع عمر رضى الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب للمسوة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة للذمومة ما تضاد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فستحسن وقد ذكروا أحكام للبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وأن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يخطأ في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من التوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادى عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون ثابتون عابدون ساجدون لرئيسنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»<sup>(٣)</sup> وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بهاراً ورزقاً حسناً ثم يرسل إلى أهله من يشترم بدومه كيلا يقدم عليهم بشفة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي له أن يطرقهم ليلاً<sup>(٤)</sup> فقد ورد النهى عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين ثم دخل البيت<sup>(٥)</sup> وإذا دخل قال «توباً توباً لرئيسنا أوباً لا يفادرن علينا حوباً»<sup>(٦)</sup> وينبغي أن يجعل لأهل بيته وأقاربه عتقة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة قد روى أنه إن لم يجد شيئاً فليضع في غلالته حجراً<sup>(٧)</sup> وكان هذا مبالغة في الاستحسان على هذه المسكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلوب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوى في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويحتجدهم أن يستفيد من كل واحد منهم أدباً أو كلمة لينفع بها للاحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو وحده الضيافة

(١) حديث صيب عليكم بالأئمة عند مضجعتكم فانه يزيد في البصر وينبت الشعر الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي ومحمد بن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس ومحمد بن عبد البر وقال الخطابي صحيح الاسناد (٢) حديث كان يكتحل لليمن ثلاثا ولليسرى ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكبر الحديث تقدم في الحج (٤) حديث النهى عن طروق الأهل ليلا تقدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين تقدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توباً توباً لرئيسنا أوباً لا يفادرن حوباً ابن السني في اليوم والليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بجرج الدارنطني من حديث طائفة باسناد ضعيف .

فيه بقية البطالة .  
وقيل إن الجنيد ترك  
السباع فقيل له كنت  
تسمع فقال مع من  
قيل له تسمع لنفسك  
فقال ممن لأنهم كانوا  
لا يسمعون إلا من  
أهل مع أهل فلما قد  
الاخوان ترك لما  
اختاروا السباع حيث  
اختاروه إلا بشروط  
وقيود وآداب يذكرون  
به الآخرة ويرغبون  
في الجنة ويحذرون  
من النار ويزداد  
به طلبهم وتحسن به  
أحوالهم ويثقل لهم  
ذلك أخافاً في بعض  
الأحيان لأن يمحطوه  
دأباً وديناً حتى  
يتروا لأجله الأوراد .  
وقد نقل عن الشافعي  
رضي الله عنه أنه قال  
في كتاب القضاء القضاء  
لهو مكروه يشبه  
الباطل وقال من  
استكثر منه فهو  
سفيه رد شهادته .  
وافق أصحاب الشافعي  
أن للمرأة غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتها وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالعمرة فإن ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله فإن كان في بيته فلا يندق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فإن سألته أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدتها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يعمده ثم يرجع إلى ما كان عليه فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره . قال رجل لأبي عثمان للعرب خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة فليكن سفر اللريد من وطن هواء ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواء في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

( الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات )

اعلم أن المسافر يحتاج في أول سفره إلى أن يزود لذيابه ولآخرته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة وإن ركب البادية وحده أومع قوم لاطعام معهم ولا شراب فإن كان بمن يصر على الجوع أسبوعا أو عشرة مثلا أو يقدر على أن يكتفي بالخشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجترار بالخشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه ألقي نفسه يدهم إلى الهلكة ولهذا سرسباني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالسكينة ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا آخر حتى يصب الماء فيه فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يزود منه إذا السفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمورا كان مستغنيا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محارب للساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه فإذا ما يقتدر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

( القسم الأول العلم برخص السفر )

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الحفين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين التقصر والجمع وفي النفل رخصتين أداؤه على الراحة وأداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

( الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه )

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . ونقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يحسب الطقطة بالفضيب ويقول وضه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردّها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعلانا في المساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تفسير قوله تعالى - ومن الناس

رخص . الرخصة الأولى : المسح على الخفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن <sup>(١)</sup> فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقبلا ولكن بخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويبعد لبسه . الثاني : أن يكون الخف قويا يمكن للشئ فيه ويجوز للمسح على الخف وإن لم يكن منعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه في النازل لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للمسح عليه وكذا الجرموق الضعيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفسل خرق فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه وللشافعي قول قديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لميس الحاجة إليه وتعذر الحرز في السفر في كل وقت والملاس المنسوج يجوز للمسح عليهما كان ساترا لا يبدو بشرة القدم من خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تنس إلى جميع ذلك فلا يستبرأ إلا أن يكون ساترا إلى ما فوق الكمين كيفما كان فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه . الرابع : أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه فن زرع فالأولى له استئشاف الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز . الخامس : أن يمسح على الموضع المهادى لحل فرض الفسل لاهل الساق وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزاءه والأولى أن يخرج من شبه الخلاف وأكله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار <sup>(٢)</sup> كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يبل اليدين ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمررها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبلا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يسل إلا بعد غسل الرجلين فيفسل رجله ويبعد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة التيممين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ بنخفيه فلبس أحدهما غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما <sup>(٣)</sup> .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث القيرة وهكذا وضعفه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه هو القضاء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى - وأتم صامدون - أى مفنون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو القضاء بلفظ حمير يقول أهل اليمن سمع فلان إذا غنى وقوله تعالى - واستغفر من استغفرت منهم بصوتك - قال مجاهد القضاء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنا نبيت عن صوتين فالتجرير صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لومشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد أهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدواً أو سبغ فيجوز التيمم وإن كان الماء قريباً وكذا إن احتاج إليه لمعطشه في يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا إن احتاج إليه لمعطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما بشمن أو بغير شمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبل قيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتري بالفتيت اليابس ويترك تناول الرقة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من النة وإن بيع بشمن الثلث لزمه الشراء وإن بيع بغيره لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأواني والظاهر فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قتل له أتيتهم وجدرا للدينة تنظر إليك ؟ فقال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجد قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم وفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرقعيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يقتل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمساء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة : الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فلا يظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بمقيم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند النية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحده السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتعزى وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شئ نسيه لم يترخص أن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز عمران وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يعنى منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال الغناء ينبت النفاق في القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مرة عليه قوم وهم يحرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن الغناء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل الغناء . وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا . وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم للروء وإنه لينوب عن الحجر

لمنعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازا ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقسى القولين لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ازعاج القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم تقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير ثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى البإح أن لا يكون عاقا لوالديه هاربا منها ولا هاربا من مالكة ولا تكون للمرأة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالقسادين المسلمين . وبالجمله فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدها مباح والآخر محظور وكان بحيث لولم يكن الباعث له المحظور لكان البإح مستقلا بتحريكه ولكن لأعماله يسافر لأجله فله الترخص والتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يعز وإن نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها وأما الظهر فجاء على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنتي الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصلحها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقيا لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لا تقطعت الموالاة وهي واجبة على وجهه ولو أراد أن يقيم الأربع السنونة قبل الظهر والأربع السنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضة فيصلي سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الغرض ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الرجح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحة كي لا يتعوق عن الرقعة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجرب على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع راتبة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصل إلا ركعتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السنين وفي روايته خمسة عشر .

ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الوزون يفيق بالفضاء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أهوال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الهدف من سنة المسلمين . والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشعر لا يدل على إباحة الغناء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام منشور فحسنه حسن وقبيحه قبيح وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف النصف وتشكر في اجتماع أهل الزمان وقعود الغنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت المكروه لأن ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر بعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويحتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يغلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لاشتغال فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشتغل عن فعل الصلاة فقد يشتغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتقدم أن لا تشترط للوالة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يحز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر إذ يمد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للطرح يجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر ومضى إنما كان عجزا بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته (١) وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التنفل راكبا في الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لافي ابتداء الصلاة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة ثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال فقه خلاف وإن جمعت به الدابة فاحرف لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا لم يحج غير مندوب إليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالإيماء . الرخصة السادسة : التنفل للماشي جائزا في السفر ويومئ بالركوع والسجود ولا يعمد للشهيد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركاب لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركاب فإن في تحريف الدابة وإن كان النمان يده نوع عسر وربما تكررت الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الركاب نجاسة وليس عليه أن يشوش الشيء على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كذا كرنا في التنفل . الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم فله مسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فعليه أتمام ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صاعما . ثم أقام فعليه الأتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الأتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف الفطر فانه في عهدة القضاء وربما يعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضربه فالأفطار أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام وتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا

(١) حديث كان يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

هذا الجالس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قوالا وقصدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهموها فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجمع لها لم يحظ بدوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واستروح إلى استحسان بعض للتأخيرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس في هذا وكلما احتج عليهم بالسلف للماضين يحتجون بالتأخيرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الفقهاء يتسمعون عند قراء القرآن



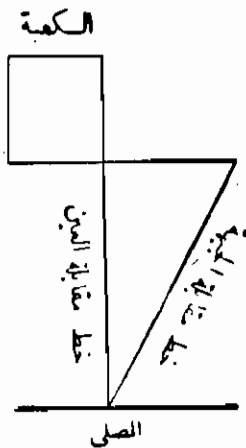
وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازها في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة الغرض راكبا ومشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر وكذا أكل الميتة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فان قلت فاعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا ومشيا لم يلزمه علم شروط الرخص في ذلك لأن الرخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على عاقل نهر يوثق ببقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استغثائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعمل لاحالة . فان قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بدوقها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بدلم تحب وربما لا تحب . فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم للناسك لاحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لاحالة كعلم للناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحمل إذن للمسافر أن ينشئ السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائر لرخصة السفر لم يكن له الاقتصار عليه . فان قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا ومشيا ماذا يفرضه وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصلّي التنفل على نصت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم ما يحترزه عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره .

( القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر )

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب منفق عليه يخيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعى الوقت فيخيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالجيال والقرى والأنهار وهوائية كالأستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وصماوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق في جبل مرتفع يعلم أنه على عین المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامه فليعلم ذلك وليقهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك ولنا قدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السماوية فادلتها تنقسم إلى نهائية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو تعيل إلى الجبين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لاتعدو في البلاد الشمالية هذه للتواقع فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت الغروب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن عین المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا تعرف القبلة للشاء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة  
قال عبد الله بن عروة  
ابن الزبير قلت لجدي  
أسماء بنت أبي بكر  
الصدّيق رضي الله عنهما  
كيف كان أصحاب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يفعلون إذا  
قرئ عليهم القرآن  
قالت كانوا كما وصفهم  
الله تعالى تسمع أعينهم  
وتشعر جلودهم قال  
قلت إن ناسا اليوم إذا  
قرئ عليهم القرآن خروا  
أحسهم منشيا عليه  
قالت أعوذ بالله من  
الشیطان الرجيم .  
وروي أن عبد الله بن  
عمر رضي الله عنهما  
مرّ رجل من أهل  
العراق يتساقط قال  
ما هذا ؟ قالوا إنه إذا  
قرئ عليه القرآن  
وسمع ذكر الله تعالى  
سقط فقال ابن عمر  
رضي الله عنهما إنا  
لنخشى الله وما نسقط  
إن الشيطان يدخل  
في جوف أحسهم  
ما هكذا كان يصنع

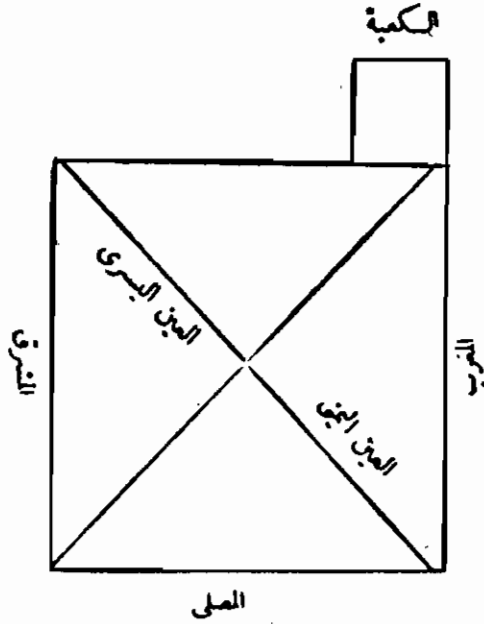
لصلاة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشرق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد يصل الغرب والعشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فلهذا أن يرعى موضع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدى فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمين وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فإن السافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشرق والغارب إلا أن يتسنى في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو راقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك فهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعمل عليها فإن بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في أن المطلوب جهة الكعبة أو عيناها وأشكال معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن المطلوب العين فمضى يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج يبدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في أنه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى بقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من عينيها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لالعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يوجههما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فيلتقي طرفاهما في داخل الرأس

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر عند ابن سيرين الدين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقدم واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فإن رى نفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم إنكارا على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن لتصنع التوهم في حق الأكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم وعامة جهل محزون بهوى لم بأحدم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل أن ذلك يضر دينه وقد لا يجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي

بين العينين على زاوية قائمة لما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته :



ينبغي أن يقف عليه  
وهذا يبين الصدق .  
قل أن موسى عليه  
السلام وعظ قومه  
فشق رجل منهم قميصه  
فقال لموسى عليه  
السلام قل لصاحب  
القميص لا يشق قميصه  
ويشرح قلبه . وأما  
إذا انضاف إلى السماع  
أن يسمع من أمرد  
قصد توجهت الفتنة  
وتعين على أهل الديانات  
انكار ذلك . قال بقية  
ابن الوليد كانوا  
يكرهون النظر إلى  
العلام الأمرد الجليل .  
وقال عطاء كل نظرة  
يهواها القلب فلا خير  
فيها وقال بعض التابعين  
مأناً أخوف على الشاب  
التائب من السبع  
الضاري خوفاً عليه  
من العلام الأمرد يقعد  
إليه . وقال بعض  
التابعين أيضاً اللوطة  
على ثلاثة أصناف صنف  
ينظرون وصنف  
يصافون وصنف  
يعملون ذلك العمل

فاذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب الدين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها وإن كان محتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيمكن استقبال الجهة . فأما طلب العين عند المشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين الغرب والشرق قبلة <sup>(١)</sup> » والغرب يقع على عين أهل المدينة والشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لاتفق بما بين الشرق والغرب وإنما بقي بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضاً عن عمر وابنه رضي الله عنهما . وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم لما روى: أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، قيل لهم الآن قد حوت القبلة إلى الكعبة فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة <sup>(٢)</sup> ولم ينكر عليهم ومضى مسجدهم ذا القبليتين ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، ويدل أيضاً من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد الإسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحارب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين الشرق والغرب قبلة الترمذى وصححه والنسائى وقال منكر وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس فقيل لهم ألا إن القبلة قد حوت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع اختلاف .

فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأماديل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات بقوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار المستقبل بها والغرب على يمينه فتهي عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيفما كان فما حكم الباقي بل الجهات ثبتت في الاعتقادات بناء على خلقه الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعا والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في المشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف الصلي ثم يقابل أحدهما بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع المشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت العصر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها عماريات أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعد التمهيد وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيمرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستقيم عليه الأمر بغير مظلم أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فليعلم أن يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق يدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل بخبره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالمسافر في الليل أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلم دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا فقيه فاسق فليعلم الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفقه مستورا الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة الفتنين فان رآه لا بسا للحرير أو ما يغاب عليه الابريس أو راكبا للفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال يتقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزد إلى الغروب فليقيم المسافر في موضع أو لينصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلدة وقت أذان المؤذن المتمدل فقامته فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى فان زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال واليزان فليستصحبه المسافر وليتلم اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب.

قد تعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله . يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخطئوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشرطه وتفرجه عن السكارة التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقا بين القصاص والغناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

[ الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء ]

اعلم أن الوجد يشعر بسابقة قد دفن لم يفقد لم يجد وإنما كان الفقد لمزاحمة وجود البعد بوجود صفاته وبقيائه فلو تمحض عبدا

الظل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفري موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينه مثلاً إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت المغرب فيدخل بالمغرب ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق فهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح قد دخل وقت المغرب . وأما العشاء فيعرف بنسوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فينبغي في الأول مستطيلاً كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يسر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال عليه السلام « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائتي على الأخرى وفتحهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك تقرب لتحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضاً لأن قوماً ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمزتين وهذا تقرب ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض النازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبضها منتصبه فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً يطول ذكره ثم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمزتين أصلاً وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قريب من مزتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبداً يظهر البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مزيد أن يقدر على التحقيق وقتاً معيناً يشرب فيه متسحراً ويقوم عفيه ويصلي الصبح متصلاً به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلاً بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد إلا على العيان ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشراً في العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّة ومرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الضوء ساطعاً قال صاحب التريين أي مستطيلاً فإذا لا ينبغي أن يعول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديماً بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه الزول أو قبل النوم حتى يسرع فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمع نفسه بفوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبائتي على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبائتين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس الفجر المستطيل في الأفق لكنه يعترض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كما ذكره ورواه أبو داود أيضاً .

لتحضر حراً ومن  
تحضر حراً أفلت من  
شرك الوجد فترك  
الوجد يسطاد البقايا  
ووجود البقايا لتخلف  
شيء من المطايا . قال  
الحصري رحمه الله  
ما أدون حال من يحتاج  
إلى مزعج يزعه  
فالوجد بالسباع في حق  
الحق كالوجد بالسباع  
في حق البطل من حيث  
النظر إلى انزعاجه  
وتأثير الباطن به وظهور  
آثره على الظاهر وتغييره  
للبعد من حال إلى  
حال وإنما يختلف الحال  
بين الحق والبطل أن  
البطل يجد لوجود  
هوى النفس والحق  
يجد لوجود إرادة  
القلب ولهذا قيل  
السباع لا يحدث في  
القلب شيئاً وإنما  
يحرك ما في القلب فمن  
متعلق بباطنه خير الله  
يحركه السباع فيجد  
بالهوى ومن متعلق  
باطنه بعبادة الله يجد  
بالإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجشم كلفة الزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فان الشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

### ( كتاب آداب السماع والوجد )

( وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترقى همهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاء ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى . فلم يروا في الكونين شيئا سواه . ولم يدركوا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مبهيج لم يكن أزعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به . ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه . ولا شوقهم إلا إلى ماله . ولا ابتعائهم إلا له . ولا تردد دمهم إلا حواله . فنه سماعهم وإليه استماعهم . قد أهمل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفائه وخاصته . والصلاة على محمد البعوث برسائله وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيرا .

[ أما بعد ] فان القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كطويت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كما خفي الماء تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استتارة خفاياها إلا بقوادح السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع . فالنغمات للوزونة للتلذذ تخرج مافياها . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه . فالسماع للقلب محك صادق . ومقياس ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيما هو الغالب عليه وإذا كانت القلوب بالطباع مطبوعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكائنها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبين مافيهما من الفوائد والآفات . وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات . وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المحظورات أو الباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزق وعزق الثياب .

( الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه )

( بيان أقاويل العلماء والتصوفة في تحليله ومحريمه )

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فيسمى الاضطراب وإما موزونة فيسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول وننقل فيه الأقاويل العربية عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه ، فأما نقل المذاهب فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء أقاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

( كتاب السماع والوجد )

( الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته )

فالمبطل محجوب بحجاب النفس والحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب أرضي ظماني وحجاب القلب حجاب سماوي نوراني ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا يشتر بأذيال الوجود فلا يسمع ولا يجد ومن هذه اللطافة قال بعضهم الوجد نار دم كلى لا ينفذ في قول ومرحمشاد الدينوري رحمه الله يقوم فيهم قواك فلا رأوه أمسكوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فوائده لوجعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلهم ولا شغلهم ما بي فالوجد صراخ الروح المبثلى بالنفس تارة في حق البطل وبالقلب تارة في حق الحق فثار الوجد الروح الروحاني في حق الحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم المعاني يظهر وتارة من مجرد الغمات

في كتاب آداب القضاء إن الفناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استناعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لساعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعت الزنادقة ليشتملوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالرد أكثر مما يكره اللعب بشئ من اللامى ولا أحب اللعب بالشرطنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا الروعة . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الفناء وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الفناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفيان الثوري وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال مع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فصل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواطنين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد دنا ثلاثة أشياء فبأرأها ولا أراها تزدد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا حكيا بينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتساونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحجازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أهلك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أى شئ تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه القصور أبحرم عليه قال أنا لم أقول ليطان واحد فكيف أقوى ليطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وضمف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام قفلة له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكى عن معشاد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قفلة يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم فيفتحون قلبه بالقرآن ويغتمون بعده بالقرآن . وحكى عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من  
قبيل للعاني تشارك  
النفس الروح في السماع  
في حق للبطل ويشارك  
القلب في حق الحق وما  
كان من قبيل مجرد  
النفات تتجرد الروح  
للسماع ولكن في حق  
البطل تسترق النفس  
السمع وفي حق الحق  
يسترق القلب السمع  
ووجه استلذاذ الروح  
النفات أن العالم  
الروحاني يجمع الحسن  
والجمال ووجود  
التناسب في الأكواف  
مستحسن قولاً وفلاً  
ووجود التناسب في  
الهياكل والصور  
ميراث الروحانية فتي  
سمع الروح النفات  
الليذذة والألحان  
التناسبة تأثره لوجود  
الجفسية ثم يتقيد ذلك  
بالشرع بمصالح عالم  
الحكمة ورعاية الحدود  
للعبد عين المصلحة  
عاجلاً وآجلاً . ووجه  
آخر إنما يستلذد الروح  
النفات لأن النفات بها

المحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستسمعون فأنسكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنسكرك على أولئك الذين كانوا يستسمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيذ تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع قليل له أن يؤتي يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه بالغو وقال الله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى تمارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متعبرا أو ماثلا إلى بعض الأقاويل بالتشبيها وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقة وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والإباحة كما سذكره.

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على النصوص وأغنى بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله والقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في إثبات هذا الغرض لكن لستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته . أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلهذا النظر في البصرات الجميلة كالحضرة والماء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان السكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأتبان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشرة وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراصة وللمقل لذة العلم والعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات للمدركة بالسمع تنقسم إلى مسئلة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنبق الخمر وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها . وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - قليل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « الله أشد أذنا للرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمزا بين المتعاشقين وبين النفوس والأرواح تتشاقق أصل ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح وللبل والتعاشق بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليسكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاتلاف والتعاشق والنفات يستلذها الروح لأنها منبغاة بين المتعاشقين وكما أن في عالم الحكمة كونه حواء من آدم في عالم القدرة كونه النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بحرف

(١) حديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم



الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لفيفته (١) « وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زممارا من زمائر آل داود (٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخير - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزعم أن يحرم سماع صوت الضليل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يهيم منه الحكمة والعلمانية الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن فكيف من صوت حسن خارج عن الوزن وكما من صوت موزون غير مستطاب والأصوات للوزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فإما أن تخرج من جدار كصوت الزمير والأوتار وضرب القضيب والطلل وغيره وإما أن تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السبع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة للطالع والمقاطع فلذلك يستلزم سماعها والأصل في الأصوات لخارج الحيوانات وإما وضعت الزمير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأنث الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصناعات قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت الضليل وسائر الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جدار وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت الضليل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختیار الآدى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطلل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للامهى والأوتار والزمير التي ورد الشرع بالمنع منها (٤) لا لأنها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر واقتضت ضراوة الناس بها البالغة في الطعام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والزمير فقط وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت ورويناه متصلا في الزيلايات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (١) حديث قه أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيفته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث لقد أوتى زممارا من زمائر آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث المنع من الملامهى والأوتار والزمير البخارى من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليسكون في أمي أقوام يستحلون الخمر والحريم والمعارف صورته عند البخارى صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والاسماعيلي . والمعارف الملامهى قاله الجوهري ولأحد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعق للزمير والكباريات يعنى البرابط والمعارف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الخمر والكوبة والفنين وله في حديث لأبي أمامة باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى الملامهى معصية الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر مع زممارا فوضع أصبعيه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح  
الروحاني فصارت لها  
فإذا تكوّن النفس من  
الروح الروحاني في عالم  
القدرة كتنكّون  
حواء من آدم في عالم  
الحكمة فهذا التآلف  
والتعاقب ونسبة  
الأنونة والدورة من  
هنا ظهر وبهذا  
الطريق استطاعت  
الروح الثبات لأنها  
مراسلات بين  
للتعاقبين ومكاملة  
بينهما وقد قال القائل :  
تكلم منا في الوجود  
عيونا  
فنحن سكوت والهوى  
يشكم  
فذا استلذت الروح النعمة  
وجدت النفس للملولة  
بالهوى وتحركت بما  
فيها لحدوث العارض  
ووجد القلب للملولة  
بالارادة وتحرك بما فيه  
لوجود العارض في  
الروح :  
شربنا وأهرقنا على  
الأرض جرة  
وللأرض من كأس  
السكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسواطين وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر ومانع حرام إلا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمي للحرام ووقاية له وحظارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لكل ملك حمي وإن حمي الله محارمه (١) » فهي محرمة بما لتحريم الخمر ثلاث علل : إحداهما أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر . الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب الله ذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن الانتباه في الزفت والخنم والتغير (٢) » وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها لضعف هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في الفكر إذ لآلة في رؤية الفينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكر الشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة تقول بترك السنة مهما صارت شعارا لأهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخشئين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو وبهذه العلة يقولوا لاجتماع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكجيين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساق ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر طي الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيها وراء التبر لا اعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه العلة حرم اللزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وماعدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقى طي أصل الاباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمه مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعرض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الموزون والفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه مازاد إلا كونه مفهوما والسلام الفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم شره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بالألحان أو لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام حسن وقبيح قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت والألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد البباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا

ففس البطل أرض  
لسماء قلبه وقلب الحق  
أرض لسماء روحه  
فالبائع مبلغ الرجال  
والتجوهر التجرد من  
أعراض الأحوال خلع  
فعل النفس والقلب  
بالوادي المقدس  
وفي مقعد صدق عند  
ملك مقتدر استقر  
وعرس وأحرق بنور  
إليان أجرام الألحان  
ولم تضع روحه إلى  
مناغة عاشقه لشغله  
بمطالعة آثار محبوه  
فألهام الشناق ليسعه  
كشف ظلامه المشاق  
ومن هذا حاله لا يحرره  
السماع رأسا وإذا  
كانت الألحان لا تلحق  
هذا الروح مع لطافة  
مناجاتها وحق لطيف  
مناغاتها كيف يلحقه  
السماع بطريق فهم  
الغاني وهو أكتف  
ومن يضعف عن حمل  
لطيف الاشارات كيف  
يتحمل ثقل أعباء  
العبارات وأقرب من  
هذا عبارة تقرب إلى :

(١) حديث إن لكل ملك حمي وإن حمي الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النهي عن الانتباه في الخنم والزفت والتغير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف  
يشكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عليه السلام « إن  
من الشعر لحكمة » وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يماش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتل يا أبت كيف تجددك وبإبلال كيف  
تجددك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى برفع فقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجيل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا  
الدينة كحبنا مكة أو أشد » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد  
وهو يقول : هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (٢)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة  
أن عمر مرة بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك  
الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وللبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع الأيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجيل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الحمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

الأنفهام : الوجد ولورد  
يرد من الحق سبحانه  
وتعالى ومن يريد الله  
لا يفتن بما من عنده  
ومن صار في محل القرب  
متحقيقا لا يلبيه ولا  
يحركه ما ورد من عند  
الله فالوارد من عند  
الله مشعر يمد  
والقريب واجد في  
يصنع بالوارد والوجد  
نار والقلب للواجد  
ربه نور والنور لأطف  
من النار والكشف  
غير مسيطر على  
اللطيف فإدام الرجل  
البالغ مستمرا على  
جادة استقامته غير  
منحرف عن وجه  
معهوده بنوازع  
وجوده لا يدركه الوجد  
بالسمع فان دخل عليه  
فتور أو عاقه قصور  
بدخول الابتلاء عليه  
من المولى المحسن يتألف  
الحسن من تقاريق صور  
الابتلاء أى يدخل  
عليه وجود يدركه  
الواجد لعود العبد  
عند الابتلاء إلى حجاب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لحسان منبرا في السجدة يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافع ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان روح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) ولما أنشدته النابغة شعرة قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك » (٢) وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم » (٣) وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعرة ليسلم » (٤) وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحمدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحمدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوك بالقرار » (٥) ولم يزل الحداة وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتزمون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى

قال للصف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسل وفيه البيت الثاني أيضا إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم إلى قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزونا وفي الصحيحين أيضا أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار وللهاجرة . وفي رواية فاغفر وفي رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار (١) حديث كان يضع لحسان منبرا في السجدة يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافع الحديث البخاري تعليقا وأبو داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أنه قال للنابغة لما أنشدته شعرا لا يفضض الله فاك البغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بأسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ :  
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لرجو فوق ذلك مظهرا  
الآيات  
وزواه البرار بلفظ : علونا العباد عفة وتكرما . الآيات وفيه فقال أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخفف الورق الآيات

(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة (٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم (٥) حديث أنس كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحمدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحمدو بالرجال الحديث أبو داود الطيالسي واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس سمعت بعض مشايخنا يحكي عن بعضهم أنه وجد من السماع قبيل له أين حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردني هذا المورد . قال بعض أصحاب سهل صحبت سهلا سنين ما رأيت تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرئ عنده - فالיום لا يؤخذ منكم فدية - فارتعد وكاد يقطع فستانه عن ذلك قال نعم لحقني ضعف وسمع مررت الملك يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت قبيل له إن كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة أن الكامل لا يرد عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الزايفة : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهييج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة بالنغمات للوزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويضطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الويسع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يكره إلى الاصغاء إليهم لجل مع بلادة طبعه يتأثر بالخداء تأثرا يستخف معه الأحوال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في معاهه للسافات الطويلة وينبت فيه من النشاط ما يسكره ويولعه فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت الهامل والأحمال إذا سمعت منادي الخداء تمد أعناقها وتضفي إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تنزعج عليها أحمالها وعاملها وربما تلف نفسها من شدة السير وتقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري للعروف بالرقى رضي الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا بقيد ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقى منها جمل وهو نازل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي الفلام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فساء محل القيد عنى قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أقترن وأهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال إن له سوتا طيبا وإن كنت أعينى من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا تقالا وكان يحدها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نعمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فأجبت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يحدها حتى يجمل يستقي للماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي فلما أظن أني سمعت قطصوتا أطيبت منه فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تنقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات السجدة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحجيج فانهم أولا يدورون في البلاد بالطلب والشاهين والقناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة وللقام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرائه إن كان ثم شوق حاصل أو استتارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلًا وإذا كان الحج قرابة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويؤثره بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقته فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يبتلغه بقوة حاله فلا يفسده الوارد . ومن هذا القيل قول أبي بكر رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألقت أنواره فلما استغربه حتى تغير والواجد كالشرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فهكذا في السماع كقبل السماع . وقد قال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أهم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي من شعار الأشرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فان التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يستأبه الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضاً مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن يخالف أشرارهم وطرق ألعانهم أشرار الحاج وطرق ألعانهم لأن استئارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الفيتز والفضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار للشجعة مثل قول للتنبؤي :  
فان لا نمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس القتل غير مكرم

وقوله أيضاً :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان للشجعة تخالف الطرق للشوكة وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الغزو ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الغزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والفرض منها التشجيع للنفس وللافتار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والتجدة وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الدمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المظهور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرها ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فان صوته مرقق يحزن محل عقد الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان للرقعة للقلب فالألحان للرقعة المهرنة تبين الألحان المهرنة للشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النياحة ونهاتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكابة والحزن فسمان : محمود ومذموم فأما للمذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فانه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له فهذا الحزن لما كان مذموماً تحريكه بالنياحة مذموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطاياهم والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشهير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه وألحانه وذلك محمود لأن المقصود إلى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواءظ الطيب الصوت أن ينشد على النثر بألحانه الأشعار المهرنة للرقعة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالنقاء في أيام العيد

(١) حديث النهي عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا تنوح .

لما يكن عند السماع  
مواجيد مختلفة فمنهم  
من يبكي خوفاً ومنهم  
من يبكي شوقاً ومنهم  
من يبكي فرحاً كما قال  
القائل :

طمع السرور على حق إنني  
من عظم ما قد سرتني أبكاني  
قال الشيخ أبو بكر  
الكتاني رحمه الله  
سماع العوام على  
متابعة الطمع وسماع  
للريدين رغبة ورهبة  
وسماع الأولياء رؤية  
الآلاء والنعماء وسماع  
العارفين على الشاهدة  
وسماع أهل الحقيقة على  
الكشف والبيان  
ولكل واحد من  
هؤلاء مصدر ومقام .  
وقال أيضاً للوارد ترد  
تصادف شكلاً أو  
مواقفاً يوارى تصادف  
شكلاً مازجه وأى  
وارد صادف موقفاً  
ساكنه وهذه كلها  
مواجيد أهل السماع  
وما ذكرناه حال من

وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدمه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنفثات والرقص والحركات أيضا محمود فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابهم (٢) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذا ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله (٣) » فأقدر وأقدر الجارية الحديثة السن الحريصة على الأهل إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريثان في أيام من تدفنان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغشى بثوبه فاتهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتها أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يابني أرفدة (٤) » يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه تقييد وتضربان (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحراهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترني بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف (٦) »

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

الباقي في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث جعل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رضي الله عنها قالت « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكره عند البخاري كما ذكر وعند مسلم من رواية عمرو بن الحرث عنه (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمنا يابني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أمنا يابني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي فأنما هم بنو أرفدة ولها من حديث عائشة دونكم يابني أرفدة وقد ذكره للصف بهذا (٥) حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه بغيان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ارفع عن السجدة وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأغلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غيبته فسد رؤية الأهل يمكن من قوة الفرح وكثرته وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يزداد ذكرها ويكثر ثمرها لقصور الافهام عن إدراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار وغنى بالاستكبار ولكن يرفعها من وجدها قدما ووصولا أو فهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا إلامات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني صواحب لي فكنن يتقمن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر ليحيين إلى قلعين معي (١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها يوما « ما هذا قالت بتاني قال لما هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي ألعى قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أوما سمعت أنه كان لسلیمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور ومن الحزف والرقاع من غير تكيل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن القرم كان له جناحان من رقع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بفناء بسات فاضطجع على الفراش وخول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فاتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجا (٢) » وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشبهين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه وخذني على خده ويقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبي فجعلت أنظر إلى لبعهم حتى كنت أنا الذي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الفناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في السجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفدة » وهذا أمر باللعب والخماس له فكيف يقدر كونه حراما . والرابع منه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الانكار والتخير وتعليقه بأنه يوم عيد أي هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لمواقفة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لمائشة « أنتهين أن تنظري » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الفناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن الزمار المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع صمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم يقرع صوت الأوتار صمعه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت للزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الفناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن مختصرا إلى قولها فلعين معي . وأما الرواية الطويلة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بفناء بسات الحديث هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التي عزاها لمسلم انفراد بها مسلم كما ذكر .

أوجود تغاي وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رخصا هو من وصف الجذعان لو هج منطوة عظيمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر الفمام بتلاقي مختلف الأجرام وهذا وإن عز مشعر يبقية تقدر في صرف الفناء ، نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار منعسا في الأنوار ثم يرتقي منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشكلة صورها ومبانية حقايقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يسود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويصكون هذا السماع من



وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكا للشوق وتهيجا للعشق وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة الممشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع المفارقة فالغرض تهيج الشوق والشوق وإن كان ألما فقيه نوع لذة إذا اضاف إليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ والياس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب لشيء للرجو في هذا السماع تهيج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء القدر في الوصال مع الاطياب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال إن كان للشقاق إليه من يباح وصاله كمن يشق زوجته أو سرته فيصنئ إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر والسماع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباهات الدنيا ومتاعها وما الحياة إلا الهو ولعب وهذا من هو كذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسماع عوقه وأن يستجير به لذة رجاء الوصال فان باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما يمثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا أمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيج السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقاءه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يسمع صوته قارع إلا سمعته أوفيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه ووجه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوال من الكشافات واللاطفات لا يحيط الوصف بها يرقها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداما خوذ من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوال لم يكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المهيئين لله تعالى ونهاية ثمرات القربات كلها فالغرض إليها من جملة الكربات لا من جملة المعاصي واللباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النعمات الوزنة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبطا وانبساطا ومعركة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب الخنثى من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعته ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع ولذة العقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن فقدوها عديم لا محالة لذته ولملك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركا له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكد معرفته تأكد محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفردة ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق ربه لما رأوه يتخلى

للممكن بنفس اطعمات واستنارت وبانفت طبيعتها واحسنت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات ببعض ما يراه ومن هذا القبيل ما قل أن أبا محمد الرائي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلي فقد تطرق هذه النعمات مثل هذا الصلي فتدلى إليها النفس متمتعة بذلك فيزداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك لبعده النفس عن الروح في تمتعها فانها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها وجلبتها في بعدها توفر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الحلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تأكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الفلاة في حب أبواب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضى الله عنهم حتى يذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والمبالغة ومن المعبى أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والاسماع وسائر الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة التريا إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمحة من أنوار حضرة فليت شمرى كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأكد عند المعارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلمًا في حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بأشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه بأبصار الملاحظين لجمال حضرة ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأتى تطبيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسيأتى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل للتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه يفاض وجلد وجبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبة مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواء ومن حد هذا المشق أنه لا يقبل الشراكة وكل ما سوى هذا المشق فهو قابل للشراكة إذ كل محبوب سواء يتصور له نظير إما في الوجود وإما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازا محضاً لا حقيقة ، نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لقطة المشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لقطة المشق والشوق والوصال والأنس بل يجب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة الترجس والريحان وتخص بالقت والحشيش وأوراق القضاة فان الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تعديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فليتنبه لهذه الدقة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى أبوهريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقسام الروح من الفروح ويكون طروق الألحان صمعه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة النجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى المعال غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسة شرح الصدر بالإيمان والله المحسن للثان ولهذا قبل السماع لقوم كاللدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي «أقرأ أقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمع من غيري فافتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشيد وجثا بك على هؤلاء شهيدا - فاذا عيناه تهللن . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع

«أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل قال فمن خلق الأرض قالت الله عز وجل قال فمن خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فمن خلق القيم قالت الله عز وجل قال إني لأسمع قه شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع» وهكذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى نفسه من الوجد وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والتدب إليه في بعض المواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السميع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي السمع والسمع والسمع وآلة الإسماع المارض الأول أن يكون للسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخفى فتنته وهذا حرام لمخافه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الفناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في الهاورة من غير ألحان فلا يجوز معاورتها ومعاذتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا أن أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الجسيم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فان قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيئتها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة للماسة كتحرريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الفناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن لفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة قياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه هذا هو الأنيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو الخنثين وهي الزامير والأوتار وطبل السكوبة فهذه ثلاثة أنواع متنوعة وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلال والطبل والشاهين والضرب بالفضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والفحش والمجس أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالحنان

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

شفتيه عليه طويلا  
يكي وقال يا عمرهنا  
تسكب العبرات  
وللتمكن تعود إليه  
أقسام البكاء وفي ذلك  
فضيلة سألها النبي صلى  
الله عليه وسلم فقال  
« اللهم ارزقني عينين  
هطالتين » ويكون  
البكاء في الله فيكون لله  
ويكون بالله هو الأتم  
لمعونه إليه بوجود  
محتأف موهوب له  
من الكريم النان في  
مقام البقاء .

[ الباب الخامس  
والعشرون في القول في  
السماع تأدبا واعتناء ]  
ويتضمن هذا الباب  
آداب السماع وحكم  
التخريق وإشارات  
الشاخ في ذلك وما في  
ذلك من السأثور  
والهذور . مبني  
التصوف على الصدق  
في سائر الأحوال وهو  
جد كله لا ينبغي  
لصادق أن يتمدد  
الحضور في جمع يكون  
فيه سماع إلا بعد أن

وغير ألحان وللمسمع شريك للقاتل وكذلك ما فيه وصف امرأة بينها فانه لا يجوز وصف المرأة بين  
 بني الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه  
 ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجم الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسيب  
 وهو التشبيه بوصف الحدود والأسداغ وحسن القامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،  
 والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى السمع أن لا ينزله على امرأة معينة فان  
 نزله فليزله على من يحل له من زوجته وجاريته فان نزل على أجنبية فهو العاصي بالنزول وإجالة  
 التكرار فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يجنب السماع رأساً فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه  
 عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إذا ما من لفظ إلا ويمكن نثره على معان بطريق الاستعارة  
 فالذي يظن على قلبه حب الله تعالى يذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلة السكر وبضارة الحد نور الإيمان  
 ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر القراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة للرودين ويذكر الرقيب  
 للشوش روح الوصال عوائق الدنيا وآفات الشوكة لمولم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في نثر ذلك  
 عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق للعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن  
 بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الحيار عشرة بحبة فقلبه الوجد فسل عن ذلك  
 فقال إذا كان الحيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار واجتاز بعضهم في السوق فسمع قائلاً يقول يا سترى  
 فقلبه الوجد فقل له على ماذا كان وجدك فقال سمعته كأنه يقول اسع ترى حتى إن العجمي قد غلب  
 عليه الوجد على الآيات المنظومة بلغة العرب فان بعض حروفها يوازن الحروف السجمية فيفهم منها  
 معان أخر أشد بعضهم : وما زارني في الليل إلا خياله • تواجد عليه رجل أجهمي فسل عن سبب  
 وجده فقال إنه يقول مازاريم وهو كما يقول فان لفظ زار يدل في السجمية على الشرف على المهلاك  
 فقوم أنه يقول كلنا مشرفون على المهلاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحترق في حب  
 الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولقته  
 فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدد بأن يشوش عليه عقله وتضطرب عليه  
 أعضاؤه فاذن ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي أن يحترز  
 من السماع بأي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضربه الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني  
 اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة . العارض الرابع في السمع : وهو أن تكون الشهوة غالبية  
 عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسمع حرام عليه سواء غلب  
 على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والحد والقراق والوصال  
 إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة  
 وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيذ للعقل للناع منه الذي هو حزب الله  
 تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل  
 إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان  
 وغاب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها  
 وتشجيع سيوفها وأسننها والسمع مشدّد لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج  
 مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستضربه . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم

يخلص النية له تعالى  
 ويتوهم به مزيداً في  
 إرادته وطلبه ويحذر  
 من ميل النفس لشيء  
 من هواها ثم يقدم  
 الاستخارة للحضور  
 ويسأل الله تعالى إذا  
 عزم البركة فيه وإذا  
 حضر يلزم الصدق  
 والوقار بسكون  
 الأطراف قال أبو بكر  
 الكنانى رحمه الله  
 للسمع يجب أن يكون  
 في صماعة غير مستروح  
 إليه يهيج منه السماع  
 وجدا أو شوقاً أو غلبة  
 أو وارداً والوارد عليه  
 يفنيه عن كل حركة  
 وسكون ويتيق الصادق  
 استدعاء الوجد  
 ويجنب الحركة فيه  
 منها أمكن سبباً بحضرة  
 الشيوخ . حكى أن  
 شاباً كان يصحب الجنيد  
 رحمه الله وكلا مع  
 شيئاً زعق وتغير فقال له  
 يوماً إن ظهر منك شيء  
 بعد هذا فلا تصبني  
 فكان بعد ذلك يصبط  
 نفسه وربما كان من

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للتركين متفق عليه من حديث البراء  
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجم أوهاجهم وجبريل ملك .

يطلب عليه حب الله تعالى فيكون البيع له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه أيسر في حقه كسائر أنواع اللذات للباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفه الذي ترد شهادته فإن الواظبة على الله جناية وكأن الصغيرة بالاصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض الباحات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشرط نرج فانه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجته في بعض الأوقات لتنبث دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الحال على الخلد ولو استوعبت الحيلان الوجه لشوخته لما أقبح ذلك فيعود الحسن قبيحا بسبب الكثرة لما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الحزن مباح والاستكثار منه حرام فهذا للباح كسائر الباحات . فان قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يتبع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة للتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على الحرور الذي يستفتر به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا إنها حرام مع أنها محل لمن غص بلغمه أن يشربها مهما لم يمدغ غيرها ولكن هي من حيث إنها خمر حرام وإنما أيسر لعارض الحاجة والعسل من حيث إنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والبيع من جملة الباحات من حيث إنه مسمع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالي بمن يخالف بظهور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس بتحريم القضاء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا تجوز شهادته وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذ صنعة كان منسوبا إلى السفاهة وسقوط الرودة وإن لم يكن محرما بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى القضاء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرأ في الحال فيترنمها لم يسقط هذا مردونه ولم يبطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للبيع فقال الشافعي لأعلم أحد من علماء الحجاز كره البيع إلا ما كان منه في لأوصاف فأما الحداء وذكر الأطلال والرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فيباح وحيث قال إنه لمؤمكروه يشبه الباطل فقولوه لمؤمحيح ولكن اللهو من حيث إنه لمؤمحيح يحرم فلم لعب الحبشة ورقصهم لمؤم وقد كان عليه السلام ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لوقال هو باطل صريحا لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلا بعت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب واللطاية وليس

كل شعرة منه تخطئ قطرة صرق فما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق . قيل كان النصر اباضى رحمه الله كثير الولع بالبيع فموتب في ذلك قال نعم هو خير من أن تصد وتقتاب فقال له أبو عمرو ابن مجيد وغيره من إخوانه هيات يا أبا القاسم زلة في البيع شر من كذا كذا سنة تقتاب الناس وذلك أن زلة البيع إشارة إلى الله تعالى وترويح للحال بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها أنه يكذب على الله تعالى أنه وهب له شيئا وما وهب له والكذب على الله من أقبح الزلات ومنها أن يغرب بعض الحاضرين فيحسب به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التملك المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزول على بعض الواضع التي ذكرتها لك أو يزول على التنزيه فانه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر آتى أكره كل لعب وتعليه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يحرم للروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى الروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخبيسة فعليه يدل على أنه أراد بالكره التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغير من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لما ذكرناه حجة عليهم .

( بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها )

احتجوا بقوله تعالى - ومن الناس من يشتري لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضى الله عنهم إن لهو الحديث هو الماء وروى عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعمها ونمناها وتعليمها <sup>(١)</sup> » فنقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تنف للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية لملكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مال كسها مما عايناه عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضى الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس الزنا فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناققين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال فالاضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أئمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الغناء بلغة حمير يعنى السعد فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشتمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لاسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كقَالَ تعالى - والشعراء يتبعهم الغاوير - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقنى <sup>(٢)</sup> » فقد جمع بين الناحية والغناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نباحة داود عليه السلام ونباحة اللذين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمك <sup>(٣)</sup> » قلنا هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القاب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعمها ونمناها وتعليمها الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف قال البيهقي ليس بحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تقنى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب القردس من حديث على بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمك ابن أبي الدنيا في ذم اللامى والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فيقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومن أنه يحوج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس يباطله ويكون في الجمع من يرى بنور القراسة أنه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتنق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخلوقين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجوز في موضع واحد نص في الإباحة وللنح في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط وما أيسع فعله يحرم بعارض كثيرة حتى النيات والقصود . واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته <sup>(١)</sup> » قلنا قوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بمحرام بل يلحق بالمصور غير المحصور قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس <sup>(٢)</sup> » فكذلك ملاعبة امرأته لافائدة إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللذائبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يعنى مذبايت بهارسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر باليمن حراما إن كان هذا دليل لتحريم الفناء فمن أين ثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء ينبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما ينبت للماء البقل <sup>(٣)</sup> ورفع بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومروا على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع <sup>(٤)</sup> وقال التفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقية الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الرودة وإنه لينوب عن الحر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلمين فجنوبه النساء فان الفناء داعية الزنا فقول قول ابن مسعود رضي الله عنه ينبت النفاق أراد به في حق النفي فانه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجليلة وركوب الخيل المملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي موانع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مطيته فهذا النفاق من المباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لا أسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من

(١) حديث عقبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل قال المصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأوّلوي ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت وابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه الحديث ورفع أبو داود وقال هذا حديث منكر.

صارت حركته حركة الرتمش الذي لا يجد سبيلا إلى الإمساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس التي يدعو إليه داعية الطبع قهرا . قال السري : شرط الواحد في زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من القية ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورداثر عفات وهو في تمزيق الثياب أكد فان ذلك يكون إتلاف السال وإتفاق الحال وهكذا رمى الحرقه إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يحتجب فيها التكلف والرياء

حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من غياليهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضعه أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر ناهيا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزهه سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه (١) أقرى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب فلمه صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كاشغله العلم عن الصلاة بل الحاجة إلى استتارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أعمل بسماع يتقطع إدامات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ماعدها من الأقاويل القرية منه فهو منزل على سماع الفساق والفطنين من الشبان ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما التماس فضاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أو يقال هو لم يلب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لم يلب . قال عمر رضي الله عنه لزوجته إنما أنت لعبة في زاوية البيت وجميع اللعابة مع النساء لم يلب إلا الحرمة التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لا فحش فيه حلال تقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأي هو يزيد على الحبشة والزنج في لمبهم وقد ثبت بالنص إباحته على أني أقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه أعبله الفكر والقلوب إذا أكرهت عحيبت وترويحها إغاثة لها على الجدة فالمواظب على التفقة مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدة ولا يصبر على الجدة المحض والحق للرسول لا نقوس الأنبياء عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملا لفينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة السكال فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القريين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترددها بأشكال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه أعلام شغلت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف .

(الباب الثاني في آداب السماع وآثاره)

ولذا حفت النية فلا بأس بالقاء الحرقة إلى الحادى قد روى عن كعب بن زهير أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده آياتا التي أولها :  
بانت سعاد قلبي اليوم متبول  
حق انتهى إلى قوله فيها :  
إن الرسول لسيف يستضاء به  
مهند من سيوف الله مسلول  
قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرة آلاف فوجه إليه



اعلم أن أول درجة السماع فهم السمع وتزيله على معنى يقع المستمع ثم يشعر الفهم الوجد ويشعر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة . المقام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف أحوال السمع . وللمستمع أربعة أحوال : أحدها أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظته في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات وهذا مباح وهو أحسن رتب السماع إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة . الحالة الثانية أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تزليلهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن من أن تسلك فيها إلا ببيان حسنها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التحكن مرة . والتعذر أخرى وهذا سماع المريدين لاسيا للمتدين فان المريد لا محالة مراداً هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسرى وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مشاير عليها وحالات تستقبله في معاملاته فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو قضى للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحشرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشمل على وضعه الأشمار فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه فتشتمل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكرن له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله وليس على السمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ وللضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن السمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعانى من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى أن بعضهم سمع قائلاً يقول :

قال الرسول غدا تزور رقتل نعل ما تقول

فاستغزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول : قال الرسول غدا زور . حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجده م كان ؟ قال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١) » . وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن القوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تقى وتقول :

كل يوم تسلمون غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت النظرة ويديه ركوة وعليه مرقمة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فكانت الشاب يقول هذا والله تلوأتى مع الحق في حالى فشوق شهقة ومات . قال : قلنا قد استقبلنا فرض فوقنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .

ما كنت لأوتر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بن معوية إلى أولاده بشرين ألفا وأخذ البردة وهي البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة . وللتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأئيب في الصلوة والمعاشرية وكثير من السلف لم يكونوا يتمدون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه وتواطوا عليه ولا ينكره الشرع لوجه الانكار فيه فمن ذلك أن أحدهم إذا تحرك في السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورعى عمامته إلى الحادى فالتحسن عندهم موافقة الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك من متقدم وشيخ وإن كان ذلك من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصولاً عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء على سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه وانزى بإزاره وارتدى بآخر ومرت على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسعون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة محبته عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة وتأسفه على تغلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع صمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسألون غير هذا بك أحسن

ومن كان سمعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع اللريد للتبدي خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير مزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقط إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تغلب أحوال قلبه بل تغلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسطر قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقويه وتارة يبلينه وتارة يشبهه على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في العادة إنه ذو بداوات وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبته إلى التلون في قبوله ورده وتغييره وإبعاده وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى ككفر محض بل ينبغي أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للريد باعتقاد تقليدي إيماني وحصل للعارف البصير يتبين كسفي حقيقي وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للغير من غير تغيير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أرباب الوجد من يظلم عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتضاه للقلوب وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والبعيد لقلوب الجاحدين وللرورين فلا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار الجنانية متقدم ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة ساقطة ولكنه قال - ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين - وقال عز وجل - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يبالك أنه لم تختلف السابقة وهم في رتبة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لأنما ووجد الأدب - فانه لا يستل عما يفعل وهم يستلون - ولعمري تأدب اللسان والظاهر بما يقدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إخمار الاستعداد بهذا الاختلاف الظاهر في التريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضرة عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها ومشوق لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا بمن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأساً برأس في هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غاية ذلك ممصية وغاية الخطأ هنا كفر .

الشيخ فليس على الشيخ موافقة الشبان في ذلك وينسحب حكم الشيخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة للشبان فإذا عكسوا عن السماع ردت الواجد إلى خرقته ويوافق الحاضرون برفع المائم ثم ردت على الرءوس في الحال للموافقة والحرقة إذا رميت إلى الحادي هي للحادي إذا قصد إعطائه إياها وإن لم يقصد إعطائها للحادي قبل هي للحادي لأن المحرك هو ومنه صدر للوجد لمي الحرقة . وقال بعضهم هي للجمع والحادي واحد منهم لأن المحرك قول الحادي مع بركة الجمع في إحداث الوجد وإحداث الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادي واحداً منهما في ذلك . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيطلب الوجد على مستمعين ليبت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر غطىء أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبحان جبار السما إن الحب لفي عنا

فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوى البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصديق كلام محب غير ممكن من الراد بل مصدود متعب بالصد والمجهر ، والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشر بخطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فاختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم . وحكى عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في اللاء عطشا ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم ينعهم ذلك فقالوا له لماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسنع في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذى فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة للتعطش إليه فان المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها فان مكن منها تعطش إلى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلى رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وجكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فان الدنيا مكاره خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظاهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عبرة (١) » كما ورد في الخبر وكما قال التلميذ في وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تخطبها ولا تخطبن قتالة من تناكح  
فليس يفرجوها بخوفها ومكروها إما تأملت راجع  
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا وعندى لها وصف لعمري صالح  
سلاف قصارها زعاف ومركب شهي إذا استدلته فهو جامع  
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والعنى الثانى : أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فانه إذا تفكر فمرفته جهل إذا قدروا الله حق قدره وطاعته رياء إذ لا يتقى الله حق تقاته وجهه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بعبود نفسه فى مصادق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة (٣) » وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حيرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أي كثير مرسل (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثانى من الأذكار .

يوم بدر من وقف  
بمكان كذا فله كذا  
ومن قتل فله كذا ومن  
أسرفه كذا ففسارح  
الشبان وأقام الشيوخ  
والوجوه عند الرايات  
فما فتح الله على المسلمين  
طلب الشبان أن يحمل  
ذلك لهم فقال الشيوخ  
كنا ظهرا لكم وردنا  
فلا تذهبوا بالفتنم  
دوتنا فأنزل الله تعالى  
- يستلونك عن  
الأقال قلى الأقال فله  
والرسول - قسم  
النبي صلى الله عليه وسلم  
بينهم بالسوية . وقيل  
إذا كان القول من  
القوم يحمل كواحد  
منهم وإذا لم يكن من  
القوم لما كان له قيمة  
يؤثر به وما كان من  
خرق الفقراء يقسم  
بينهم . وقيل إذا كان  
القول أحيرا فليس له  
منها شيء وإن كان  
متبرعا يؤثر بذلك وكل  
هذا إذا لم يكن هناك  
شيخ يحكم فأما إذا  
كان هناك شيخ يهاب

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قريبا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويقي ورامه قرب لانها ياله إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللغنى الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا القصور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمتع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تنزيهه على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع وصفاء قلبه .

الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فمزب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتي قطمن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفى فكأنه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد للشهود وفنى أيضا عن الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن الشهود فالمتشبه بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بهار رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره والتلذذ لا خبر له من التذاذة وإنما خبره من التلذذ به فقط ومثاله العلم بالشئ فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشئ فالعالم بالشئ مهمما ورده عليه العلم بالعلم بالشئ كان معرضا عن الشئ ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوق وتطرا أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطفئه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك منزلا تحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوق في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يمدونها ويبيع البيت إلى القداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماء وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات السكالم وهي بمنزلة صفات البشرية وهو نوع قصور وإنما السكالم أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتخذ بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفنى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراها سر الروح الذى هو من أمرائه عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورق الحجر فتشابه فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وهذا مقام من مقامات علوم الكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق

ويعتدل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى فقد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفضل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القهوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الإتيار بما خرج منه لئله في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تمزيق الحرقه المبروكة التي مزقها واحد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يعتمد إمساكه فتيهم في تفرقتها وتمزيقها التبرك بالحرقه لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الحرقه أثر من آثار الوجد فصارت الحرقه متأثرة بأثر رباني من حضاها أن تقدى بالنفوس

وحوله يدندن كلام النصارى فى دعوى اتحاد الالهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهى غلط من يحكم على المرأة بصورة الحجرة إذ ظهر فيها لون الحجرة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم للعامة فلترجع إلى الغرض قد ذكرنا تفاوت الدرجات فى فهم للسموعات . القام الثانى : بعد الفهم والتزيل الوجد . وللمناس كلام طويل فى حقيقة الوجد أعنى الصوفية والحكماء الناظرين فى وجه مناسبة السماع للأرواح فلنقتل من أقوالهم ألفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصرى رحمه الله فى السماع إنه وارد حق جاء بزعم القلوب إلى الحق فمن أضنى إليه بحق تحقق ومن أضنى إليه بنفس ترندق فكانه عبر عن الوجد بازعاج القلوب إلى الحق وهو الذى يحمده عند ورود وارد السماع إذسمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسين الدراج مخبرا عما وجدته فى السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جبال بنى السماع فى ميادين البهاء فأوجدنى وجود الحق عند العطاء فسقانى بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجنى إلى رياض التنزه والفضاء . وقال الشبل رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبادة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يندى عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكى لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده للؤمنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابى الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فناؤك من حيث أنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالقيس فلما ذاقوه وسطح فى قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالملائق والأسباب لأن النفس معجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص القلب ذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت الوعظة فيه وحل من اللجج فى محل قريب وخوطب وصمغ الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فتشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزيج أو خوف مقلق أو تويخ على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو دواع إلى واجب أو مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والقيس بالقيس والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق للسمى فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذ كان هو البتدى . بالنم والتولى وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس فى الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال بعضهم نتائج السماع استنباط العاجز من الرأى واستجلاب المازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عذب وينهض ما هجز ويصفو ما كدر ويمرح فى كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يخطئ وقال آخر كما أن الفكر يطرُق العلم إلى العلوم فالسمع يطرُق القلب إلى العالم الروحانى . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقل والعاشق العقل لا يحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمى بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجنين والإشارة وهذه نواطق أجمع إلا أنهار روحانية وأما العاشق البهيمى فإنه يستعمل النطق الجرمى ليعبر به

وترك على الروس  
إسكراما واعزازا :  
تضوع أرواح نجد  
من ثيابهم  
يوم القدوم لقرب  
العهد بالدار  
كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يستقبل  
القيث ويتبرك به  
ويقول حديث عهد  
بربه فالخرقة للزفة  
حديثه العهد فحكم  
المجروحة أن تفرق على  
الحاضرين وحكم  
ما يتبعها من الحرق  
الصالح أن يحكم فيها  
الشيخ إن خصص  
بشيء منها بعض الفقهاء  
فله ذلك وإن خرقها  
خرقا فله ذلك ولا يقال  
هذا تحريط وسرف  
فإن الخرقة الصغيرة  
ينفع بها فى موضعها  
عند الحاجات  
كالكبيرة . وروى  
عن أمير المؤمنين على  
ابن أبى طالب رضى الله  
عنه أنه قال « أهدى  
لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم حلة حرير

عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الألبان فان النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته ونقائه من الغش والدنس . والأفاويل للقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى الاستكثار من إيرادها فلنشتغل بتفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فانها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبهات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقومها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر مسمى وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه قديقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبية والسماع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فان إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملوكوت كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم للعامة وذلك كما روى عن محمد ابن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهالي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم مامررت به إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجمعه خالق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم العباداني أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزولوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبقي القوم فرضعت الطعام وماذاقوا والله منه لقمة ، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تتمثل اللاشككة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غفرجت فيها فقال لي ما كنت لأكره لنفسى شيئا أرضاء لك نشقة ما بين النساء خمرها وفي رواية أنيته ققلت ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها خمرها بين القواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحري وهذا وجه في السنة لتزريق الثوب وجعله خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية بنسبهم اجتمعوا في دعوة فوكت الحرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري قسمت الحرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف وإضاعة للمال فسمع أبو القاسم

وإما على مثال بما حكى صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١) وهو المراد بقوله تعالى - علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد عبر عن ذلك الاطلاع بالنفوس ولذلك قال **عليه السلام** « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (٢) وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول مامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع لي أنه يهودى نسلكهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أى شئ قال الشيخ في فاحتشموه فألج عليهم فقالوا له قال إنك يهودى قال فجاءنى وأكب على يدي وقبل رأسى وأسلم وقال نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق فني هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٣) وإنا نعوهم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فانها امرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وبقوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئا فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت في قلبي  
هوى قد كان مشتركا أما ترى لمكتتب إذا ضحك الحلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذى يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذى النون على قلبه أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذى يراه حين يقوم هو الجسم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس ، فاذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقته وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقة ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقة فلا تستبعد ذلك فانك تجد في أحوالك القرية لذلك شواهد . أما العلم فممن قفيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقا في الحكم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالدوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تاله العبارة وهذا مما قد تظن أنه

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة  
(٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حديث غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القشيري ولم يقل شيئا  
حق فرغت القصة ثم  
استدعى الخادم وقال  
انظر في الجمع من معه  
سجادة خرق اثنتى بها  
جفاء - بسجادة ثم  
أحضر رجلا من أهل  
الحبرة فقال هذه  
السجادة بك تشتري  
في المزاد؟ قال بدينار قال  
ولو كانت قطعة واحدة  
كم تساوى قال نصف  
دينار ثم التفت إلى  
الشيخ أبى محمد وقال  
هذا لا يسمى اضاءة  
للأل والحرق للمزقة  
تقسم على جميع  
الحاضرين من كان  
من الجنس أو من غير  
الجنس إذا كان حسن  
الظن بالقوم معتقدا  
للتبرك بالحرق .  
روى طارق بن  
شهاب أن أهل البصرة  
غزوا نهاوند وأمدم  
أهل الكوفة وعلى  
أهل الكوفة عمار بن  
ياسر فظهروا وأراد  
أهل البصرة أن  
لا يقسموا لأهل

الكوفة من النعمة  
شيئا فقال رجل من  
بنى تميم لعمار أبيها  
الأجدع تريد أن  
تشاركنا في غنائنا  
فكتب إلى عمر بذلك  
فكتب عمر رضى  
الله عنه أن النعمة  
لمن شهد الواقعة وذهب  
بعضهم إلى أن المجرع  
من الحرق يقسم على  
الجمع وما كان من  
ذلك صحيحا يعطى  
للقوال . واستدل بما  
روى عن أبي قتادة  
قال لما وضعت الحرب  
أوزارها يوم حنين  
وفرغنا من اقوم قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « من قتل  
قتيلا فله سلبه » وهذا  
له وجه في الحرق  
الصحيحة فأما المجرعة  
فحكما اسهام  
الحاضرين والقسمه  
لهم ولو دخل على الجمع  
وقت القسمه من  
لم يكن حاضرا قسم  
له . روى أبو موسى  
الأشعري رضى الله

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فحكم من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذى يصبح  
فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينسى ذلك السبب  
ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التى يحسها سرورا ثبت في نفسه بتفكره في  
سبب موجب للسرور أو حزنا فينسى التفكر فيه ويحس بالأثر عقيب وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة  
لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة لمقصده عن القصور بل ذوق الشعر  
الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص به بعض الناس دون بعض وهى حالة يدركها صاحب  
الدوق بحيث لا يشك فيها أعنى التفرقة بين الوزون والتزخف فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح مقصوده به  
لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعانى المشهورة من الخوف والحزن والسرور  
إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النغمات التى ليست بمفهومة فأنها تؤثر في النفس  
تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن هجائب تلك الآثار وقديمر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه  
الاشتاق إليه فهو عجب والذى اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدرك إلى ماذا  
يشتاق ويمجد في نفسه حاله كأنها تقاضى أمرا ليس يدرك ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على  
قلبه لاجب آدمى ولا حب الله تعالى وهذا لاسر وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة الاشتاق وهو  
نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فان وجدت  
الصفة التى بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشتاق  
ووجدت الصفة للشوق وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أو رث ذلك دهشة وحيرة لاعماله ولو نشأ  
آدمى وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة  
لكان يحس من نفسه نار الشهوة ولكن لا يدرك أنه يشتاق إلى الوقاع لأنه ليس يدرك صورة  
الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمى مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التى وعد  
بها في سدره النتهى والفراديس العلى إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذى  
سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة  
لا يعرف بالمقايسة فالسباع يحرك منه الشوق والجهل للفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه  
ربه وأنساه مستقره الذى إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرك ما هو  
فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالتخفى الذى لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من  
الأحوال التى لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى  
ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى  
التواجد وهذا التواجد للتكلف فنه مذموم وهو الذى يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع  
الافلاس منها ومنه ماهو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها  
بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن (١) فان هذه الأحوال قد تتكلف  
مبادئها ثم تتحقق أو آخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير التكلف في الآخرة طبعاً  
وكل من تعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفاً وبقروءه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك  
ديدنا للسان مطرداً حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه  
بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجهود شديد ثم

(١) حديث البكاء عند قراءة القرآن فان لم تبكوا فبأكوا ، تقدم في تلاوة القرآن في الباب الثانى .



تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لاسيلاً إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو الراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذا الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند قدحها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهده في العادات من انتهى أن يشق شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى غشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فاشتبه به ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قدحها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالثناء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسره أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالة الصالحين والخائفين والحسينين والشتائين والحاشين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك . حب من أحبك وحب من يقرئني إلى حبك » (١) قد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن وانقسامه إلى التكلف وإلى المطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق الخلق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والانتعاش والحشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » (٢) وقال لابي موسى الأشعري « لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود عليه السلام » (٣) . وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخواتها » (٤) خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشهيد

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأقسم لنا ولم يسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم في السماع كتره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى للدارة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ القدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري برخص قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي إجازة قال حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى مزاراً من مزامير آل داود قاله لابي موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتني هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي جحيفة وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدموع (١) وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أوترى عنده - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فأتهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أنشأ الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالركة قرأ - فإذا قرأ في النافور - فصق ومات في محرابه رحمه الله وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرمل فشق ومات وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون - فغشى عليه وسمع على ابن الفضل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فمقط مغشيا عليه فقال الفضل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزعى الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واجمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقوم بمثل هذا يخاطب الأجاب يردد ذلك مرارا . وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشى عليه فقلت أقرءوا عليه تلك الآية بعينها فقرأت فأذق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل مخلوق فمخلوق أبصر ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجملت أرددها فإذا هانف ينتف في كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفعا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو طي النبالى للشبلي : ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرحع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق سمك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه . وسمع رجلا من أهل التصوف قارئا يقرأ - يا أيها النفس

عبد العزيزين صهيب  
عن أنس قال كنا عند  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إذ نزل عليه  
جبريل عليه السلام  
فقال يا رسول الله إن  
قراء أمك يدخلون  
الجنة قبل الأغنياء  
بنصف يوم وهو  
خمسائة عام فخرج  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال هل  
فيكم من ينشدنا فقال  
بدوى نعم يا رسول الله  
فقال هات فأنشأ  
الأعرابي :

قد لست حية الهوى  
كبدى

فلا طيب لها ولا راق  
إلا الحبيب الذي  
شفعت به

فعنده رقيق وترياق  
فتواجد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وتواجد الأصحاب معه  
حتى سقط رداؤه عن  
منكبه فلما فرغوا أوى  
كل واحد منهم إلى  
مكانه قال معاوية بن  
أبي سفيان ما أحسن

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه فلما انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أمة  
بشيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حسبك الحديث متفق عليه من حديثه (٢)  
أنه قرأ - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدي في  
الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣)  
حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فأتهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤)  
حديث أنه كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥)  
حديث أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل أبو داود والترمذي والنسائي في التماثل من حديث عبد الله  
ابن الشخير وقد تقدم .

الطمشة ارجى إلى ربك راضية مرضية - فاستعاضها من القارىء - وفل كم أقول لها ارجى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع بكربن معاذ قارئا يقرأ - وأنذرهم يوم الآزفة - الآية فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشى عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا السماء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فرث به رجل على الشاطئ يقرأ - وامتا زوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاتشمر جلده فأحبه سلمان وقده فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأتاه بموده فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : رأيت تلك التشعيرة التي كانت بي فانها أنتنى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجلة لا يغلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله كمثل الذى ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسميها قال جعفر الخلدي دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد بقيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشق الرجل شقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الفناء من القوالين دون القارئين فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في خلق القراء لخلق للفنين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من الفناء لا محالة . فاعلم أن الفناء أعد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال السمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملائمه له فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام لليراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المهرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسع لغيرها ومعه يتقظ وذكاء ثابت يتفطن به للعانى البعيدة من الألفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت المخرج إلى الوصية وأن كل إنسان لابد أن يخاف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المهيوبين للثاني ويهجرهما جميعا فينقلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشقيقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدموتنا فلان شك بأنه ينظر لنا فيبيع منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الله كركبونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لانتهلهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله ، وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لان الرجال تحقيقا فيخشى أن يحب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى في أموال الدنيا فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبة مستغرقة قاهرة والآخر تفتن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتثنية بالأمور القريبة على العانى البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع إلى الفناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة

لعبكم يا رسول الله فقال  
مه يا معاوية ليس بكريم  
من لم يهتز عند سماع  
ذكر الحبيب ثم قسم  
رداءه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على من  
حاضرهم بأربعة قطعة  
فهذا الحديث أورثناه  
مسندا كما سمعناه  
ووجدناه وقد تكلم  
في صحته أصحاب الحديث  
وما وجدنا شيئا نقل  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يشاكل  
وجد أهل الزمان  
وسماعهم واجتماعهم  
وهيئتهم إلا هذا وما  
أحسنه من حجة  
للمصوية وأهل الزمان  
في سماعهم وتمزيقهم  
الحرق وقسمتها أن  
لوصح والله أعلم وبخالف  
سرى أنه غير صحيح  
ولم أجد فيه ذوق  
اجتماع النبي صلى الله  
عليه وسلم مع أصحابه  
وما كانوا يعتمدونه  
على ما بلغنا في هذا  
الحديث وبأبي القلب  
قبوله والله أعلم  
بذلك .

في دعوى فجرى بينهم مسألة في العلم وأهـ والحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في قن  
ذكرت إلها ودعها سالحا وبكت حزنا فهاجت حزني  
فبصكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني  
ولقد أشكو لها أفهما ولقد تشكو لها نهمني  
غير أن بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال لما بقي أحد من القوم لإقام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا . الوجه الثاني : أن القرآن محفوظ لأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكما سمع أولا عظم أثره في القلوب وفي السكرة الثانية يضعف أثره وفي الثالثة يكاد يسقط أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحده له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا وليس بقدر القارى . على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون فقال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أفسى من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للرون عليه وقلة التأثير به لما حصل له من الأنى بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيكي ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لغة ولكل طارىء صدمة ومع كل مألوف أنسى يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقديقيم بمكة شهرا ولا يحسن من ذلك في نفسه بأثر فاذا المعنى يقدر على الآيات القرية في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولوزحف المعنى البيت الذي ينشده أولحن فيه أو مال على حديثك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده ومعايه ونفريطه لعدم المناسبة وإذا نقر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والديستانتات وإنما اختلاف تلك الطرق عند المقصور وقصر المدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل قصصه ومداه والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي يسيبه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما في الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التي لا تفهم . الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[ الباب السادس  
والشعرون في خاصية  
الأربعينية التي  
يتأهدها الصوفية ]  
ليس مطلوب القوم  
من الأربعين شيئا  
خصوصا لا يطلبونه في  
غيرها ولكن لما  
طرقهم غافلات حكم  
الأوقات أحبوا تقييد  
الوقت بالأربعين  
رجاء أن ينسحب حكم  
الأربعين على جميع  
زمانهم فيكونوا في  
جميع أوقاتهم كهيئة  
في الأربعين على أن  
الأربعين خصت بالذكر  
في قول رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « من  
أخلص لله أربعين  
صباحا ظهرت ينابيع  
الحكمة من قلبه على  
لسانه » وقد خص الله  
تعالى الأربعين بالذكر  
في قصة موسى عليه  
السلام وأمره بتخصيص  
الأربعين بمزيد تبتل  
قال الله تعالى « وواعدنا  
موسى ثلاثين ليلة  
وآمعناها بعشر فتم »

صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو له عند العامة وصورة صورة الله عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها الله بل ينبغي أن يقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الراقبون لأحوالهم فيعدل إلى الفناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال «أظهروا النكاح ولو بضرب الغراب» (١) أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشمر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنين فسمع إحداهن تقول وفينا نهر سلم ما في غد على وجه الفناء فقال صلى الله عليه وسلم ودعى هذا وقولي ما كنت تقولين (٢) وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردّها إلى الفناء الذي هو لهو لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فإذا اعتذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محرراً للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى الفناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية المدول عن شهادة النبوة إلى الفناء. الوجه السادس: أن الغنى قد ينشئ بيت لا يوافق حال السامع في فكره وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقاً لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا توافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال، فأيات الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء للقرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فإذا لا يؤمن أن لا يوافق القارئ الحال وتكرهه النفس فيعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه فلا احتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى. وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيافته عن ذلك، وهذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الفناء عن سماع القرآن. وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال: القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيئته لتصدعت ودهشت وتحيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لأن نسبة الحقوق والشعر نسبة الحظوظ فإذا علت الألحان والأصوات بما في الآيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضاً كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق فمادامت البشرية أقيمت ونعم بصفاتنا وحظوظنا تنتم بالنفحات الشجية والأصوات الطيبة فإنبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره. وقد حكى عن أبي الحسن الدراج أنه قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المهراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل علي وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف في العرس تقدم في النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يثنين الحديث البخاري من حديثها وقد تقدم في النكاح.

مقات ربه أربعين ليلة - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلفه فقنوه كعبود خرنوب قتالت له اللاتكة كنانهم من فيك رائحة السك ففسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلفك فم الصائم أطيب عندى من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت قلت من بغداد فقال وما الذى جاء بك قلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشترى لك داراً أو جارية أكان يقصدك ذلك عن المحبى قلت ما امتحنى الله بشئ من ذلك ولو امتحنى ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لى أحسن أن تقول عينا قلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائما في قطيعي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

كأنى بهم واليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ اليت لا يننى

قال فأطبق الصحف ولم يزل يكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم أهل الرى يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في للصحف لم تنظر من عيني قطرة وقد قامت القيامة على لهدذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولنكونه مشا كلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذى النون للصبرى دخل عليه رجل فرآه وهو ينسكت في الأرض بأصبعه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن تترنم بى ؟ فقال لا قال فأنت بلا قلب إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والنعمة تحريكاً لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام الأول في فهم المسموع وتنزيله وحكم القام الثانى فى الوجد الذى يصادف فى القلب ، فلنذكر الآن أثر الوجد أعنى ما يترشح منه إلى الظاهر من صفة وبكاء وحركة وتغزيق ثوب وغيره فنقول :

(المقام الثالث من السماع)

تذكر فيه آداب السماع ظاهرها وباطنها وما يحمد من آثار الوجود وما يمد ، فأما الآداب فهي خمس جل الأول : مراعاة الزمان والمكان والاخوان . قال الحنيد : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع الزمان والمكان والاخوان ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لافائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له . وأما للمكان فقد يكون شارعا مطروقا أو موضعا كربه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك . وأما الاخوان فسيبه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع مترهذ الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستغلا في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجود والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع .

الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله يريدون بضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن مع فليشتغلهم بشغل آخر والريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة أقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا ينيه فانه ليس من أهل اللهو فليهو ولا من أهل الذوق فينتقم بذوق السماع ، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ والاتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائه فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم

بالتهازل وأكله بالليل  
بل طوى الأربعين  
من غير أكل فدل على  
أن خلو المعدة من  
الطعام أصل كبير في  
الباب حق احتاج موسى  
إلى ذلك مستبداً لكاملة  
الله تعالى والعلوم  
اللدنية في قلوب  
المتقنين إلى الله تعالى  
ضرب من الكاملة  
ومن اقتطع إلى الله  
أربعين يوماً غلصاً  
متاهناً فله بخرقة  
المعدة يفتح الله عليه  
العلوم الدنية كما أخبر  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بذلك غير  
أن تعيين الأربعين  
من اللذة في قول رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وفي أمر الله تعالى موسى  
عليه السلام بذلك  
والتحديد والتقييد  
بالأربعين لحكمة فيه  
ولا يطلع أحد على حقيقة  
ذلك إلا الأنبياء إذا  
عرفهم الحق ذلك أو من  
يخصه الله تعالى  
بمعرف ذلك من غير

ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولأن قلبه بدمالوث بحب الدنيا وحب الحمدة والثناء ولأنه يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضمء عنه قال الجنيد : رأيت إياي في النوم قلت له هل تظفر من أصحابنا شيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لورأيت أنما قلت له ما أحققك من مع منة إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصفيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التنحن والثأوب ويجلس مطرفا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق قلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والراءة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل ماعنه بد فان غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولأن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسى القلب عديم الصفاء والركة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر زعق فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فعكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشقق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ففرق واحد منهم ثوبه أوقيصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النضر اباضى لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يتأبوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تقتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسمع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو الرابط للحق وللإلزام لعين الشهود فهذا لاتغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضى الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطبق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فإذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يظلم أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أنهم وجدوا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أم وجدنا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقليل له في ذلك فقال - وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في اللسكوت

الأنبياء ويوحى في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد تكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا خمر طينته ليعبد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتوق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرايته تغير عنده شيء . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجلين يديه - فالיום لا يؤخرنكم فدية - الآية فأرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك مع مرة قوله تعالى - للملك يومئذ الحق لرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضعف قليله فان كان هذا من الضعف فاقوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يثقيه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالتي قبل الصلاة وبعدها واحدة لأنه كان مراعيًا لقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده إذ يكون وجهه دائمًا وعطشه متصلًا وشربه مستمرًا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كإروى أن عمشاد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قالوا فسكنوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلني ولا شفي بعض ما بي . وقال الجنيد رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنتم من فضل الوجد فان قلت فثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخلا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس السكاه بالوجد الظاهر فيعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعًا لهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون من غير جماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس معهم وبعضهم تقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو تركه لئلا يكون مشغولا بما لا يمينه وبعضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تابا كي فهو مباح إذا لم يقصد به للراءة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون (١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تريبتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت مني وأنا منك فاجعل علي وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وراءه حجل علي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فاجعل زيدا وراء حجل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالتها تحتها والحالة والدة (٢) » وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « أتحبين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون للفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا والرقص يزيد ويؤكد فمحمود وإن كان مباحا فهو مباح وإن كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمنصب الأكابر وأهل القدوة لأنه

(١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت مني وأنا منك فاجعل وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فاجعل وراءه حجل علي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فاجعل الحديث أبو داود من حديث علي باسناد حسن وهو عند البخاري دون فاجعل .

ومواطن القرب إذ لولم يتوق بهذا الحجاب ما صمرت الدنيا فأنزل البعد عن مقام القرب فيه لمصارعة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والاتزاع عن التوجه إلى أمر اللماش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع على قدر زوال كل حجاب يجذب ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فاقبلت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود



في الآ كثر يكون عن لحو ولعب وماله صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدي به  
 لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الاقتداء به . وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن  
 الاختيار ولا يمد أن يظلم الوجه بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لعلبة سكر الوجد عليه أو يدري  
 ولكن يكون كالمنظر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره إذ يكون له  
 في الحركة أو التمزيق متنفس فيضطر إليه اضطرار للرخص إلى الأني ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه  
 مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة  
 ولو كلف الانسان أن يمسك النفس ساعة لا يضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس فكذلك الرخصة  
 وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم قد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد  
 الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر  
 عليه ولم يرجع ومعناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت فثاقول  
 في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعاً صفراً  
 ويفرقونها على القوم ويسمونهم الحرقه . فأعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب  
 والتجادات فان السكران يمزق حتى يغط منه القميص ولا يكون ذلك تضييماً لأنه تمزيق لفرس  
 وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والفرقة على الجميع ليم ذلك الخير  
 مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون  
 القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاق وإنما منعنا في السماع التمزيق للفرد الذي يهلك بعضه  
 بحيث لا يبقى متفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام  
 إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف . أوقام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له  
 الجماعة فلا بد من للموافقة فذلك من آداب الصحة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على  
 موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه  
 الأمور من حسن الصحة والعشرة إذا مخالفتها موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)  
 كما ورد في الخبر لاسيما إذا كانت أخلاقاً فيها حسن العشرة والجمالة وتطيب القلب بالمساعدة وقول  
 القائل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة رضي الله عنهم  
 وإنما المندور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النبي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول  
 للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض  
 الأحوال (٢) كما رواه أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا نرى به بأساً في البلاد التي جرت  
 العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والاكرام وتطيب القلب به وكذلك سائر  
 أنواع المساعدات إذا قصد بها تطيب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن  
 المساعدة إلا فيما ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستعمل  
 رقصه ولا يشوش عليهم أجوالهم إذا رقص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع  
 منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لاستتفله الطباع قلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب  
 محك للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال سمعت قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

النفس وحديثها  
 ما ظهرت العلوم الالهية  
 لأن حديث النفس  
 وطاء وجودي لقبول  
 الأنوار وما للقلب في  
 ذاته لقبول العلم شيء  
 وقول رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم «ظهرت  
 ينابيع الحكمة من  
 قلبه على لسانه» أشار  
 إلى القلب باعتبار أن  
 للقلب وجهاً إلى النفس  
 باعتبار توجهه إلى عالم  
 الشهادة وله وجه إلى  
 الروح باعتبار توجهه  
 إلى عالم الغيب فيستمد  
 القلب العلوم للكونية  
 في النفس ويخرجها  
 إلى اللسان الذي هو  
 ترجمانه فظهور العلوم  
 من القلب لأنها متأسمة  
 فيه فللقلب والروح  
 مراتب من قرب اللهم  
 سبحانه وتعالى فوق  
 رتب الانعام فالعبد  
 باقطاعه إلى الله تعالى  
 واعتزال الناس يقطع  
 مسافات وجوده  
 ويستنبط من معدن  
 نفسه جواهر العلوم

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خالفوا الناس بأخلاقهم الحديث قال  
 صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض  
 الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصحة .

أشكلا غير أزداد . فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو  
ومخالف للدين فلا يراه ذو وجد في الدين إلا ويشكره . فاعلم أن الجدل لا يزيد على جد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في المسجد وما أنكروه لما كان في وقت لا ترق به وهو العيد ومن  
شخص لا ترق به وهم الحبشة نعم نكرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً مقروناً باللهو واللعب واللهو واللعب مباح  
ولكن للعوام من الزوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه لدوى الناصب لأنه لا يليق بهم وما كره  
لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيراً شيئاً فأعطاه رغباً  
كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكاً فأعطاه رغباً أو رغبين لكان ذلك منكراً عند الناس  
كافة ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعبر به أعقاباً وأشياءه ومع هذا فلا يجوز أن يقال  
ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خيراً للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمع كالمع بالإضافة  
إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباعات ومباحات العوام سيئات الأبرار  
وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى الناصب وأما إذا نظر إليه في نفسه  
وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد  
يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً وقد يكون مكروهاً وقد يكون مستحباً أما الحرام فهو لاكثر الناس من  
الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات  
الذمومة وأما المكروه فهو لمن ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على  
سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غلب عليه  
حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

### ﴿ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بجمعه . ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه وورفه . والصلاة  
على سيد الأنبياء محمد رسول الله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .  
[أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو الملم الذي أتم الله له  
النيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله تعطلت النبوة وأضمحلَّت الديانة وعمت الفترة  
وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستمرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا  
بالهلاك إلا يوم التناد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإن الله وإنا إليهم راجعون . إذ قد اندرس من هذا  
القطب عمله وعلمه . وانعقد بالكلية حقيقته ورسمه . فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانعجت  
عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض  
مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سعى في تلافى هذه الفترة وسد هذه الثغرة إما متكفلاً  
بعملاً أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرّاً في إحيائها كان مستأثراً  
من بين الخلق بأحياء سنة أفضى الزمان إلى إمانتها . ومستبداً بقرية تتضائل درجات القرب دون  
ذروتها . وهانحن نشرح علمه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر وقضيلته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

وقد ورد في الخبر  
« الناس معادن كعادن  
الذهب والفضة خيارهم  
في الجاهلية خيارهم في  
الاسلام إذا قهوا »  
ففي كل يوم بإخلاصه  
في العمل لله يكشف  
طبقة من الطباق  
التراية الجلية للعبدة  
عن الله تعالى إلى أن  
يكشف باستكمال  
الأربعين أربعين طبقة  
في كل يوم طبقة من  
أطباق حجاب آية  
حجة هذا المبدوع علامة  
تأثره بالأربعين ووفاته  
بشروط الاخلاص أن  
يزهد بعد الأربعين في  
الدنيا ويتجافى عن  
دار القرور وينيب إلى  
دار الخلود لأن الزهد  
في الدنيا من ضرورة  
ظهور الحكمة ومن  
لم يزهد في الدنيا  
ما ظفر بالحكمة ومن  
لم يظفر بالحكمة بعد  
الأربعين تبين أنه قد  
أخلّ بالشروط ولم  
يخلص لله تعالى ومن  
لم يخلص لله ما عبد

( كتاب الأمر بالمعروف )

النكرات المألوفة في العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .  
( الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته )

الله لأن الله تعالى  
أمرنا بالاخلاص كما  
أمرنا بالعمل فقال  
تعالى - وما أمروا إلا  
ليعبدوا الله مخلصين له  
الدين - أخبرنا الشيخ  
طاهر بن أبي الفضل  
إجازة قال أنا أبو بكر  
أحمد بن خلف إجازة  
قال أنا أبو عبد الرحمن  
السلي قال أنا  
أبو منصور الضبي قال  
ثنا محمد بن أشرس  
قال ثنا حفص بن  
عبد الله قال ثنا إبراهيم  
ابن طهمان عن عاصم  
عن زر عن صفوان  
ابن عسال رضى الله  
عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا  
كان يوم القيامة يحى  
الإخلاص والشرك  
يحنون بين يدي الرب  
من وجل ، فيقول  
الرب للإخلاص انطلق  
أنت وأهلك إلى الجنة  
ويقول للشرك انطلق  
أنت وأهلك إلى النار »  
وهكذا الاستناد قال  
السلي سمعت علي بن

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :  
ف قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم  
الفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن  
الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم الفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا  
قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم  
أمة فإذا قام بها واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين  
وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون هم الحرج كافة القادرين عليه لاحالة وقال تعالى - ليسوا سواء من أهل  
الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون  
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد  
الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون  
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - وقد نفت  
للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
خارج عن هؤلاء المؤمنين للمؤمنين في هذه الآية ، وقال تعالى - لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على  
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه  
لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال من  
وجل - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - وهذا يدل على فضيلة الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسوا  
ما ذكروا به أبعينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعباد بئس بما كانوا يفعلون - فبين  
أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن مكناهم  
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقرن ذلك بالصلاة  
والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم  
والعدوان - وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب  
الامكان وقال تعالى - لولا نهيهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا  
يصنعون - فبين أنهم أئموا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون  
عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم لإقلالهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى  
- يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالمسطر شهداء لله ولوطي أنفسكم أو الوالدين والأقربين - وذلك هو  
الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف  
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى  
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة  
فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال - فقاتلوا التي تبغي حق تقي إلى أمر الله وذلك هو النهي عن  
المنكر . وأما الأخبار : فلها ما روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

( الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف )

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعذبهم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الخشني « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (٢) - فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شعرا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم قتنا قطع الليل الظلم للتمسك فيها بمثل الذي أتمم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يارسل الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فينشد عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) » معناه تسقط مباحاتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنهك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجة قال رب وثقت بك وفرقت من الناس (٦) » وقال ﷺ « يا أيكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بذلك إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غصن البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أودكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في العزلة (٢) حديث أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم البزار من حديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشك أن يعذبكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وانها وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصر على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدري من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث يا أيكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت إبراهيم الشفيق وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الحفاف وسأله عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن على الهجيمي عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه<sup>(١)</sup> » وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله قال نعم وإذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكائن ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون يقول الله تعالى في حلفت لأتبعن لهم فتنه بصير الخليم فيها حيران<sup>(٢)</sup> » وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ولا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه<sup>(٣)</sup> » قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له<sup>(٤)</sup> » وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواقف التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال اللعنة تنزل على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بأنه عاجز ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم للمنكرات في الأسواق والأعياد والجماع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ماسح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمنزل منازل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والحير قد اندرس ورأوا أنه لا يقبل عن تكلم ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعزيبهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلطون منه فرأوا أن يحاوره السباع وأكل البقول خير من محاورة هؤلاء في نصيحهم ثم قرأ - قروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين - قال فقروا قوما فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر قلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فبنا ان اللعنة عليهم السلام لتلقاهم وتصفاهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها أين أمرت فتخبره وليس بنبي . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر مصيبة فكرها ففكرها فكان غاب عنها

(١) حديث إن الله لا يذب الحامة بذنوب العامة حتى يروا المنكر الحديث أحمد من حديث عدى ابن عميرة وفيه من لم يسم والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه (٢) حديث أنى أمانة كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفق شبابكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك كائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه قال كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصر على الأسئلة الثلاثة الأولى وأجوبتها دون الآخرين وإسناده ضعيف (٣) حديث عكرمة عن ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن (٤) حديث لا ينبغي لامرئ أن يشهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد لا يمتنعن رجلا هيئة الناس أن يقول الحق إذا علمه .

ما هو ؟ قال هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادي فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس إذ النفس بطبعها كارهة للخلوة مبالغة إلى مخالطة الخلق فإذا أزعجها عن مقام عاداتها وجلسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة في القلب . قال ذوالنون رحمه الله : لم أر شيئا أبغى على الاخلاص من الخلوة ، ومن أحب الخلوة ، قد استمسك بمودد الاخلاص وظفر بركن من أركان الصدق . وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامسك اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت . وقال يحيى ابن معاذ رحمه الله الوحدة منية الصديقين ومن الناس من يبتعث من باطنه داعية الخلوة

ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها (١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا انقضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس النابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيت ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة هريثرون ما يعملون فقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينههم ويخبرهم بقبائح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يعرون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقتلهم فقلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشببتهم فسبونى وقتلتهم فقلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر قتلهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث قتلهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو شببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصلوني ولو شببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل بم يا رسول الله قال بتها ونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يصك طرفه عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمرق ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يعضون فقه ولا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أى عبادك أحب إليك قال الذى يتسرع إلى هوى كما يتسرع النسر إلى هواه والذى يكلف بعبادى الصالحين كما يكلف الصبي بالبدى والذى يغضب إذا أتيت محارمى كما يغضب النمر لنفسه فان التمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبو ذر الغفارى

(١) حديث أبي هريرة من حضر معصية فسكرها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبى سليمان قال البخارى منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتها ونهم وسكوتهم عن معاصي الله البزار والطبرانى بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب وضعفه وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعا وروى ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يعضبوا لتضيي فكانوا يؤا كلونهم ويشاربونهم

وتنجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدلى على كمال الاستعداد . وقد روى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فباحدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرى قال أنا جعفر بن الحكاه للكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو البغوى قال أنا اسحق الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة بن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يعيشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزيت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله واللبضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الرفقة فوق الرفقات فوق غرف الشهداء للرفقة منها ثلثمائة ألف باب من الباقوت والرمز الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف معي كما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أئذك يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر <sup>(١)</sup> » وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت « يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش <sup>(٢)</sup> » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر <sup>(٣)</sup> » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشئ القوم قوم لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر <sup>(٤)</sup> » . أما الآثار : فقد قال أبو البرداء رضي الله عنه : لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تتصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر المنكر يده ولا لسانه ولا يقبله . وقال مالك بن دينار كان جبر من أخبار بني إسرائيل يشي الرجال والنساء منزله يعظمهم ويدكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيهم يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فاقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر آتى لأخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلا يا بني مهلا وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء فذكر الحديث وفيه قال هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحديث بطوله لم أقفله على أصل وهو منكر (٢) حديث أبي عبيدة قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث البزار مقتصرا على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف (٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن ولله الحاشا في الاستدراك وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله (٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بن عبد الله وأما حديث عمر فأغار إليه أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والخصية من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فينتح  
فيه الليالي ذوات العدد  
ويتزود لذلك ثم يرجع  
إلى خديجة فيزود  
لثلاثها حتى جاءه الحق  
وهو في غار حراء فجاءه  
الملك فيه فقال اقرأ  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ما أنا  
بقاري فأخذني فغطني  
حتى بلغ من الجهد ثم  
أرسلني فقال اقرأ قلت  
ما أنا بقاري فأخذني  
فغطني الثانية حتى بلغ  
من الجهد ثم أرسلني  
فقال اقرأ قلت ما أنا  
بقاري فأخذني فغطني  
الثالثة حتى بلغ من  
الجهد ثم أرسلني فقال  
اقرأ باسم ربك الذي  
خلق خلق الإنسان  
من علق حتى بلغ ما لم  
يعلم فرجع بها رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
رجف بوادره حتى  
دخل على خديجة فقال  
زملوني زملوني فزملوه  
حتى ذهب عنه الروع  
فقال لخديجة مالي  
وأخبرها الخبر فقال

وبيناهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يفضوا لفضي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد : إن المصيبة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضررت بالامة ، وقال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . قال كعب إن التوراة لتقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتى العمال ثم قدم عنهم فيقبله لوأتينهم فلعلهم يجدون فى أنفسهم فقال أرباب إن تكلمت أن يروا أن الذى بنى غير الذى بنى وإن سكت رهبت أن آثم وهذا يدل على أن من هجر عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك للوضع ويستتر عنه حتى لا يجرى بمشاهدة منه ، وقال طى بن أبى طالب رضى الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسنة ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيماء عبد عمل فى شئ من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو بمنى قد قام لله فى زمانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بمنهاو الغاية فى حقه ، وقيل للفضيل ألا تأمر ونهى ؟ فقال ان قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أوصوا ، وقيل للثورى ألا تأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلذلك ذكر الآن شروطه وشروط وجوبه .

( الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه )

اعلم أن الأركان فى الحسبة التى هى عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة المختص والمختص عليه والمختص فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

### ( الركن الأول المختص )

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والمأجور ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والريق والمرأة ، فلذلك كروجه اشتراط ما اشتراطناه ووجه أطراح ما أطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعى إلا العقل حتى إن الضبي الزاهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر اللهاى وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أئمتنا للعبد وآحاد الرعية نعم فى النع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل الشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستغربه فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر . وأما الشرط الثانى : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يختص ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى - أأأمرون الناس بالبر وهمون أنفسهم -

( الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه )

قد خشيت على عقلى  
فقلت كلا أجبرفوا الله  
ما يغزيك الله أبداً  
إنك لتصل الرحم  
وتصدق الحديث  
وتعمل الكل وتنكس  
للمعصية وتقرى الضيف  
وتعين على نواب الحق  
ثم انطلقت به خديجة  
رضى الله عنها حتى أتت  
به ورقة بن نوفل  
وكان امرأاً تنصر فى  
الجاهلية وكان يكتب  
الكتاب العبرانى  
فيكتب من الانجيل  
بالعبرانية ما شاء الله أن  
يكتب وكان شيخا  
كثيراً قد عمى فقالت  
له خديجة يا عم اسمع  
من ابن أخيك فقال  
ورقة يا ابن أخى ماذا  
ترى فأخبره الخبر  
رشول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
هذا هو الناموس  
الذى أنزل على موسى  
يألتنى فيها جذعا ليتنى  
أكون حياً إذ يخرجك  
قومك فقال رسول الله



وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مررت ليلة أسرى بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار ققلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأته ونهيه عن الشر ونأته (١) » وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن اتعظت ففظ الناس وإلا فاستحي مني ، وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاعتناء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظل والعود أعوج وكل مذكروه خيالات وإنما الحق أن الفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن تقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء ، ولهذا قال سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأعجب مالكا ذلك من سعيد ابن جبير وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للابن الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول : وهل لشارب الخمر أن يفرض الكفار ويحتسب عليهم بالنهي من الكفر فإن قالوا لا ، خرقوا الاجماع إذ جنود المسلمين لم تنزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لافي عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول : شارب الخمر هل له للنهي من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا فما الفرق بينهما وبين لابس الحرير إذ جازله للنهي من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لابس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلامه وخدمه من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن أين يلزم من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان النهي واجبا على فمن أين يسقط وجوبه باقدا متى إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي . فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما يرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير يرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير فالقول يرتب أحدهما على الآخر تحكم ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم دون الصلاة . وأما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما . فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وهذا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشعنه كل طبع سليم . فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مررت ليلة أسرى بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم .

صلى الله عليه وسلم  
أو خرجي هم قال ورقة  
نم إنه لم يأت أحد قط  
بما جئت به إلا عودي  
وأودى وإن يدركني  
يومك أنصرك نصرا  
مؤزرا وحدث جابر  
ابن عبد الله رضي الله  
عنه قال سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
وهو يحدث عن مرة  
الوحي فقال في حديثه  
« فينبأنا أمشي سمعت  
صوتا من السماء فرفعت  
رأسي فإذا الملك الذي  
جاءني بحراء جالس  
على كرسى بين السماء  
والأرض فجئت منه  
ربعا فرجعت ققلت  
زملوني زملوني  
فأنزل الله  
تعالى - يا أيها المدثر  
فأنذر - إلى - والرجز  
فاهجر - » وقد نقل أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ذهب مرارا  
كي يردى نفسه من  
شواحق الجبال فكلمها  
وأنذرت جبل لكي  
يلقى نفسه منه تبدي له

الدليل دون قرة الأوهام والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشف وجهك واجب أو مباح أو حرام فان علم أنه واجب فهو الفرض لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم إنه مباح فإذن له أن يقول ما هو مباح فامعنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقداه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما قرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسيئين : أحدهما أنه ترك الأثم واعتزل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك اللهم إلى ما لا يفي فتفر عن ترك الأثم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتخرج عن تناول طعام منصوب وهو مواظب على الربا وكما تنفر عمن يتصاون عن النية ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور الخش وأشد من النية التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك النية ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لامن حيث إنه أتى بالأقل فمن غضب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس قهرت عنه الطباع ويرى مسيئا إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكرو ولكن للنكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه وتركه الأثم بما دونه فكذلك حبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبه من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالهوى بالوعظ وتارة بالقهر ولا يجمع وعظ من لا يمتنع أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذا لا فائدة في وعظه فالتسقي يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتعم القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعا وإذا كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يمتنع وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في الشبهة وأما الآيات التي استدلو بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم المعروف لامن حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم أهمل لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - للراد به الوعد الكاذب وقوله عز وجل - وتنفسون أنفسكم - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لامن حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيذا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي من لا يدل على تحريم وعظ الغير بل مضاه استحي من فلا ترك الأثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك ولا فاستحي . فان قيل فليجز للكافر الذي أن يحتسب على المسلم إذا رآه زنى لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام  
قال يا محمد إنك  
لرسول الله حقا فيسكن  
لك ذلك جاشعوا إذا طالت  
عليه قرة الوحى عاد  
مثل ذلك فيبتدى له  
جبريل فيقول له مثل  
ذلك فهذه الأخبار  
المنبهة عن بدء أمر  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم هي الأصل  
في إشار الشايخ الحلوة  
للرديدين والطالبين  
فانهم إذا أخلصوا الله  
تعالى في خلواتهم يفتح  
الله عليهم ما يؤنسهم في  
خلواتهم بموضا من الله  
إيام عما تركوا لأجله  
ثم خلوة القوم مستمرة  
ولما الأربعة عشر  
واستكملها له أثر  
ظاهر في ظهور مبادئ  
بشائر الحق سبحانه  
وتعالى ومنسوح مواهبه  
السنية .

[الباب السابع]  
وانثرون في ذكر  
فوج الأربعينية [ وقد غلط في طريق  
الحلوة والأربعينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على السلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالدلالة منه فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث إنه نهى بل نقول إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بغرور الدين وفيه نظر استوفياء في الفقهيات ولا يليق بضرنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاتحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف مالم يخرج الإمام المصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دماءهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحكمكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لاتحاد الرعية إلا بتفويض من الولي وصاحب الأمر . فنقول أما الكافر فمنع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما اتحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والعرف وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كمن التلميم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر بمجهله لا يحتاج إلى إذن والى وفيه عز الإرشاد وعلى العرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهى . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجري هذا الجرى . والرابع اللع بالقرع بطريق المباشرة ككسر اللهاى وإراقة الحجر واختطاف الثوب الحرير من لباسه واستلاب الثوب المنسوب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمنع عما هو عليه كاللواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجز ذلك إلى قتال وسائر الراتب لا يخفى وجه استغنائه عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر<sup>(١)</sup> كما ورد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللهاى وإراقة الخمر فانه تماطى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهد فلم يقتصر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرّفوا الكلام  
عن مواضع ودخل  
عليهم الشيطان  
وقنع عليهم بابا  
من التورود ودخلوا  
الحلوة على غير أصل  
مستقيم من تأدية حق  
الحلوة بالاخلاص  
وسمعوا أن الشايخ  
والصوفية كانت لهم  
خلوات وظهرت لهم  
وقائع وكوشفوا بسرائر  
وعجائب فدخلوا الحلوة  
لطلب ذلك وهذا عين  
الاعتلال ومحض  
الضلال وإنما القوم  
اختاروا الحلوة  
والوحدة لسلامة الدين  
وتفقد أحوال النفس  
وإخلاص العمل لله  
تعالى . قل عن أبى  
غمر والأنماطى أنه قال  
لن يصفوا لما قل فهم  
الأخير إلا بإحكامه  
ما يجب عليه من  
إصلاح الحال الأول  
والنواظب التي ينبغي أن  
يعرف منها أمزاد هو  
أم متفحص فقله أن  
يطلب مواضع الحلوة

قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذلك وإن كان ساخطاً له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فلينتكره يده فإن لم يستطع فليسهان فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضغف الإيعان <sup>(١)</sup> » فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فليبه بردائه ثم هزم وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء الماكف فيه والباد - من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لأنه من موالهم فقال أعبد الله بن مرزوق ؟ قال نعم فأخذ فضبه به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضوا سيء الخلق يعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صبروه إلى بيت وأغلق عليه وأخذ الهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به الهدي فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضج الهدي وصاح وقال ما تخاف أن أقتلك فرفع عبد الله رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أو موتاً فما زال محبوساً حتى مات للهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلاصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها . وروى عن سليمان بن عبد الله قال نزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تفتي فتعسن فجتا بها قال فجاءت ففتت فلم يعمد غناها فقال لها ما شأنك فقالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئنا بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخاً يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فإنه طلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس يغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبه أمير المؤمنين فقال له اسمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مررت على شيخ يلقط النوى فقات له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبث إليه ونناظره أولاً فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدما من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح قداموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كفه السكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من كلك وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائى الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائكم فقال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كفه نوى قلت له اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين

(١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعاً من رأى منكراً الحديث رواه مسلم .

لكي لا يعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريد .  
أبنا طاهر بن أبي الفضل إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة قال أبنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عبد الله المغربي يقول من اختار الخلوة على الصلابة فينبغي أن يكون خالياً من جميع الأفكار إلا ذكر ربه عز وجل وخالياً من جميع المراتبات إلا المراتب ربه وخالياً من مطالبات النفس من جميع الأسباب فإن لم يكن بهذه الصفة فإن خلوته توقه في فتنة أو بلية .  
أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر إجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصوراً يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق وقال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ووجدت شرهما في الكثرة والاختلاط

فقال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأنى شئ صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على النبر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوائه ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيت يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وإن رأيت لا يكلم أحدا فاعطه البدره ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يحالها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لأمر المؤمنين ردها من حيث أخذها . وروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن همى فى يديه هموما كلها كثرته لديه  
تهين الكرمين لها بصفر وتكرم كل من هانت عليه  
إذا استغثت عن شئ فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثورى رحمه الله قال حج المهدى سنة ست وستين ومائة فرأيت يرمى جمرة العقبة والناس يخطبون عينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أين عن وائل عن قدامة ابن عبد الله السكلاوى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على رجل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك (١) وها أنت يخط الناس بين يديك عينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثورى فقال يا سفیان لو كان النصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك النصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال قيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاخفى . وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا عتسب بيشى فى الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغنى أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمرك وكان المأمون جالسا على كرسى ينظر فى كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه قصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال إما رفعت أو أذنت لى حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمسكن غير أننا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمررون بالمعروف - الآية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٢) وقد مكنت فى الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان أئذنت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما ألزمتك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة يوم النحر على رجل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه وأما قوله فى أوله إن الثورى قال حج المهدى سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثورى توفى سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث أبى موسى وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة .

فمن دخل الحلوة معتلا  
فى دخوله دخل عليه  
الشیطان وسـوـل له  
أنواع الطغیان وامتهلا  
من الفرور والحال فظن  
أنه على حسن الحال فقد  
دخلت الفتنة على قوم  
دخلوا الحلوة بغير  
شروطها وأقبلوا على  
ذكر من الأذکار  
واستجموا نفوسهم  
بالعزلة عن الحلوة  
ومنعوا الشواغل من  
الحواس كفعل  
الرهابین والبراهمة  
والفلاسفة والوحدة فى  
جمع لهم لها تأثير فى  
صفاء الباطن مطلقا  
كان من ذلك بحسن  
سیاسة الشرع وصدق  
المتابعة لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنتج  
تنوير القلب والزهدي  
الدنيا وحلاوة الله كـ  
والعاملة لله بالاخلاص  
من الصلاة والتلاوة  
وغير ذلك وما كان  
من ذلك من غير  
سیاسة الشرع ومتابعة  
رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قل الآن ما شئت فأعجب المؤمن بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يان الدليل على الاستفتاء عن الأذن. فإن قيل أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والمبد على الولي والزوجة على الزوج والتبذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما ثبت للوالد على الولد والمبد على المبد والزوجة على الزوج والأستاذ على التبذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ولن فرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتبنا للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالطف وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخريان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظره هو بأن يكسر مثلا عوده ويريق حمرة ويحل الحيوط عن ثيابه للنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجمعه في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقة أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويطل الصور النقوشة على حيطانه وللنقوشة في خشب بيته ويكسر أو أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للبطل والحرام والأظهر في القياس أنه ثبت لولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح النكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان للنكر فاحشا وسخطا عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للنكر قريبا والسخط شديدا كالأول كانت له آنية من بور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسر هاتين مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه للحسبة مجرى الحجر وغيره فهذا كله مجال النظر . فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما النهي عن التأنيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب النكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولله أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل آية الكافر بل لوقطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابله . وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع<sup>(١)</sup> فإذا لم يجزله إيذاؤه بقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بقوبة هي منع عن جناية مستقبله متوقعة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في المبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريان من الولد في زوم الحق وإن كان ملك العيين آكد من ملك النكاح ولكن في الخبر أنه «لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»<sup>(٢)</sup> وهذا يدل على تأكيدها الحق أيضا وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها مع إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظره من حيث إن المجهوم على أخذ الأموال من خزائنه وردها إلى الملاك وعلى تحليل الحيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت على المنكر<sup>(٣)</sup> فقد تمارض فيه أيضا لمخدوران والأمر فيه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستمان به على اكتساب علوم الرياضة مما يقتضي به الفلاسفة والمهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال للقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرباطية أو بما قد يترامى له من صدق الحاضر وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن أنه فاز بالقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من التصاري والبراهمة وليس هو التصود من الحلول بقول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسفة ويثبتين ما سيحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل آية الكافر وأنه لوقطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت: لم أجده في الإحداث لا يقاد الوالد بالولد رواء الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النهي عن الإنكار

إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاشئ المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التليذ والأستاذ فالأمر فيها بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ الفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يعتب على والده فقال يعظه ما لم يعضب فان غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فان لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق بما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يغف مكروها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليفت إلى معنيين : أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعا والآخر خوف مكروه . ويحصل من اعتبار العنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع للنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحصة بل ربما تحرم في بعض الواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مبهمة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه . الحالة الثانية أن يتنى للنيان جميعا بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحصة لعدم فائدتها ولكن تستحب لأظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الحمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة محتطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بمحرم بل هو مستحب ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة الحق . ويدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلت أني أقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يترين التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لوجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحصة ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام ودخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكره قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقاده في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبه للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز

على السلطان جبهة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ يده فليخل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى إلى الله عليه والذي له قال صحيح الإسناد ولترمذى وحسنه من حديث أبي بكر من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض .

في حاله عدم ذلك وإنما يقدح في حاله الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد إيقانهم والداعى لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقه واستطائه على الناس وازدراؤه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن أن القصد من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نموذجاته من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات

للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان حسبه تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبة فهذا مما لا يرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويفديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفظه فائدة وذلك بشرط أن يقتصر للسكران عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه محذور عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الأظهر لأن القصد عدم منكر الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلامع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو تشرب أولاده الخمر لإعوازم الشراب الحلال فلامعنى لاراقته ذلك ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكروا وأما شرب الخمر فهو المعلوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس يعيد فإن هذه مسائل قفية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يعد أن يفرق بين درجات المنكر الغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغير فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذب إنسانا وأكله فلامعنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله وهذه الدقائق تقول : العاقل ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الحليات المألوفة كشراب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يظن به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد فالعاقل إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتدب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانتته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الحلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله فإن قيل وحيث أطلقم العلم بأن يصيه مكروه أو أنه لا تنفيذ حسبه فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا : الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعنه بل المأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فإن قيل فالمنكر الذي يتوقع مكروهه لا يفيد فإن كان غالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فإن ذلك ممكن في كل حصة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروهه والمنكر الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها ويشبهونها بوقائع الشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر فمنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم : رأى قاي ربي ، وقد يصل إلى هذا المقام تارة بأحياء الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وبوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يادته الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مباداة من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول وتكون عبادته الصلوات



والأول أصح نظرا إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف فان قيل فالمتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه والتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزواج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما السكالم في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في الزواج بتفريط أو إفراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرائته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته في الأقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلة جهل أوصف وزول الجهل بالتجربة وزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تككما حتى يصير معتادا إذ البتدى في المناظرة والوعظ مثلا قد يجنب عنه طبعه لضعفه فإذا مارس واعتاد فأزقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام على من يغاب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فان قيل فالمكروه المتوقع ماحده فان الانسان قديكره كلمة وقديكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالنبيه ومامن شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يتضرر بقده فيه فاحذر المكروه الذي يسقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة وبجارية كثيرة ولكننا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه فنقول المكروه تقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم . وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فإذا التطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسبب تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ريع الملهات وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تمويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه فوات إمكانه كأنه فوات حصوله فرجع للمكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة . أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذة خوفا من أن يقيح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لا يس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدارته في المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله

المحتسب يستنها الراتية  
فحسب وسائر أوقاته  
مشغولة بالذكر الواحد  
لا يتخللها فتور ولا  
يوجد منه قصور ولا  
يزال يردد ذلك الذكر  
ملتزما به حتى في طريق  
الوضوء وساعة الأكل  
لا يفتر عنه . واختار  
جماعة من المشايخ من  
الذكر كلمة لا إله إلا الله  
وهذه الكلمة لها  
خاصية في تنوير الباطن  
وجمع الهم إذا دام  
عليها صادق مخلص  
وهي من مواهب الحق  
لهذه الأمة وفيها خاصة  
لهذه الأمة فيما حدثنا  
شيخنا ضياء الدين  
إسماعيل قال أنا  
أبو القاسم الدمشقي  
الحافظ قال أنا  
عبد الكريم بن  
الحسين قال أنا  
عبد الوهاب الدمشقي  
قال أنا محمد بن خريم  
قال ثنا هشام بن  
عمار قال ثنا الوليد  
ابن مسلم قال أنا  
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على النكر كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن تأخره شدة الضى به وطول المرض وقد يفضى إلى الموت وأعنى بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يعد أن يرخص في ترك الحسبة وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا مطلقا واحدا ولا قدرته على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على النكر محذور ولا يعد أن يرجع أحدها ويختلف ذلك بتفاحش النكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فمكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه واقتصر في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات جوعا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرخص له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤديه شرير ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاء يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستغنى فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالأخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مدهانة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعته وصارفه أنه الدين أو الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في قلعة خاطر أو قلعة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد . وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة فقواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربه مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يحتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيلاء بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يهدى دينه بدنيته ولكل واحد من الضرب والتهب حد في القلة لا يكثر به كالحسبة في المال واللطمة الخفيف ألما في الضرب وحد في السكرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه فقواته بأن يضرب ضربه غير مؤلم أو يسب على ملائمة الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قاذح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يجبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في السرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى قوات دربهات قليلة فهذه درجة . الثانية ما يجبر عنه بالجاء المحض وعلو الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجعل وكذلك الركوب للخيول

عن أبيه أن عيسى ابن حريم عليه السلام قال : رب أنبئني عن هذه الأمة للرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفاء أقياء حلاء أصفاء حكماء سكاثم أنبياء يرضون منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم بالسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم تذلل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في السوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكنتا للأمين أنت عبيد ورسولي حيثك التوكل ليس بخط ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتباد هو مثلها أو كلف الشيء رجلا وعادته الركوب فهذا من جملة الزايا وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ الرودة محمود فلا ينبغي أن يستطو وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجمل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لأنهم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتغيبه أو سقوط للزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن الكتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية في حق الكتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بمرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكيد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابل إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له . وأما امتناعه لحوف شيء من هذه المسكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسمع في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فانه إن كان ما يغوث من حقوقهم يغوث على طريق المعصية كالضرب والتبليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر وإن كان يغوث لا بطريق المعصية فهو إيذاء للسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطة من كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكاته في القلب وقدحه في العرض . فان قيل فله قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فان قتلهم يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا . قلنا نعمه عنه ويقاومه إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الترضي حسم سبيل المنكر والمعصية وقلته في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أنا نقدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقلته في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المعاصي . فان قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حسم باب المعصية . قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكننا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : أحدها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الأحاد . الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وأمسكه العود والخمر فباطل هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤدي إلى معصية أغثن منها أو مثلها وذلك يثبت للأحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقفا كالتدب بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرب

ولا يحزى بالسيئة السيئة ولكن يغيث ويغفر ويصفح ولن أقبضه حتى تمام به الله للمعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويغفروا أعينا عينا وآذاننا صما وقلوبنا غلغا فلا يزال المبد في خلوته يردم هذه الكلمة على لسانهم مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزينة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشرها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تجوهر في القلب ويتجوهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرها ويتخذ الدهر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الدات

إلا بطريق الوعظ والنصح تأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للأسياد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالمادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فانهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم باقامتهم من اللوضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لاهل معصية منتظرة .

### ( الركن الثاني للحسبة مافيه الحسبة )

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للفتحسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهد فلهذه أربعة شروط فلنبحث عنها . الأول : كونه منكرا ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيبا أو مجنونا يشرب الخمر فعليه أن يريق خمرة ويمنعه وكذا إن رأى مجنونا زنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لاعاصي بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغار ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظريسياتي في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجودا في الحال وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس إلى الآحاد وقد اتقرض المنكر واحتراز عما سيجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلاحسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يحز وعظه أيضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق ولتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للفتحسب بغير تجسس : فشكل من ستر معصية في داره وأغلق بابها لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فانت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسست . وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد آسورت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها - وما سلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط بمدلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فما حد الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بعيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزمار والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاءي وكذا

وهذا الذكر هو  
الشاهدة والمكاشفة  
والمعينة أعني ذكر  
الذات بتجوهر نور  
الذكر وهذا هو  
المقصد الأقصى من  
الخلوة وقد يحصل  
هذا من الخلوة لا بذكر  
الكلمة بل بتلاوة  
القرآن إذا أكثر من  
التلاوة واجتهد في  
مواظاة القلب مع  
السان حتى تجرى  
التلاوة على اللسان  
ويقوم معنى الكلام  
مقام حديث النفس  
فيدخل على العبد  
سهولة في التلاوة  
والصلاة ويتنور  
الباطن بتلك السهولة  
في التلاوة والصلاة  
ويتجوهر نور الكلام  
في القلب ويكون منه  
أيضا ذكر الذات  
ويجتمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فاذا نمتا يدرك مع غلغل الحيطان صوت أوراعمة فاذا فاحت روائح الخمر فان احتمل أن يكون ذلك من الخمر المحترمة فلا يجوز قصدتها بالإراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تسترققارورة الخمر في الكم وتحت الدليل وكذلك اللامهي فاذا رؤى فاسق وتحت ذيله شيء لم يحز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقها لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالا لا أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكسر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكه إذا كان الثوب الساتر له رقيقة فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالة فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستمر استر الله ونسكر على من أبدى لنا صفتته والإبداء له درجات فخارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل للراد العلم وهذه الحواس أيضا تفيد العلم فاذا نمتا يجوز أن يكسر ماتحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات للعرفة فالأماراة للعرفة إن حصلت وأورثت للعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الأماراة للعرفة فلا رخصة فيه أصلا. الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتihad فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للعنف أن ينسك على الشافعي أكله الضب والضبيج ومتروك التسمية ولا للشافعي أن ينسك على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسك وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لورأى الشافعي شافيا يشرب النبيذ وينسك بلا ولي ويظا زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانكار إذ لم ينسب أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتihad غيره ولا أن الذي أدى اجتihadه في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أنه أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من للذهاب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذا نمتا مخالفتة للمقلد متفق على كونه منكرا بين المصلين وهو عاص بالخالفه إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو أنه يجوز للحنفي أن يترضى على الشافعي إذا نسك بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالأقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجمع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوجته أبوه إياها في صغره ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته فهو في الأقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال في علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهله ولا شك في أنه لو علّق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا رآه بجامعها فليعنعن باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طاعت منه ثلاثا وكونهما غير حاصين لجهلها بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون

في القلب مع مطالعة  
عظمة للتكلم سبحانه  
وتعالى ودون هذه  
للهيبة ما يفتح على  
العبد من العلوم  
الالهامية القدنية وإلى  
حين بلوغ العبد هذا  
البلغ من حقيقة الذكر  
والتلاوة إذا صفا باطنه  
قد يضيء في الله كرم  
كأن أنه وحلاوة  
ذكره حتى يلتحق في  
غيته في الذكر بالنام  
وقد تتجلى له الحقائق  
في لبسة الخيال أولا  
كما تنكشف الحقائق  
للتنام في لبسة الخيال  
كمن رأى في المنام أنه  
قتل حية فيقول له  
المبر تظفر بالعدو وتظفره  
بالعدو هو كشف  
كاشفه الحق تعالى به  
وهذا الظفر روح  
مجرد صاغ ملك الرؤيا  
له جسدا لهذا الروح

وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مما هو منكرو عند أقوم إن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لمعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله إنما هو منكرو عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى فى النكاح بلاولى وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون التعرض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل قضية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا فى الحال ولنا قطع خطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا فى معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لاحسبة إلا فى مثل الحر والحزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر فى حق المجتهد إذ يعطى البعد أن يجتهد فى القبة ويعترف بظهور القبة عنده فى جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به وولطه لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يعترض على الحنفى فى النكاح بلاولى لأنه يرى أنه حق فينبى أن لا يعترض على المعزلى فى قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوى فى قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا ينبى أن يعترض على الفيلسفى فى قوله الأجساد لا تبتع وإنما تبتع النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كمشكلة النكاح بلاولى ومشكلة شفعة الجوار ونظارها . فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الأفعال فى الحل والحرم والحرمة وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطأهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحد كمشكلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لحطه الذى هو جهل بمحض وجهه فاذن البدع كلها ينبى أن تحسم أبوابها وتبصر على البدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ فى مظان الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضتا على القدرى فى قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا فى قوله الشر من الله وكذلك فى قولك : إن الله يرى وفى سائر المسائل إذ البدع حق عند نفسه والحق مبتدع عند البدع وكل يدعى أنه حق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أننا لأجل هذا التعارض نقول ينظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة ضرية والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن اتهم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحاد الحسبة فى المذاهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر البدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فإن ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الأحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ولكن ينبى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا يشجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من بصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الأحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط .

من خيال الحية فالروح  
الذى هو كشف الظفر  
أخبار الحق ولبسة  
الخيال الذى هو بمثابة  
الجسد مثال انبث  
من نفس الرأى  
فى المنام من استصحاب  
القوة الوهمية  
والخيالية من اليقظة  
فتألف روح كشف  
الظفر مع جسد مثال  
الحية فافتقر إلى التعبير  
إذ لو كشف بالحقيقة  
التي هى روح الظفر  
من غير هذا المثال  
الذى هو بمثابة الجسد  
ما احتاج إلى التعبير  
فكان يرى الظفر  
وبصرح الظفر وقد  
يتجرد الخيال  
باستصحاب الخيال  
والوهم من اليقظة فى  
النوم من غير حقيقة  
فيكون المنام أضغاث  
أحلام لا يبرو وقد يتجرد

## ( الركن الثالث : المحتسب عليه )

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل المنوع منه في حقه منكرا أو أقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا. ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منعه منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكننا لسنأملت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه القيم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الانكار عليه لا ما بها يتبينها للتفاصيل . فإن قلت فاكثف بكونه حيوانا ولا تشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكننا تمنعها منه كما تمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة . فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لأوجهها إذا حسبة عبارة عن المنع عن منكرا لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والإنسان إذا ألتف زرع غيره منع منه لحقين : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بأذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بأذنه فنثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا ألتفت فقد عذمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أننا لسنأ قصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظاً للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لمنع الجرة من السقوط فإنا لا قصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ومنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لصيانة للبهيمة المائية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتزويجها له من حيث إنه إنسان محترم فهذه لطائف دققة لا يتفطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك ويستعرض لما نشير إليه في الباب الثالث . فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مالاً لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه . فإن قلتم إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره طول عمره. وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير . فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لتكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جوارح لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدى غيره بنفسه نعم الإيثار مستحب وتجنش المصاعب لأجل المسلمين قربة فأما إيجابها فلا فاذن إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السمي في ذلك واسكن إذا كان لا يتعب بتنبية صاحب الزرع من نومه أو بأعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لارخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحلوة الخيال  
التيث من ذاته من  
غير أن يكون وعاء  
لحقيقة فلا يبنى على  
ذلك ولا يلتفت إليه  
فليس ذلك واقعة وإنما  
هو خيال فأما إذا غاب  
الصادق فيه ذكر الله  
تعالى حتى يئيب عن  
المحسوس بحيث لو  
دخل عليه داخل من  
الناس لا يعلم به لنيته  
في الذكر فمند ذلك قد  
ينبث في الابتداء من  
نفسه مثال وخال  
ينفع فيه روح  
الكشف فاذا عاين  
غيبته فإما يأتية تخسيرة  
من باطنه موهبة من  
الله تعالى وإما يخسره  
له شيخه كما يسر للمبر  
الناس ويكون ذلك  
واقعة لأنه كشف  
حقيقة في لبسة مثال  
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منفته في مدة اشتغاله باخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع ينفوته مال كثير فيترجع جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هو معصية كانهصب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب النع منه وإن كان فيه تعب ما لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وطى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المخذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا : إحداهما أن الالتقاط هل هو واجب واللاقطه ضائعة والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تنفع بل يلقطها من يعرفها أو تركها كالموجود في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضيقه نظر فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والملتقط أيضا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في المهاجرة وشدة الحر فهذا قديع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالى به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزمه احتمالاً ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات الزمنية التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لاعة تفرق بين أجزائها المتقاربة ولكن التفتي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

#### (الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتضييف ثم التغير باليد ثم التهديد بالضرب ثم الإيقاع بالضرب وتحقيقه ثم شهر السراح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان النسكر وذلك منهي عنه وهو النجس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترق السمع على دار غيره لسمع صوت الأوتار ولأن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولأن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل الزمار ولأن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمر أعدده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع النسكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال الأولى أن يمنع لأن له حقاً في أن لا يخطئ داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردداً فيه . وقد قيل إنه كان نفس خاتم لقمان الستر لما عابت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولاً  
ثم الاستغراق في الذكر  
ثانياً وعلاصة ذلك  
الزهد في الدنيا وملازمة  
التقوى لأن الله جعله  
بما يكشف به في واقعة  
مورد الحكمة والحكمة  
تحكم بالزهد والتقوى  
وقد يتجرد للذاكر  
الحقائق من غير لبسة  
المثال فيكون ذلك  
كشفاً وإخباراً من الله  
تعالى إياه ويكون ذلك  
تارة بالرؤية وتارة  
بالبصاع وقد يسمع من  
باطنه وقد يطرُق ذلك  
من الهواء لا من باطنه  
كالهوائف يعلم بذلك  
أمرًا يريد الله إحدائه  
له أو لغيره فيكون  
إخبار الله إياه بذلك  
مزيداً ليقينه أو يرى  
في المنام حقيقة الشيء .  
قل عن بعضهم أنه  
أتى بمراب في قدح



الدرجة الثانية : التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادى يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون مصليا ترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطلف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحق والتجهيل إيذاء وقدما يرضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور لاسيما بالشرع ولذلك ترى الذى يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نهى على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله والاطباع أحرم على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السواتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بمله ثم لدته عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفا للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له إن الانسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلنا العلماء ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور وليس من العقلاء من يضل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للسلم من الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق ، وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما وصبرك عدوا إلا إذا علمت أنه ينضم العلم وذلك عزيز جدا . الدرجة الثالثة : التوبيخ والوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا كالذى يواطى على الشرب أو على الظلم أو على اغتيال المسلمين أو ما يجرى مجراه فينبغى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعبادة التقيين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الترحم عليه ويرى إقدامه على العصية مصيبة على نفسه إذ السلمون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فرعا يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييز بشرف العلم وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذى يعترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بجهله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وقبح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفى وله محك وميعار ينبغى أن يتحسب المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتعاط ذلك العاصى بوعظه وأزجاره بزجره أحب إليه من اتعاطه بوعظه بغيره فانهو إلا متبع هوى نفسه ويتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبه فليثق الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال  
قد حدث في العالم  
حدث ولا أشرب هذا  
دون أن أعلم ماهو  
فانكشف له أن قوما  
دخلوا كذوة لواء فيها.  
وحكى عن أبى سليمان  
الحواص قال كنت  
راكبا حمارا الى يوما  
وكان يؤذيه الدباب  
فيطأطأ رأسه فكنت  
أضرب رأسه بغضبة  
كانت في يدي فرفع  
الحمار رأسه إلى وقال  
اضرب فانك على  
رأسك تضرب قيل له  
يا أبا سليمان وقع لك  
ذلك أو سمعته فقال  
سمعته يقول كما سمعنى.  
وحكى عن أحمد بن  
عطاء الروذبارى قال  
كان لى مذهب فى أمر  
الطهارة فكنت ليله  
من الليالى أستنجى  
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظ نفسك فان اتمظت فمظ الناس وإلا فاستعنى منى ، وقيل لداود الطائى رحمه الله : رأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يقوى عليه قال أخاف عليه الهاء الدين وهو العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفلكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نغنى بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يافاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله وكقوله يا سوادى يا غيى وما يعجزى هذا المجزى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله »<sup>(١)</sup> ولهذا الرتبة أدبان : أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثانى أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقاق له والازدراء بمحلته لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولوا كفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يعطب وجهه ويظهر الإنكار له . الدرجة الخامسة : التغيير باليد وذلك ككسر الملامى وإراقة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المغصوبة بالجبر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يعجزى مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصى دون بعض ، فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يباشر بيده التغيير مالم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه الشئ في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر عن أن يكلفه إراقة الحجر وكسر الملامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله . الثانى أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلعته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يعزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملامى والصليب الذى أظهره النصارى بل يطل صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استشفاف إصلاحه إلى تعب يساوى تعب الاستشفاف من الخشب ابتداء وفي إراقة الخمر يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر بيده لكنها قصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الخمر فاذا لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير بضيقة الرءوس ولو اشتغل باراقها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعه فله كسرها فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتتعطل عليه أشغاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطب قلبى فتضجرت فبكيت وقلت يارب العفو فسمعت صوتا ولم أر أحدا يقول يا أبا عبد الله العفو فى العلم وقد يكشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية ليقينه وإيمانه قيل كان عند جعفر الخلى رحمه الله فص له قيمة وكان يوما من الأيام راكبا فى السارية فى دجلة فهم أن يعطى السلاح قطعة وحل الحرقه فوق الفص فى الدجلة وكان عنده دعاء للضالة مجرب وكان يدعوه فوجد الفص فى وسط أوراق كان تصفحها والدعاء هو أن يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي . ومممت شيخنا بهمدان حكى له

لأجل ظروف المحرو حيث كانت الارقاة متمسكة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهلا جاز الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجرب بالرجل في الاخراج عن الأرض المنصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر . فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تسكون على الماضي والدفع على الحاضر الزاهر وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النكر فإزاد على قدر الإعدام فهو إمعاقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاية لا إلى الرعية . نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى الصلحة فيه . وأقول له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها المحجور زجراً وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأكيذا للزجر<sup>(١)</sup> ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقطام شديدة فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لأحاد الرعية . فان قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يهربون ويصنون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن الصالح ولكننا لا نتبذع الصالح بل تتبعه فيما وكسر ظروف المحر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً بل الحكم بزلوال العلة ويؤيد بمودها وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه بل تقول لو أريقت المحجور أو أفلأ يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للحرمة فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن تكون ضاربة بالمحر لا تصلح إلا لها فكان الفعل للنقول عن العصر الأول كان مقروناً بمعنيين : أحدهما شدة الحاجة إلى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لاسيما إلى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة تقهية محتاج المحتسب لاجتهاد إلى معرفتها . الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لا كسر رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك وما أشبهه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حدٍّ معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل للبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيدا وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز للأحاديث بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع النكر فينبغي أن يكفّ والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فان أصرّ المحبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها المحجور في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذي من حديث أبي طلحة أنه قال : يا نبي الله إني اشتريت خمر الأيتام في حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه لث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندي قاله الترمذي .

شخص أنه كوشف في بعض خلواته بوله له في جيحون كاد يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا الشخص بنواحي همدان وولده يجيئون فها قدم الولد أخبر أنه كاد يسقط في الماء فسمع صوت والده فلم يسقط . وقال عمر رضى الله عنه يا سارية الجبل على التبر بالمدينة وسارية بنهاوند فأخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو فقيل لسارية كيف علمت ذلك فقال سمعت صوت عمرو وهو يقول يا سارية الجبل . سئل ابن سالم وكان قد قال للإيمان أربعة أركان ركن منه الإيمان بالقدرة وركن منه الإيمان بالحكمة وركن منه التبري من

على أداء الحق وكونه معاندا فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدرج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب يرى التدرج فان احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم يترقنة كاللوقص فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بزمزم معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له خل عنها أولأرمينك فان لم يخل عنها فله أن يرمى وينبى أن لا يقصد القتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعى فيه التدرج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا النكر أولأضربك فكل ذلك دفع للنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين. وقالت العزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حصة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام للأحاد. الدرجة الثامنة : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل أحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد. وقال آخرون لا يحتاج إلى الاذن وهو الأقبح لأنه إذا جاز للأحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته نجر إلى توان والثواني إلى ثوالت وقد ينتهي لامحالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومنها تجنب الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحن نجوز للأحاد من العزلة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار فاما لأهل الكفر فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل ظلوما فهو شهيد. وعلى الجملة فاتهاة الأمر إلى هذا من النواذر في الحصة فلا يخبره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحصة فلنذكر آدابها والله الموفق.

### ( آداب المحتسب )

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملة ما مصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب : العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحصة وحدودها ومحاربيها وموانعها ليقصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمله بل ربما يعلم أنه مسرف في الحصة وزائد على الحد للأذن فيه شرعا ولكن يحمله عليه عرض من الأغراض وليسكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بهتم أو ضرب نسي الحصة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطاب الحماة والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحصة من القربات وبها تندفع النكرات وإن فقدت لم يندفع النكر بل ربما كانت الحصة أيضا منكرا لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فم ينهى عنه قهيه فيما يأمر به قهيه فيما ينهى عنه (١) وهذا يدل على أنه لا يشترط

الحول والقوة وركن منه الاسعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء قيل له مامنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبد بالشرق قائما على يمينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بمجواز ذلك وكونه، وحكى لي فقير أنه كان بمكة وأرجف على شخص يفتاد أنه قد مات فكاشفة الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر إخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كشف بالشخص راكبا قال

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن النكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث

أن يكون قعيا مطلقا بل فها يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم . ول الحسن البصري رحمه الله تعالى :  
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فككن من آخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للرم على فعله وأنت منسوب إلى مثله  
من ذم شيئا وآتى مثله فأنما يزرى على عقله

رأيت في السوق وأنا  
أصيح بأذى صوت  
للطرفة من الحداد في  
سوق بغداد وكل هذه  
مواهب الله تعالى وقد  
يكشف بها قوم وتمطى  
وقد يكون فوق هؤلاء  
من لا يكون له شيء  
من هذا الآن هذه كلها  
تقوية اليقين ومن  
منع صرف اليقين  
لا حاجة له إلى شيء من  
هذا فكل هذه  
الكرامات دون  
ما ذكرناه من تجوهر  
الذكر في القلب  
ووجوده ذكر الذات  
فان تلك الحكمة فيها  
تقوية للريدن وتربية  
للسالكين ليزدادوا  
بها يقينا يجذبون به إلى  
مراغمة النفوس  
والسوء عن ملاذ الدنيا  
ويستنهض منهم

بذلك ما كن عزمهم

ولسنا نفي بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور نفسه  
للناس . قد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا نهى عن النكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله  
وانهوا عن النكر وإن لم تجتنبوه كله (١) » وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن  
يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس  
الأذى ، فاذن من آداب الحسبة توطئ النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف  
فقال حاكيا عن لقمان - يابن - أتم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن النكر واصبر على ما أصابك .  
ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداينة .  
قد روى عن بعض الشايع أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من  
الفند لسنوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على  
القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بهذا شيئا السنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج  
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع  
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تيسر له الحسبة . قال كعب  
الأخبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل  
إذا أمر بالمعروف ونهى عن النكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب  
أبو مسلم . وبدل على وجوب الرفق ما استدل به للأمنون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال  
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى - فقولا  
له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . قد  
روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يابن الله أناذن لي في الزنا فصاح  
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قريوه ادن قدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
والسلام أعجب لأمرك ؟ فقال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمرهم أعجب لأمرتك ؟ قال لا ،  
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أعجب لأختك (٢) » وزاد ابن عوف حتى ذكر  
العمة والحالة وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس  
لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما أعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني  
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا ولليبي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن  
أمره بمعروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا نهى عن النكر  
حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن النكر وإن لم  
تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه .

(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله أناذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد بن حنبل

ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان بأنا على إن لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكنفكم فقال يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تتحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فقصصه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتبه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك ؟ فاتق الله واتزع عما أنت فيه فبكي الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود للشرب النبيذ ولا شيء مما كنت فيه وأنا نائب فقال ادن مني قبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك يركه رقه ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فضلكم بالرفق في جميع أموركم تتألون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة وتعرض لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديدا البدن فبينما الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوق الرجل على الأرض ومشى بشر فدنا من الرجل وهو يترشح عرفا كثيرا ومضت للمرأة لحالها فسألوه ما حالك ؟ فقال ما أدري ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضغت لقوله قدمي وهتبه هبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسألتاه كيف ينظر إلى بعد اليوم وحس الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصبغة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الوفاق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

#### (الباب الثالث في المنكرات المألوفة في العادات)

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

#### (منكرات المساجد)

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بمحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا فتردد به المظهور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فمما يشاهد كثيرا في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الحنفى الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إذ لا ينفع النهي معه ومن رأى ميثاقا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في الغيبة أن السمع شريك القائل (١)

رجالهم الأوقات بالقربات فيترجون بذلك ويروقون لطرفة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لكان أن غسه أسرع إجابة وأسهل اقتيادا وأتم استعدادا والأولون استلين بذلك منهم ما استوعروا واستكشف منهم ما استروا وقد لا يمنع صور ذلك الرهايين والبراهمة عن هو غير متنج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك في حقهم مكررا واستدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا في مقار الطرد والبعد إبقاء لهم فيها أراد الله منهم من الصمى والضلال والردى والوبال حتى لا يستر السالك بيسير شيء يفتح له ويصلم أنه

#### (الباب الثالث في المنكرات المألوفة)

(١) حديث القاتب والسمع شريك في الإثم تقدم في الصوم .

وكذلك كل ما يمدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك نجس الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان العتكف في السجدة يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تمدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك ينم عن الوراثة مثلا أو عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرؤه لحنًا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفف به الصوت حتى لا يسمع غيره ولينه سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترأس المؤذنين في الأذان وتطويلهم بعد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الجمعيتين أو لفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب النع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يبول على أذانه في صلاة وترك سجود أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد تأم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات الخافقة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لابسا ثوبا أسود يخلب عليه الإبريسم أو ممسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه نهى فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة بالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الوعاظ للبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه إما لكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليا فان لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبغفوا الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحقت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الوعاظ شامرا بمنزلة النساء في ثيابه وهيئته كثير الأسمار والاشارات والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب للنوع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه برأى أحواله

لو مشى على الماء والهواء لا ينفعه ذلك حتى يؤدي حتى التقوى والهد فاما من تقوى بخيال أو وقع بمحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويدخل بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة للعامة وتذهب عن قلبه هبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق أن القصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بسيرة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة إدامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإفلا  
يزداد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن  
ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد للصلوات  
وجالس الله ذكر إذا خيفت الفتنة بين قد منتهين عائشة رضي الله عنها قيل لها : إن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مامنتين من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن بعده لمنتهن (١)  
وأما اجتناب المرأة في السجدة مسترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازا أصلا وقراءة القرآن  
بين يدي الوعاظ مع التقيد والألحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه  
شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الخلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة  
والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها  
ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طريقة الأطباء وكأهل الشعبة والتلبيسات وكذا  
أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام في المسجد  
وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام .  
ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم  
إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على الصلبيين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس  
بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحتها أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد  
دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثرت صار صغيرة كما أن من  
الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لوقع بابا خفيف منه أن ينجر  
إلى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لأنه  
لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد المنع مما هو مباح في نفسه لحوقه أن ذلك يكثر . ومنها دخول  
المجانين والصبيان والسكران في المسجد ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب  
في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل  
قليله دون كثيره ، ودليل حل قليله ما روي في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله  
عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفون ويلعبون بالدرق والحرايب يوم العيد في المسجد » ولا شك في أن  
الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم يرد ذلك على الندرة والقلة منكر حتى نظريه بل أمرهم به  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطيبا لقلبها إذ قال « دونكم يا بني أرفدة » كما نقلناه  
في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يغشى ثوبهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو  
خفى أو تعاطيهم لما هو منكرفي صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد  
علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه  
القذف أغنى القى أو الألباء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه  
وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكرف مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن  
أكل الثوم والبصل (٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يحمل ذلك  
على الكراهة والأمر في الحرأشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا .  
قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح قوم دوام  
للمراقبة ويصلح قوم  
الانتقال من الذكر  
إلى الأوراد وقوم  
الانتقال من الأوراد  
إلى الذكر ومعرفة  
مقادير ذلك يصلح  
للمصالح للشيخ للطالع  
على اختلاف الأوضاع  
وتنوعها مع فصحة  
للأمة وشفقته على  
الكافة يريد للمريد لله  
لأنفسه غير مبتلى  
بهوى نفسه مما  
للاستتباع ومن كان  
عجا للاستتباع لما  
يخسده مثل هذا أكثر  
عما يصلحه .

### (الباب الثامن)

والعشرون في كيفية  
الدخول في الأربعينية  
روى أن داود عليه  
السلام لما ابتلى بالخطيئة  
خرقه ساجدا أربعين  
يوما و ليلة حتى أتاه

(١) حديث عائشة لوعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثن أى النساء من بعده لمنتهن الساجد  
مثنى عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج المراق وقد أخرجه الشارح عن البخارى ومسلم وغيرهما .



فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين فأما لجرد الرائحة فلا ، نعم إذا كان يئس بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعاه عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله إلى النعم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يعول عليه .

### (منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الرابحة وإخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وطى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكنت مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيلزمه أن يئس المشتري عليه وإلا كان راضيا بضياح مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت في الدراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفضه إلى الوالي حق تغييره . ومنها ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء بالمعطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها فانها مفسدة للمعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبية وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للالهى وبيع أشكال الحيوانات الصورة في أيام العيد لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها والنزع من بيعها كاللاهى وكذلك بيع الآواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلائس الذهب والحرير أعنى التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسها إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المتخذة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والنزع منه واجب وكذلك تلبس الخراف الثياب بالرؤف وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبس وذلك بطول إحصاؤه . فليقتس بما ذكرناه ما لم نذكره .

### (منكرات الشوارع)

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك النصلة بالأبنية الملوكة وغرس الأشجار وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحطب وأعمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستضرار للارة وإن لم يؤدي إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأعمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن النزع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب النزع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يخص بها إلا بقدر الحاجة والرعى هو الحاجة التي تتراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدها وضمتها بحيث لا تمزق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا . منع إذا حجة أهل البلد عسى إلى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الخانات ويلوث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقدار الطباع للقاذورات وكذلك طرح القمامة

الغفران من ربه وقد  
تقرر أن الوحدة  
والعزلة ملاك الأمر  
وتمسك أرباب  
الصدق فمن استمرت  
أوقاته على ذلك فجميع  
عمره خلوة وهو الأسلم  
لدينه فإن لم يتيسره  
ذلك وكان مبتلى  
بنفسه أولانم بالأهل  
والأولاد ثانيا فيجعل  
لنفسه من ذلك نصيبا .  
نقل عن سفيان  
الثوري فيأروى أحمد  
ابن حرب عن خالد بن  
زيد عنه أنه قال كان  
يقال ما أخلص عبده  
أربعين صباحا إلا أنبت  
الله سبحانه الحكمة  
في قلبه وزهده الله  
في الدنيا ورغبه  
في الآخرة وبصره داء  
الدنيا ودواءها فيتعاهد  
العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطرق وتبديده شور البطيخ أورش الماء بحيث يخشى منه التزاق والتثر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب أو يضيئ الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأحوال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقع قموذا يضيئ الطريق فكلمه أولى بالمنع .

## (منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فان كان الموضع مرتفعاً لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتحية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الإزار فان مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتفخيم الأفضاخ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجج المقيمين من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنيتها للذمية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللفظ وهو أن يؤول له إننا نحتاج أن نغسل اليد أولاً ثم نغمسها في الماء وأما أنت فمستغن عن إيدائي وتفويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالهجر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلمه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فانه يفضى إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انغلاعه وكذلك ترك الصدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذ حقه تنظيف الحمام والوجه إعجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور أخرى مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك .

## (منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محبرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها صماح الأوتار أو صماح القينات . ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما للريد الطالب إذا أراد أن يدخل الحلاوة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما علكه ويقتل غسلاً كاملاً بعد الاحتياط للثوب وللصلى بالنظافة والطهارة وصلى الركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه بىكاه وتضرع واستكانة وتخشع ويسوى بين السريرة العلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص يصلى معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن يحجز عن تغييره لزمه الخروج ومن لم يحجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على الناريق والزرايين الفروشة فليس منكرها وكذلك على الأطباق والقصاص لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض الحمام على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما أو كان للوضع منصوبا أو كانت الثياب الفروجة حراما فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إلا ليجل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان التوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان مجزأ لمعوم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمتي»<sup>(١)</sup> وكما يجب منع الصبي من شراب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير قلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يئثر في صدره فثبتت منه شهوة من الشهوة راسخة يصير قلعها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيضف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال العلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز نعم محل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ولا أرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهيمة كالقصد والحجامة والحتان والتزين بالخلق غير مهم بل في التفريط بتعليقه على الأذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتادا فهو حرام وللعن منه واجب والاستتجار عليه غير صحيح والأجرة المأخوذة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يلفظنا إلى الآن فيه رخصة . ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يشك في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يحجز فإن كان البتدع لا يتكلم يدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالقهقش والكذب لم يحجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه وإن كان ذلك بمنزلة لا كذب فيه ولا لغش فهو مباح أعني ما يقل منه فأما اتخاذ صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يفتني أنه كذب ولا يقصد به التلبس فليس من جهة المنكرات كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يهدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات . ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران : أحدهما الإضاعة والآخر الإسراف فالإضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزقه وهم البناء من غير غرض والتقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال إلى الناعة والمطرب وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة وأما الإسراف فقد يطلق لارادة صرف المال إلى الناعة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع البالغة والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومع عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث على وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل .

في خلوة ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا ألبتة فترك الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكر لا يفتخر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يضي إلى ما يسمع لأن القسوة الحافظة والتخية كلوح ينتفش بكل مرئ ومسموع فيكثر بذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجهل أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الاحرام فإذا سلم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته متى في خروجه

ولا مبيشة لهم سواء فأنفق الجميع في ولية فهو مسرف يجب منه منه قول تعالى - ولا تبسطها كل البسط فتعمد ملوما محسورا - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذيرا إن البذرين كانوا إخوان الشياطين - وكذلك قال عز وجل - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم وفضل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم نزل الساجد تزيين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه وصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وأمثال هذه النكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه النكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع النكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها.

### (النكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على العروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قفيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قفيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل المواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مفسد فان قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا غم الحرج السكينة أجمعين أما العالم فلنقصيره في الخروج وأما الجاهل فلنقصيره في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الاثم ومعلوم أن الانسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصانعتهم أليق ، لأن المحترفين لو تركوا حرفة لم يطلعت العايش فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للانسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا كل من يتقن أن في السوق منكرا يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محله ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا خرج به على كل قادر عليه قريبا

استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بحلوسه في خلوته فقد قيل لا تطعم في المنزلة عند الله وأنت تريد للمنزلة عند الناس وهذا أصل يتفسد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاهلا وقته شيئا واحدا موهوبا لله بادامة فعل الرضا إمامنا لاوة أو ذكرا أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأقسام ينال فان أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والله كراتي بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فاذا قرر عن ذلك ينال وإن

كان أو بعيدا ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاعل بغير من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يسه أمر دينه يشغله عن تجرئة الأوقات في التفرجات النادرة والتصق في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

### ( الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر )

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التمرض وتواضع الوعظ وتلك التخشين في القول لورا به للنع بالظهر في الحمل على الحق بالمعرب والقوية والجائر من جهة ذلك مع السلاطين الذين يتناب الأوليان وما التعريف والوعظ وأما النع بالظهر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان لأن ذلك يجرى الحركة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المذخور أكثر ، وأما التخشين في القول كقوله : يا ظالم اهدأ ولا تخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان بمرلة فتنة يتحدى شرها إلى غيره لم يجر ولأن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلقد كان من عادة السلف التمرض للأخطار والتصرع بالانكار من غير مبالاة بهلاك اللهجة والتعرض لأنواع العذاب لهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى الإمام فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك (١) » وقال عليه « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر (٢) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم » وكقوله الحق ماله من صديق (٣) » ولما علم الصليبيون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كالأردنية الأخيار قسموا على ذلك موطنين أنفسهم على الملاحدة ومعتلين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومعتبين لما يذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل علماء السلف . وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم . فنها ماروى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكار قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ماروى عن عروة رضي الله عنه قال « قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر قد كروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل صفه أحلامنا وشم آباءنا وعبادتنا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فيناهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول

### ( الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر )

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكسب الأجار كيف نجد نفق ، قال أجد نفق قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

قال ففرت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مرت بهم الثانية غمزوه بمثلها ففرت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى لمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أسمعون يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئكم بالدينج قال فأتى القوم حتى قام بهم رجل إلا كأنما طي رأسه طائر واقع حتى إن أشدتم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحبر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكركم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بدأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهم ودنهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بجماع رداءه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يسكي ويلكم أفتتلون رجلا أن يقول ربى الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه <sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فغفقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أفتتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم <sup>(٢)</sup> » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس المطاء فقام إليه أبو مسلم الحولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أيك ولا من كد أمك قال فغضب معاوية ونزل عن النبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أبامسلم كلني بكلام أغضبنى وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل <sup>(٣)</sup> » وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدتي ولا من كد أبي فلهوا إلى عطائكم . وروى عن ضبة بن محسن العززي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لمرضى الله عنه قال فضاظي ذلك منه فقممت إليه فقلت له أين أنت من صاحبة تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محسن العززي يتعرض لي في خطبتي فكتب إليه عمر أن أشخصه إلى قال فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال من أنت قلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما للرحب فمن الله وأما للأهل فلا أهل لي ولا مال فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيتته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فضاظي ذلك منه فقممت إليه فقلت له أين أنت من صاحبة تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

والخولة فالأولى أن يقتنع بالحبر والمخ ويتناول كل ليظهر طلا واحدا بالبغدادى يتناوله بسد العشاء الآخرة وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل وإحيائه بالدهك والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليعمل وإن لم يصبر على ترك الأدام يتناول الأدام وإن كان الأدام شيئا يقوم مقام الحبر ينقص من الحبر بقدر ذلك وإن أراد التقلل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهى ظله في العشر الأخير من الأربعين

(١) حديث عزرة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن حبان بنامة (٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

ثم اندفع باكياً وهو يقول والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فقبضه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أهلك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليته على أطراف أصابعه حتى خفيت فلما رأى أبو بكر أنها قد خفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى قم الغار فأنزله ، ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم يرفه عينا فعمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيلت وأفاع فآلقه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تعجزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلة ، وأما يومه فماتتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نعلني ولا زكي فأنيت لا آلوهم نصحاء فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارتفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام فبأذا أنالهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقلاً كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال قاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبي موسى يولمه (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالمعارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك السئول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أفل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك قال يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقفت للحاجب على الباب مدة ثم ربه عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فضرب الوليد على حاجبه وقال له ويلك أمرتك أن تدخل إلى رجل لا يحدثني ويسامرنى فأدخلن إلى رجل لم يرش أن يسمى بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حديث ضبة بن محسن كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة بأسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقتل الناس الحديث.

إلى نصف رطل وإن قوى قسح النفس بنصف رطل من أول الأربعين وتقص يسيراً كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره إلى ربيع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد المشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطهي

أحد غيره ثم قال لطاء اجلس لم أقبل عليه يحدثه فيمكن فيها حديثه عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هيب أعداء الله لكل إمام جائر في حكمه ضمق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوفه المجلس مفتيا عليه فقال عمر لطاء قتلت أمير المؤمنين قبض عطاء على فتراع عمر بن عبد العزيز فغضبه غمزة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكثت سنة أجد أئمة غمزته في ذراعي . وكان ابن أبي عميلة يوصف بالعقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تسكلم قال بسم أنسكم وقد علمت أن كل كلام تسكلم به التسكلم عليه وبال . إلا ما كان لله فبكي عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا يجيئون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك ثم قال لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت ، وروى عن ابن هانئة أن الحاجاج دعا بفقهاء البصرة وقهء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحاجاج مرحبا بآبي سعيد إلى إلى ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقام عليه فجعل الحاجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال منه وثلاثا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت غاض على إيهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكنا قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا لى الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم - فلى بمن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركاته سبقت له من الله أن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يعظها عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هنة فالحسبه والله ما أجد فيه ذولا أعدل من هذا فسر وجه الحاجاج وتغير وقام عن السرير مضيا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أثبت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه وبحكم يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدحت أو سكت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبعت الحاجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله على العلماء من لوائيق - ليبينته للناس ولا يكتمونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يلقى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطة الزيات جىء به إلى الحاجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيطة قال نعم قال سل عما بدا لك فأتى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فأتقول في قال أقول إنك من أعداء الله فى الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فأتقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم قال فقال الحاجاج ضموا عليه العذاب قال فأتته به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوا على لجه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى اتحلوا لجه فأمصعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج إنه فى آخر رمق فقال أخرجوه فارسوا به فى السوق قال جعفر فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيطة ألك حاجة قال شرية ماء فأتوه بشرية ثم مات وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

ليتين والانطار فى  
الليلة الثالثة ويكون  
لكل يوم ليلة ثلث  
رطل وبين هذين  
الوقتين وقت وهو أن  
يفطر من كل ليتين  
ليلة ويكون لكل يوم  
وليلة نصف رطل  
وهذا ينبغي أن يفعله إذا  
لم ينتج ذلك عليه سامة  
وضجرا وقتة انشراح  
فى الذكر والعامة فإذا  
وجد شيئا من ذلك  
فليفطر كل ليلة  
وبأكل الرطل فى  
الوقتين أو الوقت  
الواحد فالنفس إذا  
أخذت بالإفطار من  
كل ليتين ليلة ثم ردت  
إلى الإفطار كل ليلة  
تفنع وإن سوجعت  
بالإفطار كل ليلة لا تفنع  
بالرطل وتطلب الآدام  
والشهوات وقس على  
هذا فهى إن أطعمت



المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمي حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلقى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضربه في بيت اللال ومن نيتي أن أردعه عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا تردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل طي في هذا نعمة وفي أشبهه من الأمور والثبة فيها على ما ذكرت قال الشعبي : قلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والله خطي\* ويصيب قال فسر بقولي وأهبط به ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمي حقهم والنصيحة لهم واتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن مرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»<sup>(١)</sup> ويقول إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن رجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا تردعه فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه وحق الله أن أزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابذله يا ابن هبيرة اتق الله فانه يومئذ أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودينك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة إن الله ليجتمع من يزيد وإن يزيد لا يجتمع من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسماء الله لا يرد عن القوم المجرمين ، فقال ابن هبيرة إربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنا ولاه الله تعالى مالا من أمر هذه الأمة لعله به وما يمله من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة إنك أن تلقى من ينصح لك في دينك وعملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يفرق ويعينك ققام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه وقال الشعبي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفة وصلته فقال إليك عني يا عامر قال فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا فلما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا مشهدا إلا يرض علينا وقال لله عز وجل وقتلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد ابن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن مرة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوي في معجم الصحابة بإسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن بسار .

طمعت وإن أقنعت  
قنعت . وقد كان بعضهم  
ينقص كل ليلة حتى رد  
النفس إلى أقل قوتها  
ومن الصالحين من  
كان يبر القوت بنوي  
التمر وينقص كل ليلة  
نواة ومنهم من كان  
يسير بعود رطب  
وينقص كل ليلة جذر  
نشاف العود . ومنهم  
من كان ينقص كل  
ليلة ربع سبع الرغيف  
حتى يفي الرغيف في  
شهر ومنهم من كان  
يؤخر الأكل ولا يعمل  
في تقليل القوت ولكن  
يعمل في تأخير  
التدريج حتى تندرج  
ليلة في ليلة وقد فعل  
ذلك طائفة حتى انتهى  
طوبهم إلى سبعة أيام  
وعشرة أيام وخمسة  
عشر يوما إلى الأربعين  
وقد قيل لسهل بن

فان فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال إني لحاضر  
 مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر للنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال  
 فأتى الفخاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن بن زيد يا أمير المؤمنين  
 سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم  
 في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعتم فقال الفخاريون يا أمير المؤمنين سل عن  
 الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكمه بغير  
 الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، فقال يا أمير  
 المؤمنين أسأله عن نفسك قال ما تقول في قال تغضي يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال  
 تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه  
 فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يبابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا  
 ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك  
 بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقبوا  
 بالسوية وأخذوا بأقواء فارس والروم وأسفرا آفاتهم قال غلب أبو جعفر قباه وخلي سبيله وقال والله لولا  
 أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأصحبك من ابنك للمهدي  
 قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس النصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث  
 لقد سرتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال ينفر الله لك يا أبا عبد الله  
 كنا مهدي كلنا كان في المهدي . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر النصور  
 أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت إليه وصلت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال  
 لي ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم  
 والانتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا  
 أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمت لك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي  
 الرعي وأهوى يده إلى السيف فأنزله المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت  
 نفسي وانبسطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فاتها نعمة من الله سيقت إليه فان  
 قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه (٢) » يا أمير  
 المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « أيما وال مات غاشا لرعيته  
 حرم الله عليه الجنة (٣) » يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين  
 قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

(١) حديث الأوزاعي مع النصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بمحلتها رواها  
 ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الخفاف ومشيخة ابن  
 طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث عننا كبير وهو عندي من أهل الصدق  
 وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لذكر هل بعضها طريق غير هذا الطريق ولم يعرف  
 صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر أيما عبد جاءته موعظة من الله  
 في دينه فاتها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر وال  
 بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا في ابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

عبد الله هذا الذي  
 يأكل في كل أربعين  
 وأكثر أكلة أين  
 يذهب لخب الجوع عنه  
 قال بطمته النور . وقد  
 سألت بعض الصالحين  
 عن ذلك فذكر لي  
 كلاما بعبارة دلت على  
 أنه يجد فرحاً به ينطفئ  
 معه لخب الجوع وهذا  
 في الخلق واقع أن  
 الشخص بطرقه فرح  
 وقد كان جائعا فيذهب  
 عنه الجوع وهكذا في  
 طرق الخوف يقع ذلك  
 ومن فعل ذلك ودرج  
 نفسه في شيء من هذه  
 الأقسام التي ذكرناها  
 لا يؤثر ذلك في نقصان  
 عقله واضطراب جسمه  
 إذا كان في حماية  
 الصدق والاخلاص  
 وإنما يخشى في ذلك  
 وفي دوام الله كرم على  
 من لا يخلص لله تعالى .

رءوفا رحبا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس خفيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم سائرا لاتعلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب تبتجج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انبث منهم فقام وراء فقام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن ربيع قال «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا<sup>(١)</sup>» فكيف بمن شقق أمتارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم ييمتك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعرايا فقال اقتص مني فقال الأعرايا قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه بخير<sup>(٢)</sup>» يأمر المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها<sup>(٣)</sup>» يأمر المؤمنين إن الملك لوقى لمن قبله لم يصل إليك وكذا لا يبق لك كالم يبق لغيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لو ماتت سحلة على شاطئ القرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا فقد الحصان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلق على صاحبه فأعحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لهمم بالراعية ورقهم بالسياسة ليحبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات

(١) حديث عروة بن ربيع كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أو جعتي قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي مضملا لم يذكر اسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقاب .

وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومتى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا حد الضرورة لمن لا يعتمد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد يصير على أكثر من ذلك إلى الأربعين كاذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبرق فإذا لم يقع الباب على بزاقه بدلة هذا على خلوة المعدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده الباب . روى أن سفيان

والأرض والجلال لا يبين أن يحمله وأعف عن منه يأمر المؤمنين حديثي يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمار الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقبلا فقال له : ما معك من الخروج إلى محلك ؟ أنا علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفكها إلا الله فيوقف على جسر من النار يتنفض به ذلك الجسر انفضاضا تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يباد فيجاسب فإن كان حسنا نجما بإحسانه وإن كان سيئا انخرق به ذلك الجسر فيبوي به في النار صبيحا خريفا » (١) وقال له عمر رضي الله عنه عن سميت هذا ؟ قال من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما فسرهما قالان لم يمننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وأمرهما من يتولاهما بما فيها فقال أبو ذر رضي الله عنه من سلبت الله أمه وألقى خده بالأرض ، قال فأخذ للتدليل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكى ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جندك عباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها » (٢) نصيحة منه لعمه وعفقه عليه وأخبره أنه لا ينبغي عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه - وأذرعك من الأقرين - قال « يا عباس وبأصفي عبي النبي وباطمة بنت محمد إني لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لي عملي ولكم عملكم » (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا خفيف القتل أريب النقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوي ظلف نفسه وعماله أضفه فهو على شفاهاك إلا أن يرحمه الله ، بأسطة عليه بالرحمة ، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله أضفه فهو على شفاهاك إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الخطمة القبي قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الخطمة فهو المسالك وحده » (٤) وأمير أرتع نفسه وعماله فلهكوا جميعا وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أتيتك حين أمر الله بمنافع النار فوضعت على النار تسمر ليوم القيامة فقال له يا جبريل صف لي النار فقال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احترت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لها والقدى بشك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لمساتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في مياه الأرض جيعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وال أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخضر منه وأن بشرا سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عم النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها ابن أبي الدنيا هكذا مخرجا بغير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنذر مرسلا وقال هذا هو المخطوط مرسلا (٣) حديث يا عباس وباطمة لا أغنى عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم ابن أبي الدنيا هكذا مخرجا بغير إسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عملي ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الخطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي مخرجا كما ذكره المنصف.

التوري وإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا يطويان ثلاثا ثلاثا . وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى حتا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يطوى سبعة أيام . واشتهر حال جدنا محمد ابن عبد الله المعروف بسمويه رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري أنه كان يطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي رجل أدرك زمانه وما رأته كان في أبهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدريج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى بنقص القوت

ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من قن ريعه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكبت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أتبلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعتني من اتسكالي على منزلي عند ربى فأكون قد أسئت مكره فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنتكما أن تصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الحصان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تهملنى طرفة عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمصية الله أذله الله ووضع ، فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لى إلى أين ؟ قلت إلى الولد والوطن بأذن أمير المؤمنين إن شاء فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياى بمثل هذا فانك للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفضل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بمرض من الدنيا وعرف النصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك . وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين النصور مكة شرفها الله حاجبا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فيينا هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إنى أشكو إليك ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع النصور فى مشيه حتى ملأ مسامحه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأقامه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له النصور ما هذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وألقاى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفى أنباتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفى فيها لى شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البنى والفساد فى الأرض أنت فقال ربحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدي والحلو والحامض فى قبضتى قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحص والآجر وأبوابا من الحديد وحبية معهم السلاح ثم سجن نفسك فيها منهم وبشت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا طلبة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك وقوتهم على ظلم الناس بالأموال والسكران والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم مبيتهم ولم تأمر بإيصال الظلوم ولا للهوف ولا الجائع ولا المارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق

(١) حديث بلغنى أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتيتك حين أمر الله بمنافع النار وضعت على النار تسمر ليوم القيامة الحديث بطوله ابن أبى الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

بنشاف العود ثم طوى  
حتى انتهى إلى اللوزة في  
الأربعين ثم إنه قد  
يسلك هذا الطريق  
جمع من الصادقين وقد  
يسلك غير الصادق هذا  
لوجودهوى مستكن  
فى باطنه يهون عليه  
ترك الأكل إذا كان  
له استعلاء لنظر الخلق  
وهذا عين النفاق نموذ  
بالله من ذلك والصادق  
ربما يقدر على الطي  
إذا لم يعلم بحاله أحد  
وربما تضعف عزيمته  
فى ذلك إذا علم بأنه  
يطوى فان صدقه فى  
الطي ونظره إلى من  
يطوى لأجله يهون  
عليه الطي فاذا علم به  
أحد تضعف عزيمته فى  
ذلك وهذا علامة  
الصادق فهما أحسن  
فى نفسه أنه يحب أن  
يرى بعين القلب

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحببوا عنك  
 تحبب الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فائتمروا على أن لا يصل  
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه  
 حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وغضب أعظمهم الناس وهابوهم وكان أول  
 من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة  
 من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هؤلاء  
 القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حبل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد  
 رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهبت عن ذلك ووقفت للناس رجالا ينظر في  
 مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم  
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلج إليه ويلوذ به ويشكو  
 ويستثيث وهو يدفعه ويعتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا  
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا ولقد  
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا يفتي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل  
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون  
 مظلمته إلى سلطانهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قديمها  
 مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لابتك عينك فقال أما إنني  
 لست أبكي على الصية التي نزلتني ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن  
 كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم وكان  
 يركب الثيل ويحيط طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت  
 رأفته بالمشركين ورقته على شع نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك  
 بالمسلمين ورقتك على شع نفسك فانك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي  
 فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال ومامن مال إلا ودونه  
 يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطى  
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم  
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكرام وما ضرز وولد أليك ما كنتم  
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية  
 التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من  
 عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه  
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو  
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضرمته جوارحك فإذا تقول إذا انتزع لللك الحق المبين ملك الدنيا  
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل يفتي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا  
 فبكي المنصور بكاء شديدا حتى حب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي  
 فيما حول فيه ولم أر من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟  
 قال العلماء قال ودور وامي قال هربوا منك مخافة أن تعملهم على ما ظهر من طريقك من قبل عمالك  
 ولكن افزع الأبواب وسهل الحجاب واتصرا للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب

عليهم نفسه فان فيه  
 شائبة النفاق ومن  
 يطوى لله يموت الله  
 تعالى فرحا في باطنه  
 ينسبه الطعام وقد  
 لا ينسى الطعام ولكن  
 امتلاء قلبه بالأنوار  
 يقوى جاذب الروح  
 الروحاني فيجذبه إلى  
 مركزه ومستقره من  
 العالم الروحاني وينفرد  
 بذلك عن أرض  
 الشهوة النفسانية وأما  
 أثر جاذب الروح إذا  
 تخلف عنه جاذب  
 النفس عند كمال  
 طمأنينتها وانكسار  
 أنوار الروح عليها  
 بواسطة القلب المستنير  
 فأجل من جذب  
 للقناتيس للحديد إذ  
 للقناتيس يجذب  
 الحديد لروح في الحديد  
 مشا كل للمغناتيس  
 فيجذبه بنسبة الجفنية

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعتك  
 فقال النصور : اللهم وقتني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج  
 فصل بهم ثم قال للحرس عليك بالرجل إن لم تأتي به لأضرب عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج  
 الحرس يطلب الرجل فيينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشجرات فقصده حتى صلى ثم قال إذا  
 الرجل أمتنى الله قال بلى قال أمتعرفه قال بلى قال فانطلق معي إلى الأمير قد آلى أن يقتلني إن لم آتته  
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تترا قال لا فأخرج من  
 مزود كان معه رقما مكتوبا فيه شيء فقال خذ فاجعله في جيبيك فإن فيه دعاء الفرج قال وماداه الفرج  
 قال لا يرزقه إلا الشهاداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرني ماهذا الدعاء ومافضله قال من  
 دعاه مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره وبقيت خطاياها واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه  
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك  
 دون اللطفاء وعلوت بسظمتك على العظماء وعلت ماتحت أرضك كملكك بما فوق عرشك وكانت  
 وسائس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع  
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيته فيه فرجا  
 ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمئني أن أسألك  
 ما لا أستجبه بما قصرت فيه أذكرك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا للشيء إلى نفسي  
 فيما بيني وبينك تتودد إلى نعمتك وأتبخض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك  
 فقد بفضلك وإحسانك على إنك أنت الثواب الرحيم قال فأخذته فصورته في جيبه ثم لم يكن لي هم غير  
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر قلت لا والله  
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد  
 نجوت وأمر ينسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أمتعرفه قلت لا قال ذلك الحضر عليه السلام .  
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة  
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر  
 التمسك والتعشف وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قديما فجهزه سفيان ولم يرزه فاشتاق  
 هرون إلى زيارته ليخلوه ويحدثه فلم يرزه ولم يبعأ بموضعه ولا بمأساره إليه فاشتد ذلك على هرون  
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى  
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وأخيه بين المؤمنين وعجل  
 ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على  
 أفضل المحبة والأرادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولوجوا لما أجداك في قلبي من المحبة  
 واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بما صرت إليه وقد فتحت  
 بيوت الأموال وأعطيته من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم  
 تأتي وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن  
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالجمل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا  
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له  
 عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني  
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول

الخاصة فإذا تجسست  
 النفس بعكس نور  
 الروح الواصل إليها  
 بواسطة القلب بصير  
 في النفس روح  
 استمدتها القلب من  
 الروح وأدناها إلى  
 النفس فتجذب الروح  
 النفس بجنية الروح  
 الحادثة فيها فيزدرى  
 الأطعمة الدنيوية  
 والشهوات الحيوانية  
 ويتحقق عنده قول  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم « أبيت  
 عند ربى يطعمني  
 ويسقيني » ولا يقدر  
 على ما وصفناه إلا بعد  
 تصير أعماله وأقواله  
 وسائر أحواله ضرورة  
 فيتناول من الطعام  
 أيضا ضرورة ولو  
 تكلم مثلا بكلمة  
 من غير ضرورة  
 التهب فيه نار الجوع

فأحس عليه دق أمره وجليله لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائما وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير قل عباد فوقت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته قلت يا رب السجد لهما يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوم قد ورد عليهم الساطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت لما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على بروس الأصابع فبقيت وأنا فلما منهم أحد يمرض على الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة ومددت عنى إليهم فقلت إن الصلى هو سفيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولهاها بعبادته وأخذ قلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال يأخذه بضكم يقرؤه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا منه ظالم يده قال عباد فأخذه بعضهم فله كأنه خائف من فم حية ثم شفه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم للتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبته من حلال فسوف يعجز به وإن كان اكتبته من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد للذنب سفيان بن سعيد بن النضر الثوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك أني قد صرمت جملتك وقطعت وذك وقلت موضعك فأنك قد جلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنتقته في غير حق وأنتقته في غير حكمة ثم لم أرض بما فعلت وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهدني على نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعبتك فشد يا هرون مؤزرك وأعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل قد رزمت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن وبجاسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما يا هرون قدمت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجة رب العالمين ثم أقصدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشرها ويترنون ويعدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا إذا نادى للنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قد دمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كأتى بك يا هرون وقد أخذت بضيق الحناق ووردت للساق وأنت ترى حسناك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فأحتفظ بوصيقي واتمظ بموعظتي التي وعظنتك بها . واعلم أني قد نصحتك وما أقيت لك في النصيحة فاني فاني الله يا هرون في رعبتك واحفظ عمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحلقاء بالنار  
لأن النفس الراقدة  
تستيقظ بكل ما يوقظها  
وإذا استيقظت  
نزعته إلى هواها فالعبد  
للرأب بهذا إذا فطن  
لسياسة النفس ورزق  
العلم سهل عليه  
الطبي وتداركته  
للحمنة من الله تعالى  
لا سيما إن كوشف  
بشيء من النع الالهية .  
وقد حكى قبر أنه  
اشتد به الجوع وكان  
لا يطيب ولا يتسبب  
قال فلما انتهى جوعى  
إلى الغاية بعد أيام  
فتح الله على بتفاحة  
قال فتناولت التفاحة  
وقصدت أكلها فلما  
كسرتها كوشفت  
بحوراء نظرت إليها  
عقب كسرها فحدث  
عندي من الفرح  
بذلك ما استغنى



بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من زود زادا فقهه ومنهم من خسر ديناه وآخرته وإن أحسبك ياهرون  
 بمن خسر ديناه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيئك عنه والسلام. قال عباد  
 فأتني إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقفت للوعظة  
 من قلبي فنادت يا أهل الكوفة فأجابوني قتلتم لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا  
 إلى بالله نائير والدرهم قتل لا حاجة لي في اللال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية قال فأبيت  
 بذلك ونزعت ما كان على من القباس القدي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه  
 السلاح القدي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا فنهز أي من كان على باب الخليفة  
 ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقدمتم قام فأعجبوا بجل بطم رأسه ووجهه  
 وبدعو بالويل والجزن ويقول انتفع الرسول وخاب الرسل مالى ولدينا مالى وللك زول عنى سريما  
 ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ  
 ويشبهق فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلت بالحديد  
 وضيق عليه السجن كنت نجهل عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الدنيا النور من غررتهم  
 والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فأركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى  
 جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظرا لنفسه واتقى الله فبما قدم  
 عليه غدا من عمله فانه عليه بحاسب وبه يحازي والله ولى التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال  
 حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج يهلول المجنون فيمن  
 خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوداج هرون فكف الصبيان عن الولوع  
 به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف يده عن وجهه فقال  
 ليلىك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي  
 صلى الله عليه وسلم منصورا من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك<sup>(١)</sup> وهم اضحك  
 في سفره هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجربك قال فيكى هرون حتى سقطت دموعه على  
 الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله المالا وجمالا فأتفق من ماله  
 وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. فقال  
 اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين  
 هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالله ين لا يجوز قال يا بهلول فنجري  
 عليك ما يقتوك أو يضحك قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا و أنت من عيال الله  
 فحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هرون السجاف ومضى . وعن أبي القباس الهاشمي عن صالح  
 ابن اللأمون قال دخلت على الحرث الهاشمي رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال كان  
 هذا مرة قلت له فاليوم قال أكتهم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها تنسى  
 ولولا أن يظنني فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب  
 الرائحة فسلم على ثم قد بين يدي قتلته من أنت فقال أنا واحد من السياحين أقصد التبدين في  
 محاريبهم ولا أرى لك اجتهدا فأبى سؤء عملك قال قلت له كتمان للصاب واستجلاب الفوائد قال

عن الطعام أياما  
 وذكر لي أن المحوراء  
 خرجت من وسط  
 التفاحة والايمن  
 بالقدره ركن من  
 أركان الايمان فلم  
 ولا تسكر . وقال  
 سهل بن عبد الله  
 رحمه الله من طوى  
 أربعين يوما ظهرت له  
 القدرة من اللسكوت  
 وكان يقال : لا يزهده  
 البعد حقيقة الزهد  
 التي لامشوبة فيه  
 إلا بمشاهدة قدرة  
 من اللسكوت . وقال  
 الشيخ أبو طالب  
 السكي رحمه الله :  
 عرفنا من طوى  
 أربعين يوما برياضة  
 النفس في تأخير  
 القوت وكان يؤخر  
 فطره كل ليلة إلى  
 نصف سبع الليل  
 حتى يطوى ليلة

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصورا من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه دون قوله منصورا من عرفة وإنما قالوا يرى الجرة وهو الصواب وقد تقدم في الباب الثاني .

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي الشرق والغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه قتلته له أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشى عليه منها فكثت عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفي قد أنرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المؤمنين فلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك أما اتق الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المؤمن وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبل فلم أجدهم في هذه الحظا فعلق بموعظتك لعل الحقةم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحرث فاخبت عنه فاخذه أقوام غرباء فدفعوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله فاقت في مسجد بالمقابر محزونا على الفتي فقلتني عيناى فاذا هو بين وصائف لم أر أحسن منه وهو يقول يا حرث أنت والله من الكائمين الذين يخفون أحوالهم ويطيحون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقيونك فنظرت إلى جماعة ركبنا قتلته من أتم قالوا الكائمين أحوالهم حرك هذا الفتى كلاما له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيئا فخرج للأمر والنهي وأن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبد . وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يزال عما لا يبيح ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشركة الفقامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليهم بالافار لطف قراء وانكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تنطشا إلى معرفته فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفى فضولى هذا آخر للمعتضد يريد أن يتم به مجلسه فقال النورى وهذا آخر قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك الدرر فاغتنظ للملاح عليه وقال لعلامه أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت الدرر في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرهما دنا دنا حتى أتى آخرها لإدنا واحد الملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله فلما رأى قال من أنت قلت عتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذى ولاك الامامة ولا فى الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقلت بشقة منى عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق فمكرا فى كلامي ثم رفع رأسه إلى وقال كيف تخلص هذا الدين الواحد من جملة الدنان فقلت فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن فقال هات خبرنى فقلت يا أمير المؤمنين إني أقيمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فآبت هية الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدين فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فندمت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بنض إلى التغير لأنى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تأمر بأخراجى سالما

في نصف شهر  
في طوى الأربعين  
في سنة وأربعة  
أشهر فتدرج الأيام  
والليالي حتى يكون  
الأربعين بمنزلة يوم  
واحد . وذكر لى أن  
الذى فعل ذلك ظهرت  
له آيات من اللكوت  
وكوشف بمعاني قدرة  
من الجبروت تجلى الله  
بهاله كيف شاء . وأعلم  
أن هذا المعنى من الطي  
والتقليل لو أنه عين  
الفضيلة ما فات أحدا  
من الأنبياء ولكان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يبلغ من ذلك إلى  
أقصى غايته ولا شك  
أن لذلك فضيلة لا تنكر  
ولكن لا تنحصر  
مواهب الحق تعالى في  
ذلك فقد يكون من  
يا كل كل يوم أفضل  
من يطوى أربعين

فأمرله بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلموا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثركلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجعوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا فساد الرأيا بفساد للولك وفساد للولك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على للولك والأكابر والله المستعان على كل حال .

### (كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

( وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه ، وأدب نبيه محمد ﷺ فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذ منه صفيه وحببيه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ؟ وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا .  
أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح للعارف وسرائر القلوب هي غارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينا وتجليها وتبدل المحاسن مكارهاها ومساوئها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبا استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستقلت تكريرها وإعادتها فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا معذوقة الأسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الأخلاق والشم ومنزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطربين ولندكر فيه أولا بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

( كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة )

يوما وقد يكون من  
لا يكشف شيء من  
معاني القدرة أفضل من  
يكشف بها إذا كشفه  
الله بصرف للعرفة  
فالقدره أثر من القادر  
ومن أهل قرب القادر  
لا يستغرب ولا يستكر  
شيئا من القدرة ويرى  
القدرة تجل له من  
سجف أجزاء علم  
الحكمة فاذا أخلص  
العبد لله تعالى أربعين  
يوما واجتهد في ضبط  
أحواله بشيء من  
الأنواع التي ذكرنا  
من العمل والذكر  
والقوت وغير ذلك  
تعود بركة تلك  
الأربعين على جميع  
أوقاته وساعاته وهو  
طريق حسن اعتمده  
طائفة من الصالحين  
وكان جماعة من  
الصالحين يختارون

( بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن )

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال عن الله تعالى أن يزيده بمجلس الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى »<sup>(١)</sup> ويقول « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »<sup>(٢)</sup> فاستجاب الله تعالى دعائه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتهما عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أماتقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن<sup>(٣)</sup> وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليعفوا وليصحوحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - ادفع بالحق هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والكافرين القيط والعافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولما كسرت ربايته وشجع يوم أحد فبسل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم<sup>(٤)</sup> فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأول بالتأديب والتحذير ثم منه بشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بثت لأتكم مكارم الأخلاق »<sup>(٥)</sup> ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلانمئذ ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أمضى عليه فقال تعالى - وإنك لملئ خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عظيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم ألقى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال - وإنك لملئ خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق وينفض سفافها<sup>(٦)</sup> قال صلى الله عليه وسلم يا عبي الله لرجل مسلم يحبته أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها مما تدر على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبائى طيقت جارية فى السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن طى الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن الروزى قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

(١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقالت ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتهما عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم فى قوله إنها لم يخرجاه (٤) حديث كسرت ربايته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث فى نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره خ تعليقا (٥) حديث بثت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك حق من حديث أنس هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالى الأخلاق وينفض سفافها حق من حديث سهل بن سعد متصلا ومن رواية طلحة ابن عبيد الله بن كرز مرسلا ورجلها ثقات .

إن رأيت أن تغلى عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الدمار  
 وبك العاني ويشبع الجائع ويعظم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم  
 الطائي فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لرحمنا عليه خلوا  
 عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق فقال أبو بردة بن نيار فقال  
 يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق (١)  
 وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢)  
 ومن ذلك حسن العاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل اللزوف وإطعام الطعام وإفشاء السلام  
 وعيادة المريض المسلم برآ كان أوفاجرا وتشجيع جنازة السلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان  
 أو كافرا وتوقير ذي الشبهة للسلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس والجود  
 والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمه الإسلام من  
 اللهو والباطل والفناء والعاظف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والنية والكذب والبخل والشح  
 والجفاء والسكر والخديعة والنجاسة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر  
 والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحدود والحدود والبنى والعدوان والظلم .  
 قال أنس رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيبا أو  
 قال شيئا إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكفي من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -  
 وقال معاذ أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث  
 والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام  
 وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجرع من الحساب  
 وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تهوى إماما عادلا أو  
 تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تعدل لكل ذنب توبة السربا لرسول  
 والعلانية بالمعصية (٤) فهكذا أذب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .  
 ( بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار )  
 فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث طي قوله وإعجابا لرجل مسلم يحبه أخوه للسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث  
 وفيه مرفوعا لما أتى بسبايا طي . وقتت جارية في السبي فقالت يا محمد إن رأيت أن تغلى عني الحديث  
 ت الحكيم في نوادر الأصول باسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حف الإسلام بمكارم الأخلاق  
 ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل وينفى عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث  
 (٣) حديث أنس لم يدع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له  
 على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم  
 في الحلية وهو في الزهد وقد تقدم في آداب الصحبة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس  
 أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزي كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن جبان من  
 حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن شعبة من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب  
 يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين  
 لم أخبرهما منه سبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اختبرتهما الحديث .

[ الباب التاسع  
 والعشرون في أخلاق  
 الصوفية وشرح الخلق  
 الصوفية وأوف الناس  
 حظا في الاقتداء  
 برسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأختم  
 بإحياء سنته والتخلق  
 بأخلاق رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم من  
 حسن الاقتداء وإحياء  
 سنته طي ما أخبرنا  
 الشيخ العالم ضياء  
 الدين شيخ الإسلام  
 أبو أحمد عبد الوهاب  
 ابن طي قال أنا أبو الفتح  
 عبد الملك بن أبي  
 القاسم المروى قال  
 أنا أبو نصر عبد العزيز  
 ابن حمد الترياقى قال  
 أنا أبو محمد عبد الجبار  
 ابن محمد الجراحي قال  
 أنا أبو العباس محمد بن  
 أحمد المصوبى قال أنا  
 أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء لم يجد من يعطيه وفجأة الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يسئل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت به شيء (٨) وكان يخفف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس مثق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبوا صاروا عنه في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها (٤) حديث كان يمسح أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب اليزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل لم يجد من يعطيه وفجأة الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في السجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن تريحنى منهما فقلت بدخلت على أحد من أهلي حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات في السجد حتى أصبح وظل في السجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى العشاء دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يسئل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشعلة فقيل له سألتني إياها وقد علمت أنه لا يرد سائلا الحديث ولهم من حديث أنس ما سئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر مما ادخر لعياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ن ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بشرين صا من طعام أخذه لأهله وقال ه ثلاثين صا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي ثلاثين وفي رواية هق ثلاثين صا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله أحد من حديث عائشة كان يخفف نمله ويخيط ثوبه ويسمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سورة الترمذي قال ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري البصري قال ثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال : يا بنى وذلك من سننى ومن أحيائى قد أحيائى ومن أحيائى كان معى فى الجنة » فالصوفية أحيوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا فى بداياتهم لرعاية أقواله وفى وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأنمزلهم ذلك أن تحققوا

ويقطع اللحم معهم<sup>(١)</sup> وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد<sup>(٢)</sup> ويجب دعوة العبد والحرة<sup>(٣)</sup> ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنم أو ثوب ويكافى عليها<sup>(٤)</sup> ويأكلها ولا ياكل الصدقة<sup>(٥)</sup> ولا يستكبر عن إجابته الأمة والمساكين<sup>(٦)</sup> يغضب لربه ولا يغضب لنفسه<sup>(٧)</sup> وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأي وقال : أنا لا أنتصر بمشرك<sup>(٨)</sup> ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به<sup>(٩)</sup> وكان يعصب الحجر على بطنه

يكون في مهنة أهله<sup>(١٠)</sup> حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فامسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقالت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وإيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حزنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها<sup>(١١)</sup> حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها<sup>(١٢)</sup> حديث كان يجب دعوة العبد والحرة هـ ك من حديث أنس كان يجب دعوة للمملوك قال ك صحيح الاسناد . قلت بل ضعيف وللدارقطني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أعيان من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يجب دعوة العبد إلى أي طعام دعى ويقول لودعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعو أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل<sup>(١٣)</sup> حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنم أو ثوب ويكافى عليها خ من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ، وأما ذكر جرعة اللبن وخنزير الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدر لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشربه ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلة بعث بورك أرنب أو غنمها إلى رسول الله ﷺ قبله<sup>(١٤)</sup> حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم<sup>(١٥)</sup> حديث كان لا يستكبر أن يمشي مع المسكين نـ ك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصجبة ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين<sup>(١٦)</sup> حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ت في التباين من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لعضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .<sup>(١٧)</sup> حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأي وقال أنا لا أنتصر بمشرك من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحجرة الوبرة أدر كره رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فلما أدر كره قال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك الحديث<sup>(١٨)</sup> حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حنيفة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه وتحسين الأخلاق لا يأتي إلا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لبيته محمد صلى الله عليه وسلم - وإنك لعلى خلق عظيم - لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أي على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة . سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن قال فتأده هو ما كان يأتمر به من أمر الله تعالى وينتهي عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر

مرة من الجوع<sup>(١)</sup> ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثمرا دون خبز أكله<sup>(٢)</sup> وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنادون خبزا كتنى به وإن وجد بطيخا أو رطبيا أكله ، لا يأكل متسكنا<sup>(٣)</sup> ولا طلى خوان<sup>(٤)</sup> مندبيله باطن قدميه<sup>(٥)</sup> لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية<sup>(٦)</sup> حتى لقي الله تعالى بإشارا طي نفسه لا تقرا ولا بخل<sup>(٧)</sup> يجيب الوليمة ويعود المرضى<sup>(٨)</sup> ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس<sup>(٩)</sup>

(١) حديث كان يصب الحبر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة خفر الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرا وأغرب حب فقال في صحيحه إنما هو الحبر بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس بتابع على ذلك ويرد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم ثقات (٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال إن وجد ثمرا دون خبز أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنادون خبزا كتنى به وإن وجد بطيخا أو رطبيا أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخلق فقال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب الثمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقرئ من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خل فدعاه الحديث وله من حديث أنس رأيتُه مقبيا يأكل تمرات وت وصححه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسبيله لفظه وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصححه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبرهم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فدعا بماء فمضض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واستاده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل متسكنا تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان مندبيله باطن قدمه لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يجيب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب واستاده ضيف (٨) حديث كان يعود المرضى ويشهد الجنائز وت وضعفه وه ك وصححه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الاستاد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس تك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية - والله يصمك من الناس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمت الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاستاد .

كبير وعلم غامض ما نطق بذلك إلا بما خصها الله تعالى به من ركة الوحي السباوي ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه إياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحبراء وذلك أن النفوس مجبولة على غرائز وطباع هي من لوازمها وضرورتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمائم سنون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الأصول التي هي مبادئ تكوينها استفادت صفات من البهيمة والسبعة والشرطانية وإلى صفة الشيطنة في الإنسان إشارة بقوله تعالى - من



أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلغهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لاهوله شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة بردجرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس (٥) وخاتم فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بصيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للثؤنة لبن الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه إلى أن قال متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق واسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يألف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة وللأسكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رؤسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسر دم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمجامع الكلم فصل لافضول ولا تقصير (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لهيعة (٤) حديث كان لاهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوتني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوتني وفيه ابن لهيعة (٥) حديث كان يلبس ما وجد ثمرة شملة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يردة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وانها لإزاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأوص بن حكيم يختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتم فضة متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (٧) حديث لابس الخاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه وللبخاري من حديثه فأنى لأرى بريقه في خنصره (٨) حديث تحتته في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه وأردف الفضل بن عباس من الزدلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالقنار  
لدخول النار في القنار  
وقد قال الله تعالى -  
وخلق الجنان من مارج  
من نار والله تعالى بخفي  
لطفه وعظيم عنايته  
نزع نصيب الشيطان  
من رسول الله صلى الله  
عليه وسلم على ماورد  
في حديث حليلة ابنة  
الحارث أنها قالت  
في حديث طويل فينا  
نحن خاف بيوتا  
ورسول الله صلى الله  
عليه وسلم مع أخ له  
من الرضاة في بهم  
لنا جاءنا أخوه يشتد  
فقال ذلك أخى القرشى  
قد جاءه رجلان عليهما  
ثياب بياض فأضجعا  
فشقا بطنه فخرجت  
أنا وأبوه نشد نحوه  
فنجده قائما منتعما لونه  
فاعتقه أبوه ، وقال  
أي بني ما شأنك ؟ قال

رجلا حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يموذ الرضى في أقصى المدينة<sup>(١)</sup> يحب الطيب ويكره الرائحة الردئية<sup>(٢)</sup> ويجالس الفقراء<sup>(٣)</sup> ويؤاكل الساكنين<sup>(٤)</sup> ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم<sup>(٥)</sup> يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم<sup>(٦)</sup> لا يجفو على أحد<sup>(٧)</sup>

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقلنسوة ومرة حمارا ومرة رجلا ومرة حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة يموذ الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة ومسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عرياحين انصرف من جنازة ابن الدحداح ومسلم من حديث سهل بن سعد كان لنبى ﷺ فرس يقال له : اللحيص ولهما من حديث ابن عباس طاف النبى صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولهما من حديث ابن عمر كان يأتى قبا راكبا وماشيا ومسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد بن ققام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشى في السباخ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الردئية من حديث أنس حب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يحبه الريح الطيبة لفظك وقال صحيح على شرط الشيخين وابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء د من حديث أبى سعيد جالس في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستربضا من العرى الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فينا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - إصنادها حسن (٤) حديث مؤاكلته لعمساكين خ من حديث أبى هريرة قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في الشمال من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كريم كل قوم ويؤلفه عليهم الحديث وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وإصناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الاسناد (٦) حديث كان يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يجلس العباس لإجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبى وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الاسناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم اللاتى ضعيف فأثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدره والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبى سعيد لا يقيفن في المسجد باب إلا سد إلا باب أبى بكر (٧) حديث كان لا يجفو على أحد دت في الشمال ون في اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشى يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبى هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بشى أخو العشرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاءني رجلان عليهما ثياب يابض فأضجاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم ردا كما كان فرجنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني هذا قد أصيب انطلقى بنا فلزده إلى أهله قيل أن يظهر به ماتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه إلا وقد قدما به عليها قالت ما ردك قد كتبنا عليه حريصين قلنا لا والله لا خير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذى كان علينا وقلنا نمشى الأنلاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شائكا فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتا عليه الشيطان

يقبل معذرة العذر إليه <sup>(١)</sup> يمزح ولا يقول إلا حقا <sup>(٢)</sup> يضحك من غير قهقهة <sup>(٣)</sup> يرى اللعب الباح فلا ينكره <sup>(٤)</sup> يسابق أهله <sup>(٥)</sup> وترفع الأصوات عليه فيصبر <sup>(٦)</sup> وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها <sup>(٧)</sup> وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس <sup>(٨)</sup> ولا يعصى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه <sup>(٩)</sup> يخرج إلى بساتين أصحابه <sup>(١٠)</sup>

(١) حديث يقبل معذرة العذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق الخلفون يعتذرون إليه قبل منهم علانيتهم الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند تليفظ قالوا إنك تداعبنا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لمواته إنما كان يتبسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في الثمائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يابني أرفدة وقد تقدم في كتاب السماع (٥) حديث مسابقته صلى الله عليه وسلم أهله دهن في الكبري وه من حديث عائشة في مسابقته لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبرخ من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القمقام بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك قماريا حتى ارتفعت أصواتهما قزلت - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن أوقالت أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالغابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أعنز سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا وبروح بهن علينا وكانت لقاح بذي الحبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ رعى بذي قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا يزيد أن تزيد فاذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة الحديث (٨) حديث كان له عبيد وإماء فلا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبارافع وأبامويهبة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر أطمعهم مما تأكلون وألبسهم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يعصى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءا بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل آخر وجه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سيل وإنه لكان لابن هذا شأن ألا أخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به لما حملت حملًا قط أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوطا لم يقعه للولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلمة

لا يحقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى في قر وفي رعاية الغنم يتبنا لأب له ولا أم فله الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والقبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقتنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين .

( بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه )

كما رواه أبو البحتري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتمه إلا جعل لها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بلعة (٤) وقيل له وهو في القتال لوالسنة يارسول الله

(١) حديث لا يحقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا .  
 خ من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه مرّ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى وفي قر وفي رعاية الغنم لأب له ولا أم فله الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين ومافيه النجاة والفوز في الآخرة والقبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في التماثل من حديث أبي ابن طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه الحديث وفيه فأسأله عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يحزن لسانه إلا فيما بينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا بينه الحديث وقد تقدم بضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلا أولادهم سفها بغير علم - وحج من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال لتنجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب إني لفي صحراء ابن عشرين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أرهاها أي التهم على قراريط لأهل مكة ولأبي يعلى وحج من حديث حليمة إنما تزجوا كرامة الرضاعة من والده للولود وكان يتما الحديث وتقدم حديث بشت بمكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لنته شتمته جلدة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادما قط المعروف ما ضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة ولبخارى من حديث أنس لم يكن خلفا ولا لعلنا وسيأتى الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى .

هاوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فامتدحت تلك الصفات للبقاء بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزليل الآيات المحكمات بازائها لقمعها تأديا من الله لنيه رحمة خاصة له وطامة للأمة موزعة بنزول الآيات على الآماء والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا - وثبتت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح متى إما

قال هـ إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعناً (١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له (٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى وما اتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خير بين أمرين قط إلا أختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك (٣) وما كان يأتيه أحد حرأ أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته (٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لمي نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر (٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض (٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال محمد رسول الله عدى المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يعزى بالسيئة السيئة ولكن ينفو ويصفح ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه دعاء للقرآن والطم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعته في الإنجيل وكان خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام (٧) ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف (٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (٩)

(١) حديث إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعناً من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يارسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم قيل هلكت دوس قال اللهم اهد دوسا واثبت بهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما اتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حرأ أو عبداً أو أمة إلا قام معه في حاجته مع تعليق من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت ووصله هـ وقال فابزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم وأيضاً من حديث ابن أبي أوفى ولا يأتف ولا يستكبر أن يمشی مع الأرملة والسكين حتى يقضى لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لمي أحد من أهله إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر الشيخان من حديث أنس ما قال شيء صنعته لم صنعت ولا شيء تركته لم تركته وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فأتبني عليه فان عاتبني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفي رواية له كذا قضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض ، لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث طي بن أبي طالب ليس يخط إلى أن قال ولا عياب رواه في الثمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة ، وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس ما أعلاه عاب شيئا قط وفي الصحيحين من حديث عمر اضطجعه على حصير وتوضأ وصحبه من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة (٨) حديث ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث طي بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل يكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للنصرف ورواه تميمه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر هـ من حديث أنس الذي قبله كان إذا استقبل الرجل فصاحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظه وقال غريب .

تصريحاً أو تعريضاً كما  
تحركت النفس الشريفة  
النسوية لما كسرت  
رباعيته وصار الفم  
يسيل على الوجه  
ورسول الله صلى الله  
عليه وسلم يمسحه  
ويقول: كيف يطلع قوم  
خضبوا وجهه بنبيهم وهو  
يدعومهم إلى ربهم فأزل  
الله تعالى - ليس لك  
من الأمر شيء -  
فاكتسى القلب التبوى  
لباس الاضطراب وقاء  
بعد الاضطراب إلى  
القرار فلما توزعت  
الآيات على ظهور  
الصفات في مختلف  
الأوقات صفت الأخلاق  
النسوية بالقرآن  
ليكون خلقه القرآن  
ويكون في إحياء تلك  
الصفات في نفس رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يديه فشا به ثم شد قبضته عليها<sup>(١)</sup> وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله<sup>(٢)</sup> وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة ؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته<sup>(٣)</sup> وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة<sup>(٤)</sup> ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه<sup>(٥)</sup> لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس<sup>(٦)</sup> وما رؤى قط مادار جلوسه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للسكان واسعا لا يضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة<sup>(٧)</sup> وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه<sup>(٨)</sup> وكان يؤثر الداخل عليه بالسادة التي تحته فإن أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل<sup>(٩)</sup> وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه<sup>(١٠)</sup> حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يديه فشا به ثم شد قبضته ومن حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحكم إذا لقيتموه قال ما لقيته قط إلا صالحني الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وسماء البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شبك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال علي ذكر بالتونين (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة د ت في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبيا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه دن من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجىء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حينما انتهى به المجلس جلس ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٧) حديث ما رؤى قط مادار جلوسه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون السكان واسعا لا يضيق فيه الدار قط في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وتوهلر مقدما ركبتيه بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برده فأتاها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة والطبراني في الكبير من حديث جرير فأتني إلى كساء ولأني نعيم في الحلية فبسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمائل من حديث علي الطويل وفيه يعطى كل جلسانه نصيبه لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

معنى قوله عليه السلام « إنما أنسى لأسن »  
فظهر صفات نفسه الشريفة وقت استئصال الآيات لتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تزكي نفوسهم وتشرّف أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأخلاق عزيمة عند الله تعالى فإذا أراد الله تعالى ببدي خيرا منحه منها خلقا » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بثت لأتسم مكارم الأخلاق » .  
وروى عنه صلى الله عليه وسلم عليه وسلم « إن الله تعالى مائة بضعة عشر

ذل الله تعالى - فبارحمه من الله لت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا تقتضوا من حولك - ولقد كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعو بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن بيتدى (٣) لهن الكنى (٤) ويكنى الصبيان فيستأين به (٥) قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجامع الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول لعنينا جبريل عليه السلام (٨) .

( بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم )

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

خلقا من آتاه واحدا  
منها دخل الجنة  
تقديرها وتعديدها  
لا يكون إلا بوحى  
سماوى لم رسل ونبي  
والله تعالى أبرز إلى  
الخلق أسماء منبئة  
عن صفاته سبحانه  
وتعالى وما أظهرها  
لهم إلا ليدعوم إليها  
ولولأن الله تعالى أودع  
في القوى البشرية  
التخلق بهذه الأخلاق  
ما أبرزها لهم دعوة  
لهم إليها يختص رحمته  
من يشاء ولا يحد  
والله أعلم أن قول  
عائشة رضى الله عنها  
كان خلقه القرآن فيه  
رمز تامض ولعماء

(١) حديث كان يدعو أصحابه بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أنى بكر يأنبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يأنبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرطه وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم يأنبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أباحسن وجد منصا في بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ولأبى يعلى الموصلى من حديث سعد ابن أبى وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعو بما كناه به ت من حديث أنس قال كنانى النبي صلى الله عليه وسلم بقلبة كنت أختليها ببنى أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصهيب بن مالك تكنتى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى يحيى للطبرانى من حديث أبى بكره تدليت بكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكره (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن بيتدى لهن الكنى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن قومي إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خالد هذا ساء وكانت صغيرة وفيه مولى للزبير لم يسم ولأبى داود بإسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل صواحبى لهن كنى قال فاكنتى بابنك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يأنبا عمير ما فعل النغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من العلوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطى الغضب سريع النى رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها رواه ت في الثمائل من حديث هند بن أبى هالة (٦) حديث كان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس هذا من العلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبى الدحداح من حديث على في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجامع الأصوات ت في الثمائل من حديث على الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبمحمدك الحديث أخرجه النسائى في اليوم واليلة وك في الاستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الثمائل وابن الجوزى

أنا أفصح العرب (١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم (٢) وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظمن (٣) قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسر دم هذا كان كلامه نزا وأتم تنثرون الكلام ترا (٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وصكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد (٥) وكان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبنيه (٦) وكان جهر الصوت أحسن الناس نعمة (٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة (٨)

في الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يجهرهم (١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قالت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرعد والطرلاب أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك (٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس ومحمده كلام أهل الجنة عربي (٣) حديث كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم ينحدرن حلو للنطق لا نزر ولا هذر وقد تقدم وسيأتي من حديث عائشة بسده كان إذا تكلم تكلم نزا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لوعده العاد لأحصاء (٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسر دم هذا كان كلامه نزا وأتم تنثرون ترا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الحلبي في فوائده باسناد منقطع (٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بن عبد المنذر من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كاسيأتي قال خ بلقي في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك وللاحكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل لحفظتها (٦) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه وبنيه ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بعثت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أو ترسيل وفيه شيخ لم يسم وله ولترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن (٧) حديث كان جهر الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو مما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء مامعت أحدا أحسن صوتا منه (٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة .

خفي إلى الأخلاق  
الروائية فاحتشمت  
من الحضرة الإلهية  
أن تقول متخلقا  
بأخلاق الله تعالى  
فصبرت عن المعنى بولها  
كان خلقه القرآن  
استحياء من صبهات  
الجلال وسترا للحال  
بلطف اللقال وهذا  
من وفور علمها وكال  
أدبها وبين قوله تعالى  
- ولقد آتيناك سبعا  
من الثاني والقرآن  
المعظم - وبين قوله  
- وإنك لعل خالق عظيم -  
مناسبة مشعرة بقول  
عائشة رضي الله عنها  
كان خلقه القرآن .  
قال الجنيد رحمه الله



ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويعرض عن تكلم بغير جميل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكنت تكلم جليساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بعنه يعض فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم (٧) وربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لأدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا أن السبع يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أقرى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تفعفا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شيئا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يفنيك الله بما يفني به المؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق رواه ك وصححه (٢) حديث يعرض عن تكلم بغير جميل ت في الثمائل من حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشئ الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلاتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألت عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكنت تكلم جليساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٥) حديث يعظ بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بعنه يعض وأنه أنزل على وجوه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو باسناد حسن إن القرآن يصدق بعنه بعضا فلا تكذبوا بعنه يعض وفي رواية للهروى في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعنه يعض وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعنه يعض وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم وت في الثمائل من حديث علي بن ضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم (٨) حديث وربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الخبر الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة المجمع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له ت في الثمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكك التبسم (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نسكر لونه فقال دعوني والذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال

كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقهم وبابنهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بعاشدة مكنونها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحظبة عظة (١) وكان إذا سرور رضى فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بمجد وإن غضب وليس يغضب إلا الله لم يغم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى يقول : اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني للنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشق به على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣) .

( بيان أخلاقه وآدابه في الطعام )

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان على صنف (٥) والصف

يارسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتي الناس بالثرید وقد هلكوا جوعاً الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل وورده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الغيرة بن شعبة التفتي عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود التفتي عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحظبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحداً أكثر تبساً منه وللطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحى قلت نذير قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث على أو الزبير كان يحط بذكر أيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بألفاظ كان إذا خطب (٢) حديث كان إذا سرور رضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بمجد وإن غضب ولا يغضب إلا الله لم يغم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به المرأة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يرق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قر وكننا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلاصوته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشائل في حديث هذبن أبي هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يغم لغضبه شيء حتى يتصرله ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني للنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشق به على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروى الاستغفرى في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطانا منها ما برزناك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

( بيان أخلاقه وآدابه في الطعام )

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان على صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المهبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن للنكر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن

ما كثرت عليه الأبدى ، وكان إذا وضعت المائدة قال : باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وبين قدميه كما يجلس للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابعه الثلاث (٥) وربما استعان بالراية (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بغالودج فأكل منه وقال ما هذا يا أبا عبد الله قال باني أنت وأمي نجعل السمن والصل في البرمة ونضعها على النار ثم نعليه ثم

أى كثرت عليه الأبدى أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأبدى ولأبى يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غداء وعشاء خبر ولم إلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وقدميه كما يفعل للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضملا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتفز وقال آكل كما يأكل العبد الحديث وروى ابن الضحاك في السائل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبته وكان لا يتكىء أورده في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبرار من حديث ابن عمر إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبى يعلى من حديث عائشة آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بإسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حولة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه أني بصحفة تخور فرفع يده منها وقال إن الله لم يطعمنا ناراً وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وسماء في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبى الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استعانه بالراية رويناه في الفيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحنس (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فإنه أكل اللوك ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين الحديث .

من أحبك إلى وأقربكم  
منى مجلساً يوم القيامة  
أحسنكم أخلاقاً وإن  
أبضكم إلى وأبدمكم  
منى مجلساً يوم القيامة  
الثرثارون للتشدقون  
للتفهيون قالوا يا رسول  
الله علنا الثرثارون  
وللتشدقون في  
التفهيون ؟ قال  
التكبرون والثرثار هو  
للكثار من الحديث  
والتشديق للتناول  
على الناس في الكلام  
قال الواسطي رحمه الله  
الخلق العظيم أن  
لا يخاف ولا يخاف  
وقال أيضاً وإنك لم  
خلق عظيم لوجدانك  
حلاوة للطالمة على

ناخذ مخ الحنطة إذا طحنت فتقليه على السمن والعسل في البرمة ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كآري  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب <sup>(١)</sup> وكان يأكل خبز الشعير غير منخول <sup>(٢)</sup>  
 وكان يأكل القثاء بالرطب <sup>(٣)</sup> وبالملح <sup>(٤)</sup> وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب <sup>(٥)</sup>  
 وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر <sup>(٦)</sup> وربما أكله بالرطب <sup>(٧)</sup> ويستعين باليدن جميعاً وأكل  
 يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل  
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة <sup>(٨)</sup> وكان ربما أكل العنب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بفالودج الحديث قلت المعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله  
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت  
 عليه غير تحمل النقي والعسل، الحديث. وقال هذا منقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث  
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال  
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفالودج فرواه بإسناد ضعيف من حديث  
 ابن عباس قال أول ما سمعنا بالفالودج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح  
 عليهم الأرض ويقاض عليهم من الدنيا حتى إنهم ليأكلون الفالودج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما  
 الفالودج قال يغلطون السمن والعسل جميعاً قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لأصله  
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان  
 يأكل القثاء بالرطب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح  
 أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدي وفيه عباد  
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفاكهة الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي  
 من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفاكهة العنب والبطيخ  
 وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس  
 كان يأخذ الرطب يمينه والبطيخ يساره وبأكل الرطب والبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه فيه يوسف  
 ابن عطية الصغار يجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة كان أحب الفاكهة لرسول الله  
 صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فإن خير الفاكهة العنب وكلاهما ضعيف  
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل  
 العنب بالخبز فيما رواه ابن عدي من حديث عائشة مرفوعاً عليكم بالمرامة قيل يا رسول الله وما المرامة  
 قال أكل الخبز مع العنب فإن خير الفاكهة العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ  
 بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بعده وإن أريد به السكر  
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلاً إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوفلي في كتاب البطيخ من  
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخاً بسكر وفيه موسى بن إبراهيم  
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالرطب من حديث عائشة وحسنه وه  
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمي بلفظ البطيخ بالرطب (٨) حديث  
 استعانت به باليدن جميعاً قال يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها  
 بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعانت به يديه  
 جميعاً فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه  
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضاً أنك  
 قبلت فنون ما أسديت  
 إليك من نعمي أحسن  
 مما قبله غيرك من  
 الأنبياء والرسل. وقال  
 الحسين لأنه لم يؤثر  
 فيك جفاء الخلق مع  
 مطالعة الحق وقيل  
 الخلق العظيم لباس  
 التقوى والتخلق  
 بأخلاق الله تعالى إذ لم  
 يبق للأعواض عنده  
 خطر. وقال بعضهم  
 قوله تعالى ولو تقول  
 علينا بعض الأقاويل  
 لأخذنا منه باليمين -  
 آثم لأنه حيث قلل وانك  
 أحضره وإذا أحضره  
 أغفله وحجبه وقوله  
 لأخذنا آثم لأن فيه  
 فناء في قول هذا القائل

خرطاً يرى زوانه على لحيته تكرر اللؤلؤ (١) وكان أكثر طعامه للماء والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطينين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول «يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين» (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فياً كله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه وبرضه إلى فيه رضا ثم ينهشه انتهاشاً (١٠) وكان يأكل الحبز والسمن (١١)

هذا بثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس باسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل الغنم خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيل في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه للماء والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطينين أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبن التمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها الأطينين ورجاله تقات وإيهامه لا يضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لقل أبو الشيخ من رواية ابن سميان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في التماثل من حديث جابر أنا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم وإسناده صحيح و ه من حديث أبي الدرداء باسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عند م بلفظ تعجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فأنها تشد قلب الحزين رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد ت من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم اتقني بأحب الخلق إليك يا كل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى د ت واستغربه من حديث سفينة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم جباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فياً كله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواه د ت من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جدا (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورضه إلى فيه رضا ثم نهشه د من حديث صفوان بن أمية قال كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فانه أهني وأمرأ وت من حديثه انهش اللحم نهشا فانه أهني وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضاً والشيخين من حديث أبي هريرة فتناول الذراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الحبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأتت بذلك الحبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدتمته الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح و د ه من

نظر فبلا قال إن كان  
في ذلك فناء ففي قوله  
وإنك بقاء وهو بقاء  
بعد فناء والبقاء أتم  
من الفناء وهذا أليق  
بمنصب الرسالة لأن  
الفناء إنما عز لمزاحة  
وجود منموم فاذا نزع  
المنوم من الوجود  
وتبدلت النعوت فأى  
عزة تبقى في الفناء  
فيكون حضوره بالله  
لا بنفسه فأى حجة  
تبقى هنالك . وقيل  
من أوتى الخلق العظيم  
قد أوتى أعظم اللقاعات  
لأن اللقاعات ارتباطاً  
عاماً والخلق ارتباطاً  
بالنعوت والصفات .  
وقال الجنيد اجتمع

وكان يحب من الشاة الدراع والكشف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة (١) ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر (٢) وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحفقاء التي يقال لها الرحلة (٣) وكان يكره الكليتين لساكنهما من البول (٤) وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأثنين والثلاثة والبراة والفدد والحيا والسم ، ويكره ذلك (٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات (٦) وماذم طعاما قط لسن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره (٧) وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما (٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندى خبزة يضاء من بر صمراء ملبقة بدم من الحديث قال دمنسكر .  
(١) حديث كان يحب من الشاة الدراع والكشف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من ثريد ولحم فتناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكشف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يصعبه من الشاة إلا الكشف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله بالاسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة (٢) حديث دعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر البراز والظبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدينا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامى قال بارك الله في الجذامى وفي حديقته خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للدينى قيل هو تمر أحمر وت ن ه من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يحب من البقول الهندباء والباقورج والبقلة الحفقاء التي يقال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوى من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فإنه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن على وأنس بن مالك نحوه وكلها ضيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالرحلة وفي رجله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنبتى حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناه الصداع وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لساكنهما من البول وروناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشيخ من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن على العدوى أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأثنين والثلاثة والبراة والفدة والحيا والسم ، ابن عدى ومن طريقه البيهقى من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقى من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في الموطأ عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطنى في غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فأتى أناجى من لانتاجى ولسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاما قط لسن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقالوا كوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى (٨) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما

فيه أربعة أعيام :  
السخاء والألفة  
والنصيحة والشفقة .  
وقال ابن عطاء : الخلق  
الطيب أن لا يكون له  
اختيار ويكون تحت  
الحكم مع فناء النفس  
وفناء للألوفات . وقال  
أبو سعيد القرشى :  
الطيب هو الله ومن  
أخلاقه الجود والكرم  
والصفح والصفو  
والإحسان ألا ترى إلى  
قوله عليه السلام « إن  
له مائة وبضعة عشر  
خلقا من آتى بواحد  
منها دخل الجنة » فلا  
تخلق بأخلاق الله  
تعالى وجدائنه عليه  
بقوله - وإنك لملى

وكان يلعق بأصابعه الصلصة ويقول آخر الطعام أكثر بركة (١) وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى نهمر (٢) وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي الطعام البركة (٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه (٤) وكان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه بغسل جيد ثم يمسح بفضل الماء على وجهه (٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تغميدات (٦) وكان يمسح اللسان بماء ولا يمسح عبا (٧) وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه (٨) فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أجبت آثرتهم (٩) وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه (١١) وآتى بإناء فيه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه ولهامن حديث ابن عمر أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال والليهيق موقوفاً على زيد بن ثابت إني لا أكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به (١) حديث كان يلعق الصلصة ويقول آخر الطعام أكثر بركة البيهقي في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه ولا ترفع القصعة حتى تلمعها أو تلمعها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصلصة وقال إن أحكم لا يدري أي طعامه يبارك له فيه (٢) حديث كان يلعق أصابعه من الطعام حتى نهمر م من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى نهمر فلم أقف له على أصل (٣) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابعه البركة م من حديث كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلعقها وله من حديث جابر فإذا فرغ فيلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تسكون البركة والبيهقي في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه (٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أنى أمانة كان إذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا (٥) حديث كان إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئاً فليغسل يده من ريع وضرة لا يؤذى من حذاه (٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تغميدات الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس كان إذا شرب بنفس ثلاثاً (٧) حديث كان يمسح اللسان بماء ولا يمسح عبا البغوي والطبراني وابن عدى وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضاً وشرب مصاً والطبراني من حديث أم سلمة كان لا يمسح ولا يبي الشيخ من حديث ميمونة لا يمسح ولا يلمس وكلها ضعيفة (٨) حديث كان يدفع فضل سؤره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث استئذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد (١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف وللحاكم من حديث أبي قتادة ومحمه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم (١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث أبي هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

خلق عظيم - وقيل عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات . وقيل لما ثبت محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجزه بها عن الذات والشهوات وألقاه في القربة والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له - وإنك لعلى خلق عظيم - . وأخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة ابن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر القدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر المليخي قال أنا أبو محمد

عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد<sup>(١)</sup> ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمنه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله » وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب<sup>(٢)</sup> وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب<sup>(٣)</sup>.

( بيان آدابه وأخلاقه في اللباس )

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك<sup>(٤)</sup> وكان يعجبه الثياب الخضر<sup>(٥)</sup> وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم

وقال حديث صحيح الاسناد (١) حديث أتى بإثناء فيه عسل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشبهاء عليهم إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيخان من حديث أبي سعيد كان أشد حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أي طعام بعينه من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قفنا ما عندنا شيء الحديث وفيه فلما رجعت قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حبيس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينه ولأبي داود هل عندكم طعام وت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى فخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر مرة على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لمسلم لو صنعت لنا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة بإثناء فيه شراب فتناوله فشربه منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه د من حديث أم النذر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على - وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة بقم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن وللترمذي ومحمد وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائما الحديث .

( بيان أخلاقه وآدابه في اللباس )

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه المدينة فقالت في هذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجراني وهو بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول ودت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث أسماء بنت يزيد كانت يد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم هـ من حديث ابن عباس خير ثيابكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال ك صحيح الاسناد وله ولاصحاب السنن من حديث سمرة عليه السلام هذه الثياب البياض فلبسها

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكالم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في أبيه ولا تكون في عبده ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن



وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب (١) وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على يياض لونه (٢) وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق (٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها (٤) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها (٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره (٦) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد (٧)

أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح (١) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث السوربن مخزومة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقيية من ديباج مززر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها قال غفرج وعليه قباء من ديباج مززر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدى له ثم زعزع الحديث (٢) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أوديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت ومحمه ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب (٣) حديث كان ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقيصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك ومحمه من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده بلفظ قميصا قصير الدين والطول وعندها وت في التماثل من رواية الأشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصفي الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف (٤) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ذه ت في التماثل من رواية معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في رهط من مزنة وبابنائه وإن قميصه لمطلق الأزرار وللبهيقي من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي محولة أزاره فسألته عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل وفي العلل للترمذي أنه سأل خ عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه للطبراني من حديث ابن عباس باسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبيا محلل الأزرار (٥) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها دت من حديث قيلة بنت مخزومة قالت رأيت النبي ﷺ وعليه أحمال ملاءتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته موتقون ود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها الحديث ورجاله ثقات (٦) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية البزار في كساء (٧) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبخاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولعبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب السخيتاني مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا.

أراد به السعادة : صدق  
الحديث وصدق اليأس  
وأن لا يشبع وجاره  
وصاحبه جائعان  
وإعطاء السائل  
والكفاة بالصنائع  
وحفظ الأمانة وصلة  
الرحم والتذم للصاحب  
وإقراء الضيف  
ورأسهن الحياء .  
وسئل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عن  
أكثر ما يدخل الناس  
الجنة قال « تقوى الله  
وحسن الخلق » وسئل  
عن أكثر ما يدخل  
الناس النار فقال : الغم  
والفرح يكون هذا  
الغم غم فوات الحظوظ  
العاجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة (١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعتد طرفه بين كتفيه (٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز (٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ (٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلّي كذلك (٥) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يياضك على سواده (٦) وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه (٧) وكان يتختم (٨) وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء (٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويناها إلى مثله وورده حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقدد طرفيه بين كتفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن النكدر صلى بنا جابر في إزار قدعنده من قبل قفله وثيابه موضوعة على الشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتصقه ورذاؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أفق عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد فقلت يا أم حبيبة أبصلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تعني الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في ثوب بعضه على ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أفق عليه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ون صنع للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوداء ورواه ك بلفظ جبة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس ربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيها البزار وأبو يعلى بلفظ صلى ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه والبزار خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا ثوب قطن فضلى بالناس وإسناده صحيح و ه من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدى قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قفاه وفي جزء الطريف فمقدّها في عتقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء عد من حديث وائلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكر به وسنده ضعيف .

يتضمن التخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أوى القوة فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يختم به على الكتف ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حيا وميتا (٨)

(١) حديث كان يختم به على الكتف ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إنهم لا يقرءون إلا كتابا محتوما فاتخذ خاتما من فضة الحديث ون ت في التماثل من حديث ابن عمر اتخذ خاتما من فضة كان يختم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الخاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة قلانس: قلنسوة بيضاء مضرية وقلنسوة بردجيرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر فرعما وضعا بين يديه إذا صلى وإسنادها ضعيف ولأبي داود وت من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين للتشركين العمام على القلانس قالت ت غريب وليس إسنادها بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبر وقد عصب رأسه بعصاة دماء الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدي وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه ت من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رقمه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس ت وقال غريب وهك وصححه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من مياسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتسل بدأ يمينته وإذا خلع بدأ يساره وسنده ضعيف وهو في الاعتال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمته خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ نوبين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما الحديث ك في الاستدراك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه فلبسها فلما بلغ تراقيه قال الحمد لله الذي كساني ما أجمل به في حياتي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند ه د ون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول المراتي: حديث كان له ثوب الخ، ليس هذا الحديث بنسختنا فقلعه بنسخة المراتي .

بفضل الله وبرحمته  
فذلك فليفرحوا -  
وغير عبد الله بن  
للبارك حسن الخلق  
قال هو بسط الوجه  
وبذل للعروف وكف  
الأذى فالصوفى قراضوا  
نقوسهم بالمكابدات  
والمجاهدات حتى أجابت  
إلى تحسين الأخلاق  
وكم من نفس تجيب  
إلى الأعمال ولا تجيب  
إلى الأخلاق فنفس  
العباد أجابت إلى  
الأعمال وجعت  
عن الأخلاق ونفوس  
الزهاد أجابت إلى  
بعض الأخلاق دون  
العض ونفوس  
الصوفية أجابت إلى

وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (١) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكانت قبضة سيفه محلاة بالقضة (٤) وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة (٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها الضباء واسم بقلته الدلدل

(١) حديث كان له فراش من آدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصراً على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة باتين الحديث وكلاهما لا يصح وت في الشئال من حديث حفصة وسئل ما كان فراشه قالت مسح ثنيه فتيان عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيبي وكان قبضة سيفه محلاة بالقضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حريرة تسمى النبعة وكانت له جعن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بقله شبيه يقال لها الدلدل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يافور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرأة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى للمشوق وفيه على بن غررة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلًا وله من حديث على بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر وك من حديث على في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن الحلي مرسلًا قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدعى بشارا وسيف يدعى الحنف وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب أصابهما من القلبي وفي مسنده الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما الضب شهد به بدرًا ولأبي داود وت وقال حسن ون وقال منكر من حديث أنس كانت قيمة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسلًا كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها  
أخبرنا الشيخ أبو زرعة  
إجازة عن أبي بكر  
ابن خلف إجازة عن  
السلي قال سمعت  
حسين بن أحمد بن  
جعفر يقول سمعت  
أبا بكر الكتاني يقول  
التصوف خلق فمن  
زاد عليك بالخلق زاد  
عليك بالتصوف فالعباد  
أجابت قوسهم إلى  
الأعمال لأنهم يسلكون  
بنور الاسلام والزهاد  
أجابت قوسهم إلى بعض  
الأخلاق لكونهم  
سلكوا بنور الإيمان  
والمصوفة أهل القرب  
سلكوا بنور الاحسان  
قلنا باشر بواطن أهل

وكان اسم حمارة يغفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (۱) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها (۲) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدفون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم وينتفون بذلك البركة.

( بيان عفوہ صلی اللہ علیہ وسلم مع القدرۃ )

كان صلی اللہ علیہ وسلم أحلم الناس (۳) وأرغبهم في العفو مع القدرۃ حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال « يا محمد والله لن أمرك الله أن تعدل لما أراك تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا (۴) » روى جابر « أنه صلی اللہ علیہ وسلم كان يقبض للناس يوم خير من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل فقام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (۵) » وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال لا غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك على سبيله فجاء أصحابه فقال جئكم من عند خير الناس (۶) » وروى أنس « أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجبى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أصلا وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي: قوس اسمها الروحاء وقوس شوحط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (۱) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بقلته الدلدل واسم حمارة يغفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وكان من حديث علي: ناقته القصواء وبقلته دلدل وحمارة غفيرة الحديث ورويناه في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة يغفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غفير ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعة: عجورة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف وفي سنده الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت له شاة تسمى قمر (۲) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أقف له على أصل.

( بيان عفوہ صلی اللہ علیہ وسلم مع القدرۃ )

(۳) حديث كان أحلم الناس تقدم (۴) حديث أتى بقلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر باسناد جيد (۵) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يابني الله اعدل الحديث رواه (۶) حديث كان في حرب قرؤى في المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وصلى الرجل غورث بن الحارث.

القرب والصوفية نور  
اليقين وتواصل في  
بواطنهم ذلك اصلح  
القلب بكل أرجائه  
وجوانبه لأن القلب  
يبيض بضئه بنور  
الاسلام وبضئه بنور  
الايمان وكله بنور  
الاحسان والايقان فاذا  
ايض القلب وتور  
انفكس نوره على  
النفس والقلب وجه  
إلى النفس ووجه إلى  
الروح والنفس وجه  
إلى القلب ووجه إلى  
الطبع والغريزة والقلب  
إذ لم يبيض كله لم  
يتوجه إلى الروح بكلمه  
ويكون ذا وجهين  
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليمسكك على ذلك قالوا أفلا تقتلها فقال لا <sup>(١)</sup> وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحلّ العقد فوجد لذلك خفة وماذ كرك ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط <sup>(٢)</sup> وقال على رضى الله عنه «بئس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والوزير واللقاداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ قلنا أخرجى الكتاب قالت مامى من كتاب قلنا لتخرجن الكتاب أو لتزعين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حطاب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حطاب ما هذا قال يا رسول الله لا تمجل على إتي كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأجيب إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن آخذ فيهم بدا يحمون بها قرابتي ولم أقبل ذلك كفر أو لارجه بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم <sup>(٣)</sup> . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذ كرك ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأحر وجهه وقال: «رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصر <sup>(٤)</sup>» وكان صلى الله عليه وسلم يقول «لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر <sup>(٥)</sup>» .

(بيان إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه <sup>(٦)</sup> وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية <sup>(٧)</sup> وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه <sup>(٨)</sup> يعني الصفرة ، وبال أعرابي في المسجد بعضرتة فهم به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة الحديث رواه وهو عندخ من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث على بئس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والوزير واللقاداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلقى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر دت من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغضاؤه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم .

(٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة باسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة دت في التماثل ون في اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فاذا ابيض  
كله توجه إلى الروح  
بكله فيتداركه مدد  
الروح ويزداد إشراقا  
وتورا وكلما انجذب  
القلب إلى الروح  
انجذبت النفس إلى  
القلب وكلما انجذبت  
توجهت إلى القلب  
بوجهها الذى يليه  
وتور النفس لتوجهها  
إلى القلب بوجهها  
الذى إلى القلب وعلامة  
تورها طمأنينتها قال  
الله تعالى - يأتيناها

«لا ترموه» أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لا تصلح لى» من القدر والبول والحلاء (١) وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال فغضب للسليون وقاسوا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت قتل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى ينهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو المشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزدوها إلا قهورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناتيقي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار (٢)

(بيان سحاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفام ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الاسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها لما ردا سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بال أعرابي في المسجد يحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا ترموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . (بيان سخائه وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس وكفا وأجرأ الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده بمتمصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الاسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قال إليها يقسمها فما ردا سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في التماثل من حديث الحسن مرسل أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكنا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمعة ارجى  
إلى ربك راضية  
مرضية وتود وجهها  
الذى إلى القلب بمثابة  
نورانية أحد وجهي  
الصدق لا اكتساب  
النورانية من اللؤلؤ  
وبقاء شيء من الظلمة  
على النفس لنسبة  
وجهها الذي إلى  
الفرجة والطبع كبقاء  
ظاهر الصدق على  
ضرب من السكر  
والنقصان عفاها  
لنورانية باطنه وإذا

فقال ما عندى شيء ولكن اتبع طى فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنتقى ولا تخش من ذى العرش إقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لى عدد هذه العضاء تما لتقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا (٢)

( بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم )

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم (٣) قال طى رضى الله عنه لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا (٤) وقال أيضا كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا (٦) وكان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٧) وقال عمران بن حصين مالى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشيه للشركون زل عن بقلته فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

إذ جاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحرى في صحيحه (١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن اتبع طى فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله الحديث ت فى الشائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروى لم يروه غير ابنه هرون (٢) حديث لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة غطفت رداءه الحديث خ من حديث جبير بن مطعم .

( بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم )

(٣) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث طى لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ فى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بأسناد جيد (٥) حديث طى أيضا كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بأسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تشمر الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسل (٧) حديث كان الشجاع هو الذى يقرب منه فى الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تتقى به وإن الشجاع منا الذى يحاذى به (٨) حديث عمران بن حصين مالى كتيبة إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضا من رواية أنى جعفر مفضلا ولطبرانى فى الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين فى البطش والجماع وسنده ضعيف (١٠) حديث لما غشيه الشركون زل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب . الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله فما روى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبى الشيخ وله من حديث طى فى قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأسا

تور أحد وجهى  
النفس لجأت إلى تحسين  
الأخلاق وتبديل  
النموت وقدك مى  
الأبدال أبدا والسر  
الأكر فى ذلك أن قلب  
الصوفى بدوام الإقبال  
على الله ودوام التذكر  
بالقلب واللسان يرتقى  
إلى ذكر القدرات ويصير  
حيثما بمثابة العرش  
فالعرش قلب الكائنات  
فى عالم الخلق والحكمة  
والقلب عرش فى عالم  
الأمر والقدرة . قال



( بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم )

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يمود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة للملوك (٤) ويغصف النمل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وآتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يرفقه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رقابهم وتواضعا لهم (١٣) وكانوا يتناشدون الشعرين يديه

( بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم )

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقه شبيه لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كاذ كره للصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يمود للريض ويتبع الجنائز ويجيب دعوة للملوك ت وضعه وك وصح إسناده من حديث أنس وتقدم منقطع (٥) حديث كان يغصف النمل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في للسند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب للعيشة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث آتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون الله عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو الحديث د ن من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جعلني الله فداك متكئا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله خ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان ﷺ لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب وللطبراني في الكبير باسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله قال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سهل بن عبد الله  
القسري القلب كالعرش  
والصدر كالكرسي  
وقد ورد عن الله تعالى  
« لا يسعني أرضي ولا  
سمائي ويسعني قلب  
عبدى للؤمن » فلذا  
اكتحل القلب بنور  
ذكر اللغات وصار  
بحرا مواجعا من نبات  
القرب جرى في جداول  
أخلاق النفس صفاء  
النعمت والصفات  
وتحقق التخلق بأخلاق  
الله تعالى . حكى عن

أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام (١) .

( بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم )

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن بمشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتشفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فرقا نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الخير كله في الربة (٢) » وأمالونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونفته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونفته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا إما كان للشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ماتحت الثياب منه وكان عرقه يطلع في وجهه كالثلج أو أطيب من المسك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس بالسبط ولا الجمد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعة تخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه ثقبو سوائفه ثلاثاً وكان شبيه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث في الثمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا وبذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يزجرهم إلا عن حرام .

( بيان صورته صلى الله عليه وسلم )

(٢) حديث كان من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة وتقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه ثقبو سوائفه ثلاثاً ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه صحيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه ودت وحسنه وه من حديث أم هانئ قدم إلى مكه وله أربع غدائر وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفاق الحديث وقال ليس إسناده متصل وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أفنى العينين له نور يعلوه يحبه من لم يتأمله أشم كثر الآية سهل الحديث ضليع الفم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نفته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي السند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يرضى فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه على بن زيد بن جعدان مختلف فيه وخ تمليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقي فما ينزل حتى يحبس كل ميزاب فأنشده وقد وصله بإسناد صحيح

الشيخ أبي علي  
الفارسي أنه حكى  
عن شيخه أبي القاسم  
الكركاني أنه قال إن  
الأسماء التسعة  
والثمين تصير أوصافا  
لعبدة السالك وهو بعد  
في السلوك غير واصل  
ويكون الشيخ عتي  
بهذا أن العبد يأخذ  
من كل اسم وصفا يلزم  
ضعف حال البشر  
وتصوره مثل أن يأخذ  
من اسم الله تعالى  
الرحيم معنى من الرحمة

وجها وأنورهم لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمري ليل البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايه الظلام

وكأنه صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين ما بينهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه مجلاوون أدعجهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان أنقى العينين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي متفرقا وكان إذا أقر ضاحكا أقر عن مثل سنا البرق إذا تلاحا وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الحدين صلبها ليس بالطويل الوجه ولا للكلم كث اللحية وكان يعنى لحيته ويأخذ من شاربه وكان أحسن عباد الله عتقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عتقه الشمس والرياح فكأنه إربق فضة مشرب ذهبيا يتلأل في رياض الفضة وفي حمرة الذهب ، وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بضاً كمرأة في استوائها وكالقمر في ياضه موهوله ما بين لبته وسرته بشعر متقاد كالقضب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم للسكرين أشعرهما ضخم الكراديس : أي رموس العظام من للسكرين وللرقين والوركين وكان واسع الظهر ما بين كنفه خاتم التوبة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من حرف فرس وكان على الضدين والذراعين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة كفه ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أولم يمساها بصاغها للصاف فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه وكان على ما تحت الأزار من القحذين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لجمه مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي الموهبي بغير تبخر والموهبي تقارب الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول « أنا أشبه الناس بآم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقاً » وكان يقول « إن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا للحاحي الذي يحو الله بي الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشر وعشر الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم واللقى قبيل الناس جميعا وأنا قم (١) قال أبو البختري : والقثم الكامل الجامع ، والله أعلم .

على قدر قصور البصر  
وكل إشارات الشايع  
في الأسماء والصفات  
التي هي أعز علومهم  
على هذا المني والقصير  
وكل من توهم بذلك شيئا  
من الحلول تزندق  
والحد وقد أوصى  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم معانا  
بوصية جامعة لمحاسن  
الأخلاق فقال له وإمامنا  
أوصيك بتقوى الله  
وصدق الحديث والوفاء  
بالعهد وأداء الأمانة

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة وقص وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال إن الأسماء طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جابر بن مطعم لي أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا للحاحي وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى واللقى ونبي التوبة ونبي الرحمة وأنا محمد من حديث حذيفة ونبي الملاحم وسنده صحيح .

( بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه )

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره الشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسة لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألقه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع ما يحكى من هجالب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذى يمجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربى القع كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتقيا ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل ، فلنذكر من جعلها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ، إذ شق له القمر بمكة لما سأله قريش آية <sup>(١)</sup> وأطعم النفر الكثير في منزل جابر <sup>(٢)</sup> وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق <sup>(٣)</sup> ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق <sup>(٤)</sup> وهو من أولاد اللز فوق المتود ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقرص شعير حملها أنس في يده <sup>(٥)</sup> ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم <sup>(٦)</sup> ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه <sup>(٧)</sup>

( بيان معجزاته )

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس <sup>(٢)</sup> حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه <sup>(٣)</sup> حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس <sup>(٤)</sup> حديث إطعامه ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق الإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلثمائة وهو عند ذكر العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف <sup>(٥)</sup> حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقرص شعير حملها أنس في يده م من حديث أنس وفيه حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا <sup>(٦)</sup> حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشر بن سعد وإسناده جيد <sup>(٧)</sup> حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل العسكر وهم عطاش وتوضؤوا الحديث متفق عليه

وترك الحيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإياك أن تسب حلما أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصى إماما عادلا أو تفسد أرضا أو صيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه (٢) ورعى الجيش بقبة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى الكهانة ببعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤) وحنّ الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له النبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الأبل فضمه إليه فمكن (٥) ودعا اليهود إلى تمى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتعنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالقيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة (٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدر صغير وفيه ثم قال لهم إلى الشرب قال أنس بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر حتى رووا منه وإسناده جيد وللبرازر واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتنوني بماء فأتوه بآاء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما يصبق فيها فجاشت الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توفى وأصبه فيها وفي الحديثين معا أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند خ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة وسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بإسنادين صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعددهم (٣) حديث رميه الجيش بقبة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطال الكهانة ببعثه ﷺ فخرائط من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم وأصله عند خ بغير هذا السياق (٥) حديث حنين الجذع خ من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود إلى تمى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتعنونه الحديث خ من حديث ابن عباس لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا الحديث وللبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يملوا الحديث وإسناده ضعيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبي مرسى الأشعري (٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة وخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين خ من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب  
توبة السرّ بالسرّ  
والعلانية بالعلانية  
بذلك أدب الله عباده  
ودعاهم إلى مكارم  
الأخلاق ومحاسن  
الآداب . وروى معاذ  
أيضا عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
حفّ الإسلام بمكارم  
الأخلاق ومحاسن  
الآداب . أخبرنا الشيخ  
العالم ضياء الدين  
عبد الوهاب بن علي  
باسناده المتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار <sup>(١)</sup> فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر سكن بأعلام الله تعالى له ووحيه إليه ، وأتبعه سراقه بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سواربا كسرى <sup>(٢)</sup> فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله <sup>(٣)</sup> وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه <sup>(٤)</sup> وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له <sup>(٥)</sup> وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدكم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتدا <sup>(٦)</sup> وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فمقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات <sup>(٧)</sup> ودعا شجرتين فأنتاه واجتمعا ثم أمرهما فافترقا وكان عليه السلام نحو الربرة فإذا مشى مع الطوال طالمه <sup>(٨)</sup> ودعا عليه السلام النصارى إلى الباهلة فامتنعوا ففرهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعملوا صحة قوله فامتنعوا <sup>(٩)</sup> وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحبل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بضعة وهلك ر بدبصاعة أحرقته <sup>(١٠)</sup> وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال أنا أبو صكر بن الليث حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول ما من شيء يوضع في للبراز أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصرم والصلاة وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراقه بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن ومن قتله وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز الديلمي وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهني شأنهما فأوحى إلي في المنام أن اتخهما فنفتخهما فطارا فتأولتهما كذا بين يخرجان بهدي فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له د من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك تجميعه وتدثبه وأول الحديث عند د من ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لنفر من أصحابه أحدكم ضرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال ابن عثرة وهو الذي رتدوه وهو بالجيم وذكره عبد الله بالمهملة وسبقه إلى ذلك الواقدي والدائلي والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلنظ أحد هؤلاء النفر في النار وفيه الواقدي عن عبد الله ابن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فمقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن محذورة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا صخرة بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مخلوة ماء حارا فمات وروى ذلك بإسناد متصل إلا أن فيه داود بن المهبر وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأنتاه فاجتمعا ثم أمرهما فافترقا أحمد من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى الباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الدين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يبعدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتسكاهم عازمين على قتله

أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه <sup>(١)</sup> وأطعم عليه السلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الذراع السموم <sup>(٢)</sup> وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم وجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع <sup>(٣)</sup> وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك <sup>(٤)</sup> وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومقاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول للشرق من بلاد الترك إلى آخر للغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يسمعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواء <sup>(٥)</sup> وأخبر فاطمة أمته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به <sup>(٦)</sup> فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن بدا بالصدقة وأولهن لحوقا به رضى الله عنها <sup>(٧)</sup> ومسح ضرع شاة لالبن لها فدرت <sup>(٨)</sup> وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما <sup>(٩)</sup> وتفل في عين على رضى الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبشه بالراية <sup>(١٠)</sup> وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم <sup>(١١)</sup> وأصابت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها <sup>(١٢)</sup> وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فقتل جميع ما بقى فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء

فحل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين <sup>(١)</sup> حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البيهقي في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل <sup>(٢)</sup> حديث إنه أطعم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الذراع السموم د من حديث جابر في رواية له رسالة أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرقها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب <sup>(٤)</sup> حديث إخباره بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام <sup>(٥)</sup> حديث زويت له الأرض مشارقها ومقاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلغ مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا <sup>(٦)</sup> حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا <sup>(٧)</sup> حديث أخبر نساءه أن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك <sup>(٨)</sup> حديث مسح ضرع شاة لالبن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد <sup>(٩)</sup> حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه في رواية للبيهقي أنه كان يندر وفي رواية أبي نعيم أنه كان بأحد وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيه من حديث أبي سعيد الخدري <sup>(١٠)</sup> حديث تفل في عين على وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبشه بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا <sup>(١١)</sup> حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه م من حديث ابن مسعود <sup>(١٢)</sup> حديث أصابت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها م في قصة قتل أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه، ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يستل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا ملياً من ذلك<sup>(١)</sup> وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيته عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكان فلم يزل يرتعش حتى مات<sup>(٢)</sup> وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك<sup>(٣)</sup> فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على السفيض ومن يستريب في أخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل التواتر هو القرآن قطع كمن يستريب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لى معجزة باقية سواه ﷺ إذ تهدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان بنادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - وقال ذلك تعجيزاً لهم فجزوا عن ذلك صر فواعنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرائعهم لى وما استطاعوا أن يمارضوا ولا أن يقدحوا في جزائته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقضى اليوم قريب من خمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بجاوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذهاب ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه يتمارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته واتبه في كل ما ورد وصدر ففسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال عنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى .

ثم يسود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى وبما احتاج قبل انقضاء العام . وكان يحصف النحل ويرقع الثوب ويغتم في مهنة أهله ويقطع اللحم معين . وكان أشد الناس حياءً وأكثرهم تواضعاً فضلات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيشي كان معه فدنا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدنا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيته مستهزأ به فقال فكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هناد بن خديج صححه إسناده جيد وللحاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد . [٢] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حسن وليس فيه أنه مسحها وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلخيص ومما هاجرة بنت الحرث ابن عوف اللزني وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن بنسختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه تبعاً للأصل فليُنظر .

[ قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين

وبليه : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح عجائب القلب ]



## فهرس الجزء الثانى

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالى

صفحة

صفحة

### ٦٢ ﴿ كتاب آداب الكسب والمعاش ﴾

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات

٦٣ ( الباب الأول فى فضل الكسب والحث عليه )

٦٦ ( الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع الخ

ويبان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات

التي هي مدار الكسب فى الشرع )

( العقد الأول البيع

٧٠ ( العقد الثانى عقد الربا

٧١ ( العقد الثالث السلم

٧٢ ( العقد الرابع الإجارة

٧٣ ( العقد الخامس القراض

( العقد السادس الشركة

٧٤ ( الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم

فى العامة )

القسم الأول فيما يعم ضرره وهو أنواع

٧٦ القسم الثانى ما يخص ضرره للعامل

٨٠ ( الباب الرابع فى الإحسان فى العامة )

٨٤ ( الباب الخامس فى شقنة التاجر على دينه

فما يخص ويم آخرته )

### ٨٩ ﴿ كتاب الحلال والحرام ﴾

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات

( الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة

الحرام ويبان أصناف الحلال ودرجاته

وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه )

فضيلة الحلال ومذمة الحرام

٩٣ أصناف الحلال ومداخله

القسم الأول الحرام لصفة فى عينه الخ

٩٤ القسم الثانى ما يحرم لخلل فى جهة إثبات

اليد عليه

### ٢ ﴿ كتاب آداب الأكل ﴾

وهو الأول من ربيع العادات

٣ ( الباب الأول فيما لا بد للمفرد منه وهو ثلاثة

أقسام: قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ،

وقسم بعد الفراغ منه

القسم الأول فى الآداب التى تقدم على

الأكل وهى سبعة

٥ القسم الثانى فى آداب حالة الأكل

٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام

٧ ( الباب الثانى فيما يزيد بسبب الاجتماع

وللشاركة فى الأكل وهى سبعة )

٨ ( الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى

الإخوان الزرين )

١٢ ( الباب الرابع فى آداب الضيافة )

١٩ فصل يجمع آداباً ومناهى طبية وشرعية متفرقة

### ٢١ ﴿ كتاب آداب النكاح ﴾

وهو الكتاب الثانى من ربيع العادات

٢٢ ( الباب الأول فى الترغيب فى النكاح

والترغيب عنه )

الترغيب فى النكاح

٢٤ ما جاء فى الترهيب عن النكاح

٢٥ آفات النكاح وفوائده

٣٧ ( الباب الثانى فيما يراعى حالة العقد من أحوال

للرأة وشروط العقد )

٤٣ ( الباب الثالث فى آداب المعاشرة وما يجرى

فى دوام النكاح والنظر فيما على الزوج

وفما على الزوجة )

٥٨ القسم الثانى من هذا الباب النظر فى

خقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين ينفذون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للثار الأول الشك في السبب المحال والمحرم
١٦٨ بيان الصفات المشروطة فيمن يختار محبته	١٠٣ للثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة)	١١٠ للثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ للثار الرابع الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثاني في الإعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمهجوم والإهمال ومطائنها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	الثمار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالنطق	١٢١ للثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوضات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص	١٢٩ النظر الثاني في المصروف
١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكلف الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدرات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول لاسلطان
١٩٠ (الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والمالك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب)	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ
١٩١ حقوق المسلم	١٤٠ (الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وبمحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١١ حقوق الجوار	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	والصحب والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢١٩ حقوق المملوك	
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان	
٢٢٢ (الباب الأول في نقل للذاهب والأقارب)	
وذكر حجج الفريقين في ذلك	
٢٢٣ ذكر حجج المائتين إلى المخالطة ووجه ضعفها	
٢٢٤ ذكر حجج المائتين إلى تفضيل العزلة	

صفحة	صفحة
٢٦٦ ( كتاب آداب السماع والوجد )	٢٢٦ ( الباب الثانى فى فوائد العزلة وغوايئها وكشف الحق فى فضلها )
وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات	الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ
وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف	٢٢٨ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن
العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .	المعاصى التى يتعرض للانسان لها الخ
بيان أقاويل العلماء والتصوفة فى تحليه	٢٣٢ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن
وتحريمه	والخصومات وصيانة الدين والنفس الخ
٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع	٢٣٣ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس
٢٨٢ بيان حجج القائلين بتحريم السماع	٢٣٤ الفائدة الخامسة أن ينقطع طمع الناس
والجواب عنها	عنك وينقطع طمعك عن الناس
٢٨٤ ( الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه	٢٣٥ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة
مقامات ثلاث )	للقلاء والحق ومقاساة محققهم وأخلاقهم الخ
٢٨٥ المقام الأول فى الفهم	٢٣٦ آفات العزلة للمبينة على فوات فوائد
٢٨٩ المقام الثانى بعد الفهم والتزليل للوجد	المخالطة السبعة الآتية
٢٩٨ المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب	الفائدة الأولى التعليم والتعلم
السماع ظاهرا وباطنا الخ	٢٣٨ الفائدة الثانية النفع والانتفاع
٣٠٢ ( كتاب الأمر بالمعروف )	الفائدة الثالثة التأديب والتأدب
والتهى عن النكر وهو الكتاب التاسع	٢٣٩ الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس
من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب	الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإنائه
٣٠٣ ( الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف	الفائدة السادسة من فوائد المخالطة التواضع
والتهى عن النكر وفضيلته والذمة فى	٢٤١ الفائدة السابعة التجارب
إيماله وإضاعته )	٢٤٣ ( كتاب آداب السفر )
٣٠٨ ( الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف	وهو الكتاب السابع من ربيع العادات
وشروطه ، وأركانه أربعة )	وفيه بابان
الركن الأول المحتسب	٢٤٤ ( الباب الأول فى الآداب من أول التهوض
٣٢٠ الركن الثانى للحسبة ما فيه الحسبة	إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته
٣٢٣ الركن الثالث المحتسب عليه	وفيه فصلان )
٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب	الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته
( باب آداب المحتسب )	٢٥٠ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه
٣٣٠ ( الباب الثالث فى المنكرات المألوفة فى	إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا
العادات )	٢٥٦ ( الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه
منكرات للساجد	من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ )
٣٣٣ منكرات الأسواق	القسم الأول العلم برخص السفر
٣٣٤ منكرات الشوارع	٢٦١ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ

صفحة	صفحة
٣٦٠	٣٣٤ منكرات الحلمات
٣٦٣	٣٣٥ منكرات الضيافة
٣٦٦	٣٣٦ للنكرات العامة
٣٧٢	٣٣٧ ( الباب الرابع : فى أمر الأمراء والسلطين بالمعروف ونهيم عن المنكر )
٣٧٧	٣٥١ ( كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة )
٣٧٨	وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات
كان يكرهه	من كتب إحياء علوم الدين
٣٧٩	٣٥٢ يان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا
٣٨٠	صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٨١	٣٥٣ يان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها
٣٨٢	بعض العلماء والتقطها من الأخبار
٣٨٤	

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردي الذى بالهامش

صفحة	صفحة
١٧٢ ( الباب العشرون فى ذكر من يأكل من الفتوح )	٢ ( الباب التاسع فى ذكر من اتمى إلى الصوفية وليس منهم )
١٩٥ ( الباب الحادى والعشرون فى شرح حال المتجردو للتأهل عن الصوفية وصحة مقاصدهم )	١٣ ( الباب العاشر فى شرح رتبة المشيخة )
٢٢٠ ( الباب الثانى والعشرون فى القول فى السماع )	٣٤ ( الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به )
٢٥٣ ( الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع رداً وإنكاراً )	٤٢ ( الباب الثانى عشر فى شرح خرقه الصوفية )
٢٦٤ ( الباب الرابع والعشرون فى القول فى السماع ترفعا واستغناء )	٦٢ ( الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الرباط )
٢٧٩ ( الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأديبا واعتناء )	٧٠ ( الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة )
٢٩٦ ( الباب السادس والعشرون فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية )	٨٠ ( الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به )
٣١٠ ( الباب السابع والعشرون فى ذكر فروع الأربعينية )	٩٥ ( الباب السادس عشر فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم فى السفر والمقام )
٣٣٢ ( الباب الثامن والعشرون فى كيفية الدخول فى الأربعينية )	١٢٢ ( الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفى فى سفره من الفرائض والفضائل )
٣٥٣ ( الباب التاسع والعشرون فى أخلاق الصوفية )	١٤٠ ( الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه )
	١٥٨ ( الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب )